المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية

كلية أصول الدين

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة



عصمة الأولياء عند الصوفية

(عرض ونقض)

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير (الموازي) في العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد الطالب

عبد الحميد بن عبد العزيز المنصور

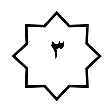
إشراف

د. عبدالرحمن بن عبدالله الشدي

الأستاذ المساعد في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

العام الجامعي ١٤٣٨ - ١٤٣٩ هـ


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهديه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب ٧٠-٧١][(١)]، أمابعد:

فإن الله تعالى بعث نبيه محمدًا ﷺ، وأكمل به الدين، وترك رسول الله ﷺ الناس بعد موته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، وقد دخل الناس في دين الله أفواجًا، ثم بعد ذلك حدثت الأهواء؛ وقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ، وتفرقت الأمة، وخرجت الخوارج، وتشيعت الشيعة، وكان من بينها الصوفية، التي ابتدأت بالزهد، والتقشف، وصارت بعد ذلك بابًا ولجَ منه دعاة الانحراف كالزنادقة وغيرهم، ووصل تأثيرها إلى عوام المسلمين وبعض علمائهم – ولازال– حتى انتشر هذا الاتجاه ببلاد المسلمين الشاسعة، وادعوا ادعاءات باطلة، ومعتقدات منحرفة؛ منها القول بالعصمة وغيرها وقد اخترت البحث في هذا الموضوع، الذي هو بعنوان: (**عصمة الأولياء عند الصوفية عرض ونقض**).

---

(١) هذه تسمى بخطبة الحاجة، وقد أخرجها: أحمد في المسند (٢/٢٦٢-٢٦٤)، رقم (٣٧٢٠ ـ ٣٧٢١) والدارمي في سننه، في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح (٣/١٤١٣)، وأبو داود في سننه، في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح (٢/٢٣٨) رقم (٢١١٨) والترمذي في جامعه، في أبواب النكاح، باب ماجاء في خطبة النكاح (٢/٤٠٤) رقم (١١٠٥)، وقد صححها الألباني، بعد أن تتبع طرقها وألفاظها من مختلف كتب السنة المطهرة، ينظر كتاب: خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه، (٥-ومابعدها)

أهمية الموضوع وأسباب اختياره، منها:

١ – إن عصمة الأولياء هي من المسائل التي قررت عند الصوفية، حتى زعموا في أوليائهم من العصمة ماثبت للأنبياء عليهم السلام.

٢ – ما قام به علماء السلف، كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وغيرهم، في ردهم على الصوفية باعتقادهم العصمة للأولياء، يجعل هذه المسألة جديرة بالعناية والاهتمام، ولو بجمع ماذكره علماء السلف حولها.

٣ – لمْ أقف على دراسة مستقلة، أبرزت هذا الجانب من خلال تتبعي لعدد من الرسائل العلمية والمؤلفات التي تحدثت عن الصوفية.

أهداف البحث:

١ – عرض عقيدة الصوفية في عصمة الأولياء من خلال مصادرهم المعتمدة.

٢ – الرد على الصوفية في معتقدهم بعصمة الأولياء، من خلال منهج أهل السنة والجماعة.

الدراسات السابقة:

من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة، تبين لي أن الدراسات السابقة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: تناول عصمة الأنبياء، وهذا خارج عن نطاق بحثي.

القسم الثاني: تناول عصمة غير الأنبياء، وقد تناولت الدراسات فيه:

أ – عصمة الأئمة عند الشيعة، وهذا خارج عن نطاق البحث.

ب – الإشارة بإشارات مختصرة وغير مستوعبة، لما يتعلق بالعصمة عند الصوفية.

ومن تلك الدراسات التي أشارت إلى ذلك:

١- تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، عرض وتحليل على ضوء الكتاب والسنة، مُحَمَّد أحمد لوح، وهو من أقدم المؤلفات المعاصرة التي وقفت عليها.

وقد أشارت إشارات مختصرة، إلى هذه المسألة عند الصوفية حيث أبرز فيه أن الأولياء عند الصوفية معصومون، وأن من تكلَّم عن الصوفية، لم يولِّ هذه المسألة عناية، ثم ذكر بعد ذلك مسالك الصوفية في تقرير عصمة الأولياء وأنها؛متعددة ومتنوعة، ثم ختم مبحثه بمناقشة لعقيدة الصوفية بالعصمة.

٢- العصمة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، منصور بن راشد التميمي رحمه الله.

وقد تكلّم عن عصمة الأولياء عند الصوفية، بصفحات وإشارات قليلة، وأكثر ماذكره موجود في كتاب تقديس الأشخاص، السابق الذكر.

٣- بحث منشور بمجلة جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية بعنوان: عصمة غير الأنبياء في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، للدكتور: يوسف بن مُحَمَّد السعيد.

وقد تكلّم فيه الباحث عن المسألة بصفحات قليلة، ذكر فيها أولياء المتصوفة بالنسبة للعصمة؛ وأنها ثلاث طبقات، ثم أتبع ذلك بمناقشتهم والرد عليهم.

٤- كتاب: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، عرض ونقد د. لطف الله خوجة.

وقد تكلم فيه عن العصمة عند الصوفية، بصفحات قليلة، مبتدئًا بكيف تولدت فكرة القول بالعصمة، مع إشارات بسيطة مختصرة عن مسالكهم في القول بالعصمة، دون أن يتبع ذلك برد ومناقشة.

٥- كتاب: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية، إدريس محمود إدريس.

لكنه لم يتطرق لمسألة العصمة في مباحثه.

٦- كتاب: الولاية عند غلاة الصوفية، عرض ونقض، عبدالحميد مُحَمَّد عرادة.

وقد تطرق الباحث لمسألة العصمة بصفحات قليلة، عرض فيه لأقوال عدد قليل من مشايخهم في إثبات العصمة عندهم، دون التوسع في المسألة، مع عدم الرد والمناقشة.

ومن الفوارق المهمة، بين تلك الدراسات، والدراسة التي سأقوم بها:

تعريف العصمة عند الصوفية، حيث لم تتطرق الدراسات السابقة لهذه المسألة على الإطلاق.

ذكر المراحل والأطوار التي مرت بها هذه المسألة عند الصوفية، وبيان أنها لم تكن موجودة عند المتقدمين من الصوفية وذلك من خلال الرجوع إلى أقوالهم ومؤلفاتهم، وهذا الأمر لم تتعرض له الدراسات السابقة.

الرجوع في عرض أقوال الصوفية في هذه المسألة، إلى مصادر أخرى عند الصوفية، أوسع وأشمل من المصادر التي في الدراسات السابقة.

منهج البحث:

سيكون منهجي الذي سأتبعه في إعداد هذا البحث مايأتي:

المنهج الاستقرائي، التحليلي، النقدي، متبعًا في ذلك مايأتي:

أولًا: استقراء أقوال الصوفية، في المسألة محل البحث، من مصادرهم المعتمدة.

ثانيًا:عرض هذه الأقوال مرتبة حسب ماجاء في خطة البحث.

ثالثًا: مناقشة الأقوال في هذه المسألة، للرد عليها من خلال الكتاب، والسنة، وأقوال علماء الأمة.

رابعًا: قد تكرر بعض النقول والأقوال في بعض المباحث؛ لكون المسألة محل البحث اقتضت تكرار النقل، أو لمزيد حاجة إليها.

خامساً: مايتعلق بكتابة البحث، فأسلك فيها الخطوات التالية، في كتابة البحوث العلمية وهي على النحو التالي:

أ- عزو الآيات إلى سورها.

ب- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، مع بيان الحكم عليها إن كانت في غير الصحيحين.

ج- التعريف بالأعلام عدا الصحابة -رضوان الله عليهم-، والأئمة الأربعة وأصحاب الكتب الستة.

د- التعريف بالمصطلحات والفرق والمذاهب والأماكن والبلدان.

هـ- الفهارس اللازمة وهي:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث والآثار.

٣- فهرس الأعلام.

٤- فهرس الفرق والطوائف.

٥- فهرس الأشعار.

٦ ـ فهرس الألفاظ والمصطلحات.

٧- فهرس المراجع والمصادر.

٨- فهرس الموضوعات.

خطة البحث:

هذا وقد جعلت البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة.

المقدمة: وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، والخطة، والمنهج في هذا البحث.

التمهيد وفيه:

التعريف بمفردات العنوان.

الفصل الأول: **موقف المنتسبين للتصوّف من العصمة**، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: موقف المنتسبين للتصوّف من أهل الحديث من العصمة.

المبحث الثاني: موقف المنتسبين للتصوف من أهل الكلام، والمتفلسفة من العصمة.

الفصل الثاني: **أسباب القول بالعصمة عند الصوفية**، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أسباب من خارج التصوف.

المبحث الثاني: أسباب من داخل التصوف.

الفصل الثالث: **مسالك الصوفية في تقرير عصمة الأولياء**، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مسلك التصريح بالقول بالعصمة.

المبحث الثاني: مسلك القول بالعصمة وتسميتها حفظًا.

المبحث الثالث: مسلك الإشارة بالقول بالعصمة.

الفصل الرابع: الرد على عقيدة عصمة الأولياء عند الصوفية، وبيان أثرها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الرد على الصوفية في قولهم بعصمة الأولياء من خلال أقوال أهل السنة والجماعة.

المبحث الثاني: الرد على الصوفية في قولهم بعصمة الأولياء من خلال أقوال أئمتهم.

المبحث الثالث: أثر القول بالعصمة.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج.

الفهارس العلمية.

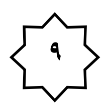
ولا أذيع سرًا إن قلت إن هذا البحث قد اكتنفه بعض الصعوبات، بدأ من الالتزامات العائلية والعملية الملازمة للبحث، مرورًا بتوفير المراجع والمصادر التي كتبها المتصوفة –حيث عملت على توفيرها بما استطعت إلى ذلك سبيلًا، وانتهاءً بفهم كلام المتصوفة– خصوصًا فيما يدور عليه البحث فعبارات المتصوفة –ولا يخفى– فيها من الغموض وعدم الوضوح كما صرّحوا بذلك أنفسهم ودوَّنوها في كتبهم، وتنزيلها على الأمر المراد، أو ما تجد فيها من التناقض والتضارب ما يلاحظه المتتبع لأقوالهم[(١)]، هذا إذ لم يسلكوا فيها مسلك الكتمان[(٢)]، سالكًا في البحث الإنصاف والتأكّد من نسبة القول لقائله من مصادر المتصوفة الأصلية ومراجعهم.

وفي الختام أحمد الله الذي هو أهل الثناء والحمد الذي وفّقني لإنهاء هذا البحث الذي بذلت فيه جهدي ووسعي وطاقتي.

---

(١) أشار إلى التضارب والتناقض في مؤلفات وأقوال قدماء المتصوفة؛ مُحَمَّد السيد الجليند، ففيها اللفظ ونقيضه حول الموضوع الواحد، وقد يوجد لدى الصوفي الواحد أقوالًا يخالف بعضها بعضًا في القضية الواحدة. ينظر: من قضايا التصوف (ص: ٣-٤).

(٢) روى السلمي في طبقاته أنه سمع أحمد بن علي بن جعفر، يقول: سئل المرتعش عن التصوف فقال: «الإشكال، والتلبيس، والكتمان» ينظر: طبقات الصوفية (ص ٣٥٢) وجعل البحث خالد علال أمر الكتمان عند الصوفية كالتقية عند الشيعة، وأنه صار أمرًا واضحًا، مقدسًا من أصولهم. ينظر: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف، (ص ٥٨).



وأثني بعد ذلك بشكر والديَّ –عليهما رحمة الله– امتثالاً لقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان:١٤]، فقد كان لدعائهما وحسن تربيتهما أبلغ الأثر وأعظم السبب –بعد الله– في عظيم ما وصلت إليه، فغفر الله لهما ورحمهما، وأسكنهما الفردوس الأعلى من الجنة.

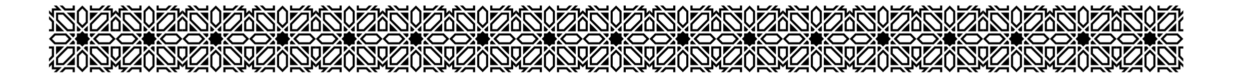
ثم إني بعد ذلك أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ممثلة بكلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، على أن منحتني الموافقة على تقديم هذه الرسالة، خدمة ورعاية للعلم وأهله فأجزل الله لهم المثوبة وحسن الثواب.

ثم إني أتوجه بالشكر والتقدير والدعاء إلى فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور إبراهيم بن عبدالله الحماد، الذي تفضل بالإشراف عليَّ في بادئ الأمر، ثم اعتذر لانشغاله، فقد كان معي عند وضع اللبنات الأولى للبحث فكان خير المعين والموجه بعد الله.

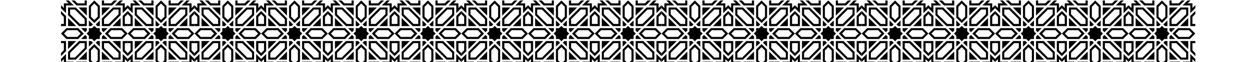
ثم استكمل بعده شيخي فضيلة الشيخ الدكتور عبدالرحمن بن عبدالله الشدي فقد وجدت منه النصح والتوجيه والإعانة التي أفدت منها حتى إتمام بحثي، فله مني وافر الدعاء بأن يجزيه الله خير الجزاء على كريم وقته، وسعة صدره، وحسن خلقه.

كما أشكر كلَّ من أعانني بنصح أو توجيه، أو دلالة، أو غير ذلك مما كان سببًا بعد الله في إنجاز مهمتي وانقضاء بحثي، سواء كان من أهل بيتي –زوجة وأبناء– فقد تحملوا انشغالي وبُعدي عنهم فترة كتابة البحث، ولم يبخلوا عليّ بدعاء أو نصح. أو من قرابتي، وأخص بذلك إخوتي، ويأتي على رأسهم أخي فضيلة الشيخ أحمد الذي كان داعمًا وسائلاً ومحفزًا، وقبل ذلك مربيًا، أو غيرهم فأسأل الله ـ تعالى ـ أن لا يحْرمهم الأجر، وأن يشكر لهم السعي والنصح.

وختامًا: أسأل الله تعالى، بمنه وكرمه أن يتجاوز عن التقصير والزلل في هذا العمل –فإن الكمال لله وحده– فقد بذلت فيه ما استطعت وعملت فيه ما قدرت، فما كان فيه من صواب فمن الله وإن كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



التمهيد



- **أولًا: تعريف العصمة.**
- **ثانيًا: تعريف الأولياء.**
- **ثالثًا: تعريف الصوفية.**

أولًا: تعريف العصمة.

تعريف العصمة لغة:

«العين والصاد والميم أصل واحد صحيح، يدل على إمساك ومنع وملازمة، والمعنى في ذلك كله معنى واحد»[(١)].

والعصمة في كلام العرب: المنع، وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه، عصمه يعصمه عصمًا: منعه ووقاه، قال تعالى: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣][(٢)].

«وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ يجوز أن يراد لا معصوم أي لا ذا عصمة فيكون فاعل بمعنى مفعول»[(٣)].

«كما يقال طاعم وكاس بمعنى مطعوم ومكسو»[(٤)].

وعلى معنى المنع جاء قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] أي «يمْنَعُكَ مِنْ أَنْ يَنالُوكَ بِسُوءٍ»[(٥)].

وبمثل هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ١٧] أي: «أي يمنعكم إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة»[(٦)].

وتأتي العصمة بمعنى الإمساك والالتجاء فـ«العَصْمُ: الإمساكُ، والاعتصام: الاستمساك، قال تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾»[(٧)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣٣١/٤) وينظر: مختار الصحاح (ص ٢١١).

(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور (٤٠٣/١٢) وينظر: تفسير الطبري (٤١٧/١٢) وتفسير البغوي (٢ /٤٥٠).

(٣) مختار الصحاح، الرازي (ص ٢١١).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٨٠/٤).

(٥) تفسير الطبري (٥٧١/٨).

(٦) تفسير ابن كثير (٣٤٩/٦).

(٧) المفردات، للراغب الأصفهاني (ص ٥٦٩).

تقول العرب: أَعصمت فلانًا، أَي هَيَّأْت له شيئا يعتصم بما نالته يده أيْ يلتجئ ويتمسَّك به»[(١)].

وتأتي العصمة أيضًا بمعنىً آخر وهو الحفظ، حيث يقول صاحب مختار الصحاح: «والعصمة أيضا الحفظ، وقد عصمه يَعْصِمُهُ -بالكسر- عصمة فانعصم»[(٢)].

ويشهد لهذا المعنى ماجاء في تفسير الآية السابقة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] أي «يحفظك»[(٣)].

ويظهر مماسبق أن العصمة بمعناها اللغوي، تدور حول معانٍ أربع هي: المنع والوقاية والإمساك والالتجاء والحفظ.

تعريف العصمة اصطلاحًا:

تنوعت وتعددت تعاريف العصمة، مابين تعريف عام لها، ومابين تعريف خُص به الأنبياء والرسل عليهم السلام ومابين تعاريف جعلت العصمة أمرًا جبريًا، وأخرى جعلته أمرًا كَسْبيًا، على اختلاف مسالك من عرفها، وسأقوم باستعراض تلك التعاريف، مبينًا ما عليها من ملحوظات واعتراضات -إن وجدت- ذاكرًا في ختام ذلك التعريف المختار.

فالأول: ما جاء على لسان أهل السنة، فمنها:

أن العصمة هي: «حفظ الله الرسل مما يُنفر عن القبول قبل النبوة، وحفظهم من الكذب والكتمان في التبليغ بعد النبوة، وكذا من الكبائر، وتوفيقهم للتوبة والاستغفار من الصغائر وعدم إقرارهم عليها»[(٤)] وينقص التعريف عدم ذكر صغائر الخِسَّة، فهم معصومون منها.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/٣٣١) وينظر: المعجم الوسيط (ص ٦٠٥).

(٢) مختار الصحاح (ص ٢١١).

(٣) تفسير البغوي (٢/ ٦٩) وينظر: تفسير ابن كثير (٣ /١٣٧).

(٤) العصمة، منصور التميمي (ص ٥١).

الثاني: ما ورد على لسان الشيعة(١) من تعاريف كَثُرت وتنوَّعتْ، منها:

إنها: «لطف يفعله الله تعالى بالمكلف بحيث يمتنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة، مع قدرته عليهما»(٢).

وقيل إنها: «الُلطف المانع للمكلف من ترك الواجبات وفعل المحرمات، يفعله الله به غير سالب القدرة على خلاف مقتضى ذلك اللطف»(٣).

وقيل هي إن «الله يُجبره على ترك المعصية، بل يَفعل به ألطافًا يترك معها المعصية، باختياره مع قدرته عليها»(٤).

ويُلحَظ على التعريف الأخير، التصريح بالجبر في مسألة ترك المعصية.

الثالث: ما جاء على لسان أهل الكلام(٥) من أن العصمة هي:

«حفظه إياهم أولًا بما خصهم به من صفاء الجوهر(٦) ثم بما أولاهم من الفضائل الجسميّة، ثم بالنصرة وبتثبت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق..»(٧).

ويُلْحظ من هذا التعريف، أنه عَرَّف العصمة بالنسبة للأنبياء، بأنها الحفظ، وهذا الحفظ مشروط بما خصَّهمْ به الله من صفاء وفضائل، وغير ذلك من خصوصية لهم لا يشركهم فيها غيرهم، دون بيان التفريق للعصمة، وكونها قبل النبوة أو بعدها، وكونها من الصغائر أو الكبائر، وإمكانية تحققها من عدمها.

---

(١) عرفهم الشهرستاني بأنهم: من جعل الإمامة ركنًا في الدين، واعتقدوا أنها لاتخرج عن علي وأولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وقالوا بالتولي والتبري قولًا، وفعلًا، وعقدًا، إلا في حال التقية، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك، الملل والنحل (١٤٧/١) وينظر: التنبيه والرد للملطي (ص ١٨) الفرق بين الفرق، للبغدادي (ص١٥).

(٢) النكت الاعتقادية، للشيخ المفيد (ص ٣٧) وقد جعلها حدًا للعصمة.

(٣) العصمة، أحمد الأحسائي (ص ٣٥).

(٤) حق اليقين في معرفة أصول الدين، عبدالله شبر (١/ ١٣٥).

(٥) وقد سُمي المتكلمون بهذا الاسم لأسباب كثيرة منها: أن أبوابه عُنْونت بالكلام في كذا، أو لأن مسألة الكلام أشهر أجزائه، ينظر: المواقف، للإيجي (ص ٨-٩) والسبب الأخير ضعفه شيخ الإسلام وعلل ذلك بأن المتكلمين كانوا يسمون بذلك قبل منازعتهم في مسألة الكلام، ينظر: مجموع الفتاوى (١٨٤/٣) وقد بين شيخ الإسلام حقيقته بأنه: «حقيقةٌ عرفيَّة فيمن يتكلَّم في الدِّين بغير طريقة المرسلين " مجموع الفتاوى (٤٦١/١٢).

(٦) الجوهر: «ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع، وهو مختصر في خمسة: هيولي، وصورة، وجسم، ونفس، وعقل». التعريفات للجرجاني (ص ١٠٨).

(٧) المفردات (ص ٥٧٠).

الرابع: ما ذكره البيضاوي[١] من أن العصمة هي: «ملكة نفسانية تمنع عن الفجور، وتتوقف على العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات، وتتأكد في الأنبياء»[٢].

وهذا التعريف، جعل العصمة مَلكة، أي أمرًا اكتسابيًا، ويُرد عليه كذلك أن أي شخص يستطيع أن ينالها متى ماعلم بما يترتب على المعاصي، وفضائل الطاعات، لكنها تتأكد في الأنبياء عليهم السلام، كما ظهر من التعريف.

الخامس: أن العصمة «أن لا يخلق فيهم ذنبًا»[٣].

ويَرِد على هذا التعريف، جَعل ترك الذنب، أمرًا جبريًا، ليس لهم عليه قدرة ! وهذا خلاف ما اقتضته الحكمة من ابتلاء الله عباده بالذنوب فيتبعون ذلك بالتوبة.

ونقل صاحب المواقف أن العصمة هي: «خاصية في نفس الشخص أو في بدنه يمتنع بسببها صدور الذنب»[٤].

وقد تَعَقَّب نقلهُ بأن قال: «أنه لو كان كذلك، لما استحق المدح بذلك، وأيضًا فالإجماع على أنهم مكلفون بترك الذنوب مثابون به، ولو كان الذنب ممتنعًا عنهم، لما كان كذلك»[٥].

وقيل: إن العصمة «ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها»[٦].

ويَرِد على هذا أيضًا؛ أن التعريف جعل العصمة ملكة وأمرًا اكتسابيًا ، يناله المرء دون بيان أسباب هذه الملكة، مع جعلها عِصمة عامة يدخل مع الأنبياء –عليهم السلام– غيرهم.

السادس: أن العصمة: «تخصيص القدرة بالطاعة، فلا يخلق له قدرة على المعصية»[٧].

---

(١) هو: عبدالله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي البيضاوي الشافعي المتكلم، قاضي شيراز، عالم شيراز، له مصنفات كثيرة منها:المنهاج، وشرح التنبيه، الإيضاح، توفي سنة ٦٩١هـ، ينظر: الوافي بالوفيات، للصفدي (٦٠٢/١٧)، طبقات الشافعية، للسبكي(١٥٧/٨)، البداية والنهاية، لابن كثير (٣٦٣/١٣)، هدية العارفين، للبغدادي (٤٦٢/١-٤٦٣).

(٢) طوالع الأنوار من مطالع الأنظار، للبيضاوي (ص ٢١٦).

(٣) المواقف في علم الكلام، للإيجي (ص ٣٦٦).

(٤) المصدر السابق (ص ٣٦٦).

(٥) المصدر السابق (ص ٣٦٦).

(٦) التعريفات (ص ١٩٥).

(٧) المسامرة بشرح المسايرة، لابن الشريف (ص ١٩٥) وذكر ابن الشريف أن هذا التعريف يلائم قول أبي منصور الماتريدي في العصمة، من أن العصمة لا تزيل المحنة أي الابتلاء، المقتضي لبقاء الاختيار.

وهذه التعريف يُلْحَظ عليه أنه جعل العصمة من المعاصي، والتمكن من الطاعة أمرًا جبريًا لا اكتسابيًا.

السابع: أن العصمة هي: «سلب قدرة المعصوم على المعصية، فلا يمكنه فعلها»[١].

والسبب: «لأن الله سبحانه وتعالى سلب قدرته عليها»![٢] ويرد على هذا التعريف ما يَرِد على السابق.

وقيل: إن العصمة هي: «خلق مانع غير ملجئ»[٣].

أي أنها: خلق مانع من المعصية غير ملجىء إلى تركها، وإلا يلزم الاضطرار المنافي للابتلاء والاختيار، كما يقول صاحب تيسير التحرير[٤]. ويَرُد عليه أنه لم يفرق بين العصمة للأنبياء ولغيرهم من بني البشر ! حيث أنه أثبتها للجميع ولو على غير وجه الاضطرار !.

الثامن: أن العصمة هي: «حفظ الله للمكلَّف من الذنب مع استحالة وقوعه»[٥].

ويَرِد على هذا التعريف ما ورد على ماسبق، وإن أراد بذلك الحفظ وتلك الاستحالة؛ الأنبياء -عليهم السلام- ففي الأمر تفصيل[٦].

التاسع: **ماورد عن الصوفية** -ممن قال بها فيما وقفت عليه- من أنها:

«فَيض إلهي[٧] يقوى به الإنسان، على تحري الخير، وتجنُّبِ الشر»[٨].

---

(١) شرح الكوكب المنير، لابن النجار (٢/ ١٦٧).

(٢) المصدر السابق (١٦٧/٢).

(٣) تيسير التحرير، مُحَمَّد أمير بادشاه (٢٠/٣).

(٤) المصدر السابق (٢٠/٣).

(٥) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، البيجوري (ص ١٤٩).

(٦) وَممن أفاض في ذكر هذه المسألة شيخ الإسلام ومن ذلك؛ القول بوجوب عصمتهم في التبليغ، وأن الأمة متفقة على ذلك، وفي عصمتهم من الكبائر دون الصغائر، وأنه قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف. ينظر: مجموع الفتاوى (٣١٩/٤) و (١٤٧/١٥).

(٧) ترجع فكرة الفيض الإلهي، كما يقول الشهرستاني إلى زرادشت حيث زعم أن: «أن للعالم قوة إلهية، هي المدبرة لجميع ما في العالم، المنتهية مبادئها إلى كمالاتها، وهي على لسان الفلاسفة: العقل الفعال، ومنه الفيض الإلهي» الملل والنحل (٤٨/٢) هذا من حيث مرجع الفكرة، أما من حيث المعنى فالمراد بالفيض الإلهي عند الصوفية فيراد به: " أن الحق تعالى يسبغ بعض نعمه على أحبائه ظاهرة وباطنة، بفتح رباني، وأن أولياء الله إذا اقتربوا من الخلق فهم صم بكم أما إذا اقتربوا من الحق ـ تعالى ـ لا يسمعون غيره ولا يبصرون سواه، فهم في هيبة دائمة، ومحبة كاملة، يغيبون بالأنس والقرب من الله ويقربهم بالفيض الرحماني والفتح الرباني. " ينظر: معجم ألفاظ الصوفية، للشرقاوي (ص ٢٢٩)

(٨) ميزان العمل، أبو حامد الغزالي (ص ٣٠٤) وينظر: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، للسيوطي (ص: ١٩٩).

ويلاحظ عليه أنه جعلها أمرًا غير اكتسابي !.

علماً أن المتصوفة -فيمن قال بالعصمة منهم- قد يعبرون بالحفظ بدلاً من العصمة، أو يسلكون بها مسلك الإشارة، كما سيأتي مزيد بيان لذلك عند الكلام عن العصمة وموقف الصوفية منها[١].

وبعد هذا الاستعراض لعدد من التعاريف، أجد أنه من المناسب ذكر تعريف مناسب، موافق لما عليه أهل السنة والجماعة، ويغلب عليه الشمول، ويلحظ من هذا التعريف أنه لا يعرّف العصمة بتعريف عام، بل يخصها بعصمة الأنبياء -عليه السلام- والسبب في ذلك؛ أن أهل السنة والجماعة يرون أن العصمة لا تكون إلا للأنبياء -عليهم السلام-، خلافًا للمخالفين، فأقول إن العصمة -كما ذكرها صاحب كتاب العصمة- من أنها: «حفظ الله الرسل مما يُنفر عن القبول قبل النبوة، وحفظهم من الكذب والكتمان في التبليغ بعد النبوة، وكذلك من الكبائر، وتوفيقهم للتوبة والاستغفار من الصغائر وعدم إقرارهم عليها»[٢] ويُزاد على هذا التعريف حفظهم من صغائر الخِسة كذلك، فهم منها معصومون.

---

(١) وذلك عند الكلام عن تعرف الولي والولاية عند الصوفية، (ص: ٢٣)، وبيان موقف المنتسبين للتصوف من أهل الحديث والكلام والمتفلسفة من العصمة، في الفصل الأول، (ص: ٦١)، ومسالك الصوفية في تقرير عصمة الاولياء، في الفصل الثالث، (ص: ١٤٧).

(٢) العصمة، للتميمي (ص: ٥١).

ثانيًا: تعريف الأولياء.

تعريف الولي والولاية لغة:

«الوَلَيَ الواو واللام والياء: أَصل صحيح يدل على قُرْبٍ. من ذلك الْوَلْيُ: الْقُرْبُ. يقال: تباعد بعد وَلْيٍ، أي قُرْبٍ وجلس ممَّا يليني، أي يقاربني وَالْوَلِيُّ: المطر بعد الوسْمي، سمي وليًا لأنه يلي الوسمي»[(١)] من «وُلِيَت الأرض فهي مَوْلية إذا أصابها الولِي»[(٢)] والوَلِيُّ له معانٍ كثيرة منها: «المُحِب، وهو ضد العدو، اسم من والاه إِذا أَحبَّه، و منها: الصَّديق ومنها: النَّصير من والاه إِذا نصره»[(٣)].

«وَمِنَ هذا الباب المولى: الْمُعْتِقُ وَالْمُعْتَقُ، وَالصاحب، والحليف، وابن العم، والنَّاصر، والجار؛ كل هؤلاء من الْوَلْيِ وَهو الْقُرْبُ. وَكل من وَلِيَ أمر آخَر فهوَ وَلِيُّهُ. وَفلان أولى بكذا، أي أَحرى به وأَجدر»[(٤)].

الوَلي في كلام العرب كما يقول صاحب كتاب اشتقاق أسماء الله يقوم «على ضروب عشرة مخرجها كلها من قولهم: هذا الشيء يلي هذا الشيء، وأوليت الشيء الشيء: إذا جعلته يليه لا حاجز بينهما.

تقول العرب: فلان ولي فلان أي هو متولي أمره والقيم بشؤونه، كأنه يلي إصلاح أمره بنفسه لا يكله إلى غيره»[(٥)].

---

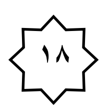
(١) معجم مقاييس اللغة (٦/ ١٤١) وينظر: الصحاح (٦/٢٥٢٩) القاموس المحيط، للفيروزبادي (ص ١٣٤٤) تاج العروس، للزبيدي (٢/٢٤١): التفسير البسيط ، لأبي الحسن علي النيسابوري (٤/٣٦٨): التفسير الكبير، للرازي (١٧/٢٧٦) وقد سمى الإمام الشوكاني كتابه عن الولي ب: «قطر الولي على حديث الولي» كما يقول في مقدمة كتابه –بعد أن تكلم عن صحة حديث الولاية– وسميته: «قطر الولي على حديث الولي» ينظر: قطر الولي على حديث الولي (ص: ٢٣١).

(٢) جمهرة اللغة، لابن دريد (١/ ٢٤٦).

(٣) تاج العروس (٤٠/٢٤٢).

(٤) ينظر:معجم مقاييس اللغة (٦/ ١٤١) وينظر: مختار الصحاح (ص ٣٤٥) وينظر: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، لابن حجر الهيتمي(١/١٠٧) وقد ذكر أن الولي لفظًا مشتركًا بين معانٍ وذكرها ومثل هذا ذكره صاحب مختصر التحفة الاثني عشرية، شاه الدهلوي (ص ١٤).

(٥) اشتقاق أسماء الله، عبدالرحمن الزجاجي (ص ١١٣).



«والوِلَايَةُ النّصرة، والوَلَايَةُ: تَوَلّي الأمر، وقيل: الوِلَايَةُ والوَلَايَةُ نحو: الدِّلَالة والدَّلَالة، وحقيقته: تَوَلِّي الأمرِ، والوَلِيُّ والمَوْلَى يستعملان في ذلك كلٌّ واحدٍ منهما»(١).

وقال ابن الأثير(٢): «وكأن الوِلاية تُشعر بالتَّدْبير والقُدرة والفِعل، وما لم يجتمع ذَلِكَ فيها لم ينطلق عليْه اسْم الْوَالِي. وقال ابْن سيده(٣): وَلِيَ الشيءَ ووَلِيَ عليه ولاية وولاية، وقيل: الوِلاية الخطة كالإمارة، والولاية الْمَصْدَرُ. وقال ابن السِّكِّيتِ(٤): الوِلاية بالكسر؛ السُّلْطَان، والوَلاية والوِلاية؛ النُّصرة»(٥).

ومن ذلك آية الكهف، فقد جاءت على المعنيين قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ [الكهف:٤٤].

فقد قرئت (الْوَلايَةُ) بكسر الواو، تعني السُّلْطان، وقرأَ آخرون بفتح الواو من الموالاة والنصرة، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٢٥٧](٦).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية(٧) مقررًا المعنى اللغوي، وموضحًا العلاقة بينه وبين المعنى الاصطلاحي بأن الوَلاية: ضد العداوة، وأصل الوَلاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد. ثم يذكر –رحمه الله– أن الولي سمي وليًا من موالاته.

---

(١) المفردات (ص: ٨٨٧).

(٢) هو: المُبارك بن مُحمَّد بن عبد الواحد الشَّيباني، الجزري، أَبو السَّعادات المحدِّث اللغوي الأصولي، له من المصنفات: جامع الأُصول، و غريب الحديث، و تجريد أسماء الصحابة، توفي سنة ٦٠٦ هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٤٨٨/٢١) ومابعدها، طبقات الشافعية (٣٦٦/٨) الأعلام، للزركلي (٢٧٢/٥).

(٣) هو: علي بن إسماعيل المرسي الضَّرير المعروف بابن سيده، إمام في اللغة وآدابها، له من التصانيف: المحْكَم، و العالم،والمخصص في اللغة، توفي سنة ٤٥٨ هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٥٣/١٣) الأعلام (٢٦٣/٤-٢٦٤).

(٤) هو: يعقوب بن إسحاق بن السكيت البغدادي النَّحوِي شيخ العربية، له من التصانيف: إصلاح المنطق، و الألفاظ، و معاني الشعر، توفي سنة ٢٤٤ هـ، ينظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر (١٥٧/٧٤) وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣٩٥/٦) سير أعلام النبلاء (٤٣٦/٩) طبقات النحويين، للإشبيلي (٢٠٢/١) ومابعدها.

(٥) ينظر: لسان العرب (٤١١/١٥) وينظر: مختار الصحاح (ص ٣٤٥).

(٦) ينظر: تفسير البغوي (١٩٤/٣) وينظر: تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز (٥١٩/٣) وينظر: تفسير ابن الجوزي (٣٥٨/٥) وينظر: تفسير القرطبي (١٦٥/٣) وينظر: تفسير البحر المحيط، ابن حيان الأندلسي (٣٥٨/٥).

(٧) هو: أَبو الْعبَّاس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحَرَّاني، نزيل دمشق دار على الشيوخ وخرج وانتقى وبرع في علوم الإسلام، صاحب التصانيف، التي سارت بها الركبان، منها: الإيمان و الجمع بين النقل والعقل و منهاج السنة، وقد امتحن وأوذي مرات وحبس، توفي سنة ٧٢٨ هـ معتقلًا في قلعة دمشق، ينظر: العقود الدرية، لابن عبدالهادي (ص =

للطاعات، أي: متابعته لها، لكنه يرى أن الأول أصح، فالولي هو: القريب، فيقال: هذا يلي هذا أي: يقرب منه[١].

وبمثله قال الشوكاني[٢]؛ بأن ذلك المعنى ذكره أهل اللغة، وأن أصل العداوة البُغض والبُعد[٣] وذكر في تفسيره أن الأولياء سموا بذلك لقربهم من الله[٤].

وهنا نُكتة لُغوية، ذكرها صاحب محاسن التأويل عند تفسير قول الله تعالى:﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٥٥] حيث يقول مانصه: «إنما أفرد (الوليّ) ولم يُجْمع، مع أنه متعدّد للإيذان بأن الولاية لله أصل، ولغيره تبع لولايته عزّ وجل»[٥].

مما تقدم من كلام حول التعريف اللغوي تبين أن الوَلي والوَلاية بفتح الواو – والتي عليها مدار البحث – تدور حول معانٍ عدة أولها القرب وهو الأصل الذي تعددت منه معانٍ أخرى، منها: المحب والصديق والنصير والصاحب والحليف والناصر والجار.

مفهوم الولي والولاية اصطلاحًا:

تعددت وتنوعت المفاهيم الاصطلاحية للوَلي والوَلاية –كما سيأتي– و«والمعنى الشرعي لا يبعد عن المعنى اللغوي، بل هو تقييد له»[٦]، «وإن أحيطت بما يفسرها في ذلك المقام من الشرعيات»[٧].

=

١٨) تذكرة الحفاظ، للذهبي (١٩٢/٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر(١٦٨/١) الأعلام (١٤٤/١).

(١) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن واولياء الشيطان (ص ٩) وينظر: الصوفية والفقراء، ضمن الفتاوى (١١/٦١-٦٢).

(٢) هو محمَّد بن علي الشوكاني ثم الصنعاني، فقيه مجتهد، من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء، صنف تصانيف مطولات ومختصرات، منها: نيل الأوطار، و البدر الطالع، و فتح القدير في التفسير، توفي بصنعاء سنة ١٢٥٠ هـ ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني (٢١٤/٢) وما بعدها، الأعلام (٢٩٨/٦).

(٣) ينظر: قطر الولي على حديث الولي، للشوكاني (ص ٢٣٧).

(٤) فتح القدير (٥١٩/٢) وينظر: الولاية والأولياء في الإسلام، الخضر عبدالرحيم (ص ١٠).

(٥) محاسن التأول، للقاسمي (٤ /١٧٥).

(٦) الولاية والأولياء في الإسلام (ص ١).

(٧) قطر الولي على حديث الولي، للشوكاني، مقدمة المحقق: إبراهيم هلال (ص ٧٢).

والاختلاف في التعريف ناشئ عن الاختلاف في فهم معنى الكلمة ودلالتها[١]، ثم أطلق هذا اللفظ على معانٍ شرعية كالولاية العظمى (الإمامة) وولاية النكاح وولاية العتق وولاية اليتيم، وما شابه ذلك، وذلك لأن المعنى اللغوي يتحقق في كل هذه الألفاظ[٢].

ومن تلك المفاهيم:

١- إنَّ المراد بولي الله: «العالم باللّه الْمواظب على طاعته المخلص في عبادته»[٣].

٢- إنَّ «المؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن»[٤].

٣- إنَّ ولي الله هو: «من والى الله بموافقته في محبوباته، والتقرُّب إليه بمرضاته»[٥].

٤- جاء في تفسير الجلالين: عند قوله تعالى: «﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] فِي الْآخِرَة هم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣] اللَّه بامتثال أَمره ونهيه»[٦].

٥- وورد بأن أَولياء اللَّه هم: «الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة»[٧] وتخصيص الولاية بالكرامة مَحل نَظر!.

وقد ذكر شيخ الإسلام أن هذه «الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وتكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دلَّ عليها الكتاب والسنة، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة»[٨] فـ«إنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة»[٩].

---

(١) أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني السلفي، عبدالرحمن دمشقية (ص ٤).

(٢) الولاية والأولياء في الإسلام (ص ١٠).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (٣٤٢/١١).

(٤) الطحاوية، بشرح وتعليق الألباني (ص ٦٤).

(٥) شرح العقيدة الواسطية، مُحَمَّد بن خليل هرّاس (ص ٢٧٥).

(٦) ينظر: تفسير الجلالين، لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي (ص ٢٧٦).

(٧) تفسير البيضاوي (١١٨/٣) وينظر: تفسير النسفي (٣٠/٢).

(٨) الفرقان بين أولياء الرحمن واولياء الشيطان (ص ٧٩).

(٩) المرجع السابق (ص ١٨٧).

٦- وذكر -كذلك- بأنهم: هم الذين تولى الله هداهم بالبرهان الذي آتاهم، فتولوا القيام بحقه والرحمة لخلقه[١].

٧- وقيل بأنهم: المتحابون في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها[٢] وهنا حَصر لها في الحقوق بين العباد برحم أو مال دون توسيع لها.

٨- وقيل: هم المؤمنون المتقون بدليل الآية الثانية ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ إذا خاف الناس ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] إذا حَزن الناس[٣].

٩- وجاء عند المتكلمين بأن «وَلِيُّ اللَّه من يكون آتِيًا بالاعتقاد الصَّحيح الْمبْنِيِّ على الدَّليل ويكون آتِيًا بالْأَعمال الصَّالحة على وفْق ما وردت به الشَّريعة»[٤].

أما الولاية عند الصوفية فإنها تأخذ معنى خاصًا اصطلاحيًا تتميز به، وأولُّ من تكلم عن الولاية؛ هو الحكيم الترمذي[٥]، في كتابه خَتم الأولياء[٦]، وهو - أي الحكيم الترمذي - من

---

(١) ينظر: تفسير النسفي (٢/٣٠).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٢/٣٠).

(٣) ينظر: المصدر السابق (٢/٣٠).

(٤) التفسير الكبير، المسمى: مفاتيح الغيب، للرازي (١٧/٢٧٦).

(٥) هو: مُحَمَّد بن على بن الحسن، الحكِيم الترمذي، له التصانيف المشهورة، أُخرج الحكيم من تِرمذ، وُشهِد عليه بالكفر؛ بسبب تصنيفه كتاب (ختم الولاَيَة)، وكتاب (علل الشَّريعة)، وقالوا: إِنَّه يقول: إِنَّ للأَولِياء خَاتمًا، وإِنَّه يُفَضِّل الولاَية على النُّبوة، و اعتذر السلمى عنه ببعد فهم الفاهمين. وقال السبكي في طبقاته: «قلت ولعلَّ الأَمر كما زعم السلمى وإِلَّا فَمَا نظن بِمسلم أَنه يفضل بشرًا غير الأَنبِياء عليهم السَّلام على الْأَنبياء " وكانت له فرقة أسماها الهجويري في كشف المحجوب (الحكيميون)، ذَكر بعض من ترجم له أنه من المحدثين، إلا أن الحافظ ابن حجر، ذكر في الميزان؛ أنه لم يكن من أهل الحديث ولا رواية له ولا أعلم له بطرقة وصناعتة، وإنما كان فيه الكلام على إشارات الصوفية، وذكر شيخ الإسلام؛ أن الغالب على كلامه الصحَّة بخلاف ابْن عربِي فإِنَّه كثِير التَّخليط لاسيَّما في الاتحاد، توفي الحكيم الترمذي نحو سنة ٣٢٠ هـ، ينظر: طبقات الصوفية، للسلمي (٢١٧)، حلية الأولياء، لأبي نعيم (١٠/٢٣٣)، الرسالة القشيرية (٤٠٠) كشف المحجوب، للهجويري (٢/٤٤٢)، صفة الصفوة، لابن الجوزي (٢/٣٤٤) مجموع الفتاوى (١١/٣٦٣) سير أعلام النبلاء (١٣/٤٤١)، تذكرة الحفاظ (٢/١٦١)، طبقات الشافعية (٢/٢٤٥-٢٤٦)، لسان الميزان لابن حجر (٥/٣٠٩) الأعلام (٦/٢٧٢).

(٦) ينظر: من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة، محمَّد السيد الجلیند (ص ٢٠٧).

كبار أهل التصوف الذين عُنوا بتحديد هذا المفهوم[١] وكانت قاعدة كلامه وطريقه على الولاية»[٢].

ويذكر المستشرق نيكلسون[٣] -عند كلامه عن الأولياء والكرامات- بأن الصوفية قد اصطنعتها -أي كلمة الولي- وجعلتها علمًا شائعًا على من أدنوه منهم حيث يقول: «والكلمة رغم ملابساتها الغامضة، قد اصطنعتها الصوفية وأضحت عَلمًا شائعًا، على فريق أدْنتهم ربانيتهم من الله»[٤].

بل جعلوها قاعدة وأساسًا لطريقتهم؛ كما جاء في أحد أصولهم ومراجعهم المعتمدة، حيث ورد في كشف المحجوب:

ما نصه «اعلم أن قاعدة وأساس طريقة التصوف والمعرفة جملة يقوم على الولاية وإثباتها، لأن جميع المشايخ متفقون في حكم إثباتها، غير أن كلا منهم بيَّن هذا بعبارة مختلفة»[٥].

١٠- يذكر الحكيم الترمذي بأن الولي، هو «رجل ثبت في مرتبته، وافيًا بالشرط كما وفَّى بالصدق في سيره، وبالصبر في عمل الطاعة واضطراره، فأدى الفرائض وحفظ الحدود ولزم المرتبة، حتى قوّم وهذب ونقَّى وأدب وطهّر وطيّب ووسع وزكّي وشجّع وعوذ»[٦] وعند ذلك تتم ولاية الله له، بهذه الخصال العشر، كما وضعها الحكيم الترمذي.

والترمذي هنا جعل عمل الولي للطاعة اضطرارًا مُنقيًا الولي من الذنوب حافظًا للحدود، وهذا فيه ذكر للعصمة دون تصريح.

---

(١) الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر، يوسف زيدان (ص ١٢١).

(٢) ينظر: كشف المحجوب، للهجويري (٤٤٢/٢)

(٣) هو: رينولد ألين نيكلسون، مستشرق إنجليزي، يعد بعد المستشرق ماسينيون، (ت ١٩٦٢ م) أكبر الباحثين في التصوف الإسلامي، وقد كان إنتاجه العلمي يدور حول التصوف الإسلامي خصوصًا، اشترك في نشر: تذكرة الأولياء للعطار و اللمع للسراج، وله: متصوفوا الإسلام، و دراسات في التصوف الإسلامي، وغيرها توفي سنة ١٣٦٤ هـ ينظر: الأعلام (٣٩/٣) موسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي (٥٢٩-٥٩٣) وينظر: التصوف في الإسلام، عمر فروخ (ص ١٢-١٣).

(٤) الصوفية في الإسلام، نيكلسون (ص ١١٩).

(٥) كشف المحجوب (٤٤٢/٢-٤٤٣).

(٦) ختم الأولياء، للحكيم الترمذي (٣٣١).

١١- وذكر بأن الولي هو: «من توالت طاعاته من غير تخلل معصية»[(١)].

١٢- وقيل: «هو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي؛ فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان، وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة»[(٢)].

وكلا المفهومين، يُلحَظ عليهما إثبات العصمة للولي سواء عبّر عنها بالحفظ أم بالإشارة، كما سيأتي بيان ذلك -بإذن الله- تفصيلًا عند ذكر مسالك من أثبت العصمة من الصوفية، وذلك في فصلٍ مستقل[(٣)].

وكما كانت قضية الولاية لها أثر في المتصوفة الأوائل، فكذلك كان لها أثر في متصوفة القرون المتأخرة؛[(٤)] كما سيأتي[(٥)]، وقد انحرف الصوفية فيها؛ انحرافات كثيرة وخطيرة جدًا، تنوعت وكثرت[(٦)].

وأمام هذه الكثرة الكاثرة في بيان بعض ما قيل في معنى الولي والولاية في مفهومها الاصطلاحي والتباين فيما بينها، أختم بما ذكره شيخ المفسرين - الإمام الطبري - ثم أُتبعه بما ذكره شيخ الإسلام؛ في بيان مفهوم الولي والولاية ليكون القول المختار في المسألة.

فالإمام الطبري لما ذكر اختلاف أهل التأويل فيمن يستحق هذا الاسم - أي اسم الولي-، قال:

---

(١) الرسالة القشيرية (٥٢٣/٢) سيأتي -بإذن الله تعالى- تحقيق لمذهب القشيري في العصمة، واضطرابه فيها، عند الكلام عن موقف المنتسبين للتصوف من أهل الكلام والمتفلسفة من العصمة، في المبحث الثاني من الفصل الأول (ص ٩٣).

(٢) المصدر السابق (٥٢٣/٢) وقد تعمدت عدم الإسهاب والإطالة في ذكر تعريفات الولي عند الصوفية، حيث إن تعريف الولي عندهم يتداخل مع مبحث العصمة الذي أفرد في مبحث مستقل عند الحديث عن التعريفات بالمفردات ضمن التمهيد، (ص ١١)، وحسبي من ذلك ما ذكرت واقتصرت عليه من تعاريف.

(٣) وذلك في (ص ١٤٨).

(٤) ينظر: من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة (ص ٤-٥).

(٥) وذلك عند الكلام عن أثر القول بالعصمة في المبحث الثالث، من الفصل الرابع عند الرد على عقيدة عصمة الأولياء عند الصوفية وبيان أثرها، (ص ٢٢٢).

(٦) ينظر: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية ، إدريس محمود إدريس (٥٤٧/٢).

«وَالصَّواب من القول في ذلك أَن يقال: **الولي**، أَعني ولِيَّ اللَّه، هو من كان بالصِّفة التي وصفه اللَّه بها، وهو الَّذي آمن واتَّقى، كما قَال اللَّه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣]»[١].

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإذا عُرف أَنَّ النَّاس فيهم **أَولياء** الرَّحمن وأَولياء الشَّيطان فيجب أَن يفرِّق بين هؤلاء وهؤُلاء كما فَرَّق اللَّه ورسوله بيْنهما فأَولياء اللَّه هم المؤْمنون الْمتَّقون كما قَال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] وفي الحديث الصَّحيح الَّذي رواه الْبخاري وغيره عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال: (يقول اللَّه: من عادى لي وليًّا فقد بارزني[٢] بالمحاربة -أَو فقد آذنته بالحرب- وما تقرَّب إِلَيَّ عبدي بمثل أَداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإِذا أَحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع، وبِي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي. ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما تردَّدت عن شيْءٍ أنا فاعله تردُّدي عن قبض نفس عبدي المؤْمن يكره الموت وأَكره مساءته ولا بدَّ له منه)[٣] وهذا -كما يذكر شيخ الإسلام- أَصح حديث يروى فِي الأَولِياء»[٤].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٢/٢٠٨-٢١٢).

(٢) (بَرَزَ) من البُرُوز وهو الظهور والخروج، وبالكسر مصدر من المبارزة في الحرب. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/١١٧-١١٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع (٨/١٠٥) رقم (٦٥٠٢) وأحمد في المسند (٤٣/٢٦١-٢٦٢) من رواية عائشة -﵂- بلفظ (من أَذلَّ لي ولِيًّا) وذكر الحافظ ابن حجر أن للحديث؛ طرقًا أُخرى يدلُّ مجموعها على أَن له أَصلًا منها -بعد ذكره أن الحديث قد تكلم فيه- منها ما أخرجه أحمد عن عائشة -﵂- وأخرجه كذلك ابن أَبي الدُّنيا وأَبي نُعَيْم في الْحِلْيَة والبيهقي، وغيرهم، ينظر: فتح الباري (١١/٣٤١-وما بعدها).

(٤) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، (ص ٧) وكما يَذكر أسعد السحمراني أن حديث الولاية صار منطلقًا مهمًا عند الصوفية في تنظيم طرقهم، ينظر: التصوف منشؤه ومصطلحاته (ص ٢٢).

وقال –رحمه الله– أيضًا: «فإذا كان وليُّ الله هو الموافق المتابع له فيما يحبُّه ويرضاه ويبغضه ويسخطه ويأْمر به وينهى عنه كان المعادي لوليه معاديًا له كما قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١](١).

وقال في موضع آخر: «وأَولياء الله الَّذين هم أَولياؤه: هم الَّذين آمنوا وكانوا يتَّقون فقد أَخبر سبحانه أَنَّ أَولياءه هم المؤمنون المتَّقون وقد بيَّن المتَّقين في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] والتَّقوى هي فِعل ما أَمر الله به وترْك ما نهى الله عنه، وقد ذكر الله هذا المعنى في عدَّة مواضع من كتابه فكل من آمن بالله ورسوله واتَّقى الله فهو من أَولياء الله»(٢).

وذكر –رحمه الله– أنه لافرق فيما سُمِّي به الولي ف«أَولياء الله هم المؤمنون المتَّقون سواء سمي أَحدهم فقيرًا أَو صوفيًّا أَو فقيهًا أَو عالِمًا أَو تاجرًا أَو جنديًّا أَو صانعًا أَو أَميرًا أَو حاكمًا أَو غير ذلك. قَال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣](٣).

وقال بيان معنى **الولاية:**

«ولاية الله موافقته بأَن تحب ما يحب، وتبغض ما يبغض، وتَكره ما يَكره، وتسخط ما يسخط، وتوالي من يوالي، وتعادي من يعادي، فإِذا كنت تحب وترضى ما يسخطه ويكرهه كنت عدوه ولا وليه»(٤).

ولذلك فليس لأَولياء الله شيْء يتميَّزون به عن النَّاس في الظَّاهر من الأُمور المباحات، فلا يتميَّزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحًا، ولا بحلق شعر أَو تقْصيره أَوْ ظَفْره إذا كان

---

(١) المصدر السابق: (١١/١٦١).

(٢) الفتاوى (٣/٤١٧) وينظر: الصوفية والفقراء، ضمن مجموع الفتاوى (١١/ ٦١).

(٣) الصوفية و الفقراء، لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (١١/٢٢).

(٤) الإستقامة، ابن تيمية (٢/ ١٢٨) وينظر: شرح الطحاوية (٢/٥٠٧) وما بعدها.

مباحًا، كمَا قِيل: كم من صدِّيقٍ فِي قَبَاءٍ[١] وكم من زِنْدِيق[٢] في عَبَاءٍ[٣]، بل يوجدون في جميع أَصناف أُمَّة محمَّد -صلَّى اللَّه عليه وسلَّم- إذا لم يكونوا من أَهل الْبدع[٤] الظَّاهرة والفجور، فيوجدون في أَهْل القرْآن، وأَهل العلم ويوجدون في أَهل الجهاد وَالسَّيف، ويوجدون فِي التجَّار وَالصنَّاع وَالزُّرَّاع»[٥].

وقال بعد ذكره للمفهوم الصحيح للولاية: «فتدبر هذا فإنه تنبيه على أصل عظيم، ضل فيه من طوائف النساك والصوفية والعباد العامة من لا يحصيهم إلا الله»[٦].

ويُفهم مما سبق -من تعاريف- أن مفهوم الولي والولاية: يدور حول الإيمان والتقوى، فمن جمع بين الإيمان والتقوى فهو الولي حقًا.

---

(١) (القباء): ثوب يلبس فَوق الثياب أَو القميص ويتمنطق عليه، المعجم الوسيط (٧١٣/٢).

(٢) (زندق) الزِنْديق بالكسرِ من الثنويَّة، وهو معرّب، والجمع الزَنادِقَةُ، أَو هو: القائل بالنور والظلمة،قال الزبيدي: والصّواب أَنَّ الزّنديق نسبة إِلى الزَّنْدِ، وهو كتاب ماني المجُوسِيّ والزّنْدُ بلغتهم: التَّفسير، يعني هَذا تفسير لكتاب زرادشت الفارسيّ، واعتقد فِيه الإلهين: النور، والظلمة، النور يخلق الخير، والظُّلمة يخلق الشَّر، ينظر: الصحاح ، للجوهري (١٤٨٩/٤) لسان العرب (١٤٧/١٠) تاج العروس (٤١٨/٢٥).

(٣) العِبْءُ، بالكسرِ: الحِمْل والثِّقل من أَي شيءٍ كان، والجمع الأَعباء، وهي الأَحمال والأَثْقال، و العَباءَة والعَباءُ: ضرب من الأَكسية، والجمع أَعْبِئَةٌ. ورجلٌ عَبَاءٌ: ثَقِيلٌ، لسان العرب، (١١٧/١-١١٨) وينظر: تاج العروس (٣٣٧/١).

(٤) أصل هذه الكلمة من الاختراع، وهو الشيء يحدث من غير أصل سبق، ولا مثال احْتُذِيَ، ولا ألف مثله، ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] أَيْ: مُخْتَرِعُهَا من غير مثال سابق متقدم ومن هذا المِعنى سميت البدعة بدعة، واصطلاحًا: طريقة في الدِّين مخترعة، تضاهي الشرعِية يُقْصَد بالسلوك عليْها المبالغة في التعبد للَّه سبحانه، الحوادث والبدع، للطرطوشي (ص ٤٠) الاعتصام، للشاطبي (٤٥/١).

(٥) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ٥١).

(٦) الاستقامة (١٢٨/٢).

ثالثًا: تعريف الصوفية.

يجدر بنا قبل الحديث عن تعريف التصوف لغةً وأصلًا اشتقاقيًا وبيانًا لمعناه الاصطلاحي؛ أن نتحدث عن الكلمة (الصوفية) كيف كان ظهورها وبروزها؟ ومتى عرفت؟ وقد ظهر من خلال الاطِّلاع على ما تيسر مما كتب عن الصوفية والتصوف؛ أنه حصل في ذلك اختلاف وتباين في الآراء.

فصاحب اللمع أبو السرَّاج الطوسي[١] يُقر أن الاسم لم يكن يسمع في أصحاب رسول الله ﷺ، ولا فيمن كان بعدهم، والسبب في رأيه: أن الصحبة مع رسول الله ﷺ لها حرمة، وتخصيص من شمله ذلك فلا يجوز أن يعلق عليه اسم على أنه أشرف من الصحبة، وذلك لشرف رسول الله ﷺ وحرمته[٢].

أما السُهْرَوَرْدي صاحب العوارف[٣] فعن تاريخ ظهوره الاسم يذكر أنه: لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل: كان في زمن التابعين، وقيل: لم يعرف هذا الاسم إلى المئتين من الهجرة النبوية[٤].

وهذا الصوفي الآخر «الهجويري»[٥] يذكر أن هذا الاسم لم يكن موجودًا وقت الصحابة والسلف[٦].

---

(١) هو عبد الله بن علي بن مُحَّد، أبو نصر السّرّاج، شيخ الصوفية، وصاحب كتاب اللمع في التصوف، قال السُّلَمي: كان المنظور إليه في لسان القوم، قال ابن الجوزي عن كتاب اللمع: «وصنف لهم أبو نصر السراج كتابًا أسماه: لمع الصوفية، ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول " توفي سنة ٣٧٨ هـ ينظر: تلبيس إبليس، لابن الجوزي (٩٤٧/٣) تاريخ الإسلام، للذهبي (٤٥٢/٨) شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي (٤١٣/٤) ينظر في ترجمته الأعلام (١٠٤/٤).

(٢) ينظر: اللمع، للطوسي (ص ٤٢) عوارف المعارف، السهروردي (ص: ٤٨) نفحات الأنس ، للجامي (ص ٥٨).

(٣) هو: عمر بن مُحَّد بن عبد الله البغدادي الشّافعي شهاب الدّين السُهْرَوَرْدي الواعظ، من كبار الصوفية،صحب عمه الشَّيْخ أَبا النجيب عبد القاهر وأخذ عنه التصوف والوعظ وصحب أَيضا الشَّيْخ عبد الْقَادر الجيلي (الجيلاني)، له من التصانيف: رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية،، رسالة في السلوك، و عوارف المعارف وهو الأشهر، حتى يقال: السهروردي صاحب العوارف، كان له مجلس وعظ في بغداد، توفي سنة ٦٣٢ هـ ببغداد، ينظر: معجم البلدان (٢٨٩/٣) وفيات الأعيان (٤٤٦/٣) سير أعلام النبلاء (٢٢/ومابعدها) طبقات الشافعية (٣٣٩/٨) شذرات الذهب (٢٦٨/٧) هدية العارفين (٧٨٦/١) الأعلام (٦٢/٥).

(٤) ينظر: عوارف المعارف ، السهروردي (ص ٤٨).

(٥) هو: علي بن عثمان الجلابي الهجويري اللاهوري، كان أبوه متصوفًا، صحب أباه وتأثر به في سلوك التصوف، وقد أخذ الهجويري عن الشيخ أبي القاسم القشيري وآخرين، له من التصانيف: والديوان، منهاج الدين، وكشف المحجوب في التصوف، وهو أشهرها في بيان أصول الطريقة وهو أقدم مؤلف في التصوف وهو في الفارسية بمكانة كتاب اللمع من العربية، توفي الهجويري سنة ٤٦٥ هـ بلاهور، وقبره بها اتخذ مزارًا يتبرك به.
ينظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، للطالبي (٩١/١) وينظر مقدمة تحقيق كتاب كشف المحجوب، إسعاد قنديل (ص ٣٩ وما بعدها).

(٦) ينظر: كشف المحجوب (٢٣٩/١).

أما أبو القاسم القشيري[١] فيذكر في رسالته أن هذه الكلمة ظهرت قبل المئتين من الهجرة[٢].

ويوافقه في ذلك ابن الجوزي[٣] حيث بيَّن أن الاسم قد ظهر للقوم -أي الصوفية- قبل سنة مئتين[٤].

وابن خلدون[٥] فَصَّل في ذلك - مستطردًا في ذكر سبب النشأة - حيث ذكر أن ظهورها كان في: «القرن الثّاني عندما فشا الإقبال على الدّنيا في القرن الثّاني وما بعده، وجنح النّاس إلى مخالطة الدّنيا اختصّ المقبلون على العبادة باسم الصّوفيّة والمتصوّفة[٦].

---

(١) هو: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري المفسر، شيخ خراسان في التصوف، أخذ التصوف عَن أستاذه أبي علي الدقاق،كان يَعرف الأصول على مذهب الأشعري والفروع على مذهب الشافعي،له من التصانيف: التيسير في علم التفسير، و الرسالة في رجال الطريقة، قال ابن الجوزي عن كتابيه التفسير والرسالة: «وصنف لهم عَبْد الكريم بْن هوزان القشيري؛ كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء والبقاء والقبض والبسط إِلَى غير ذلك من التخليط الذي ليس بشيء وتفسيره أعجب مِنْهُ» توفي سنة ٤٦٥ هـ بنيسابور، ينظر:تاريخ بغداد، للخطيب (٨٣/١١) تلبيس إبليس (٩٥٣/٣ . ٩٦١) وفيات الأعيان (٢٠٦/٣ . ٢٠٧) طبقات الشافعية (٥ /١٥٤).

(٢) ينظر: الرسالة القشيرية (٣٤/١) وينظر: سير أعلام النبلاء (١٨-٢٢٧) تاريخ الإسلام (٢١٧/١٠) للذهبي، شذرات الذهب (٢٧٥/٥) الأعلام (٥٧/٤).

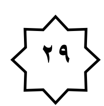
(٣) هو: عبد الرحمن بن علي الجوزي البغدادي، كان إمام وقته في الوعظ، صنف في فنون عديدة، منها " زاد المسير في علم التفسير، و المنتظم في التاريخ، و الموضوعات، وتلبيس إبليس، وصف شيخ الإسلام عقيدته في الصفات بأنه: «لم يثبت على قدم النَّفْي ولا على قدم الإِثْبات؛ بل له من الكلام في الْإِثبات ما أَثْبت به كثيرًا من الصِّفات الَّتِي أَنْكرها» توفي سنة ٥٩٧ هـ ببغداد.

ينظر:وفيات الأعيان، (١٤٠/٣) مجموع الفتاوى (١٦٩/٤) سير أعلام النبلاء (٣٦٥/٢١) وينظر: شذرات الذهب (٤٧/١) والأعلام (٣١٦/٣).

(٤) تلبيس إبليس (٩٣٨/٣).

(٥) هو: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن خلدون الحضرمي الإشبيلي، صاحب التاريخ؛ الذي اشتهرت منه المقدمة شهرة لم تكتب إلا للقلّة من المصنفات الإسلامية في جميع العصور، حتى دعي بصاحب المقدمة أو دعيت هي بـ: مقدمة ابن خلدون، وفي تونس نشأ ابن خلدون، وأخذ العلم عن جمهرة من علمائها، من تصانيفه: كتاب في الحساب، ورسالة في المنطق، و شفاء السائل لتهذيب المسائل، توفي في القاهرة سنة ٨٠٨ هـ.
شذرات الذهب (٧١/١) الأعلام (٣٣٠/٣).

(٦) تاريخ ابن خلدون (ص ٦١١).



وقد كانت النسبة «فِي زمن رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليْه وسلَّم إِلَى الإسلام والإيمان فيقال مسلم ومؤمن ثم حدث اسم زاهد وعابد ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد[١] والتعبد، فتخلَّوا عن الدنيا وانقطعوا إِلى العبادة واتخذوا فِي ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقًا تخلقوا بها»[٢].

أما من المستشرقين[٣] الباحثين بالتصوف[٤] ك: «نيكلسون» فقد ذَكَرَ أن ظهور هذه الكلمة: «حواليّ نهاية القرن الثاني الهجري»[٥].

لكن ماسينيون[٦] المستشرق الآخر له رأي آخر؛ فقد نَص على أن «لفظ الصوفي وردَ منفردًا لأول مرة في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي»[٧].

وهناك رأي آخر؛ وهو يتعلق بجريان الكلمة على ألسنة العرب وهو أنها «لم تدخل في اللغة العربية، ولم تجرِ على ألسنة العرب في الجاهلية ولا في صدر الإسلام ولا في مدة عصر الخلافة

---

(١) الزهد: في اللغة ترك الميل إلى الشيء، وفي الاصطلاح: هو بغض الدنيا والإعراض عنها، وقيل: هو ترك راحة الدنيا طلبًا لراحة الآخرة، و الزُّهد المشروع، كما عرفه شيخ الإسلام بأنه: «هو ترك الرَّغبة فيما لا ينفع في الدَّار الآخرة؛ وهو فضول المباح الَّتي لا يستعان بها على طاعة الله." التعريفات، للجرجاني (ص١٥٢) التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ضمن مجموع الفتاوى (٢١/١٠).

(٢) تلبيس إبليس (٩٢١/٣).

(٣) المستشرقين: يطلق لفظ المسْتَشْرِقِ على الدارس للغات الشرق وفنونه وحضارته، وقد حظي الإسلام واللغة العربية باهتمام المسْتَشْرِقِينَ الذين أَوْلَوْا هذين الموضوعين عنايتهم أَيَّمَا عناية، والاستشراق في الحقيقة والواقع خادم للاستعمار وأهدافه، وهو يتخذ من دراسة التراث الشرقي وسيلة لمحاربة الإسلام، والتشكيك في مصادره ليصرف المسلمين عن دينهم. ينظر: المستشرقون والسُنَّة، سعد المرصفي (ص٩) و الإستشراق وجهوده وأهدافه، عبد المنعم حسنين (ص ٨٠)

(٤) ويعد المستشرقون من موالي الصوفية وأنصارهم، كما يصفهم العالم والباحث بالصوفية إحسان إلهي ظهير، ينظر التصوف المنشأ والمصادر (ص ٤٢).

(٥) ينظر: الصوفية في الإسلام (ص ١١).

(٦) هو: لويس ماسِنْيون، مستشرق فرنسي، من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي الفرنسية، وكتب كثيرًا في دائرة المعارف الإسلامية،عُرف خصوصًا بدراساته للتصوف الإسلامي عامة، وفي الحلاج بخاصة، فكتب عن " مصطلحات الصوفية، و أخبار الحلاج ونشر ديوان الحلاج، وغيرها، وقد اهتم كذلك بمذهب الشيعة وما تفرع عنه من مذاهب غالية، وكل ذلك حرباً على الإسلام والمسلمين عقيدة وشريعة وسلوكاً، توفي سنة ١٣٨٢هـ ينظر: الأعلام (٢٤٧/٥) موسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي (ص ٥٢٩).

(٧) ينظر: التصوف ماسينيون ومصطفى عبدالرازق (ص ٢٦).

الأموية، فهي كلمة ولدت فيما ولد، واستحدث من كلمات في العصر العباسي الأول؛ حيث اشتد اختلاط المسلمين مع الفرس، والروم، بالعرب، وامتزجوا بهم، في هذا الجو ولدت كلمة التصوف»[١].

أما شيخ الإسلام -رحمه الله- فله رأي مخالف حيث يرى أن: لفظ الصوفية «لم يكن مشهورًا في القرون الثلاثة، وإنما اشُتهر التكلم به بعد ذلك، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ: كالإمام أحمد بن حنبل، وأبي سليمان الداراني[٢] وغيرهما، وقد روي عن سفيان الثوري[٣] أنه تكلم به، وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري[٤]»[٥].

وقال في موضع آخر، عند كلامه عن الزهد: «وكذلك في أَثناء المئة الثَّانية صاروا يُعَبِّرُون عن ذلك بلفظ " الصُّوفِي "؛ لِأَنَّ لُبْس الصُّوف يكثر في الزُّهَّاد»[٦].

أما صيغة الجمع " الصوفية " فقد ظهرت عام ١٨٩ هـ[٧].

---

(١) التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام، عبدالكريم الخطيب (ص ٧٣).

(٢) هو: عبد الرَّحمن بن أَحمد وقيل عبدالرحمن بن عطيَّة العبسي، من بني عبس، الزاهد المشهور، أحد رجال التصوف، من قدماء مشايخ الشام، وَدَارِيًا ويقال: داران، قرية من قرى دمشق، أُثرت عنه المقولة الشهيرة: «ربَّما يقع في قلبي النُّكْتَة من نكت القوم أَيَّامًا، فلا أَقبل منه إلاَّ بشاهدين عدلين؛ الكتاب والسُّنَّة "، توفي سنة ٢١٥ هـ ينظر: حلية الأولياء (٢٥٤/٩) الرسالة القشيرية (٦١/١) وفيات الأعيان (١٣١/٣) تاريخ دمشق، لابن عساكر (١٢٢/٣٤) سير أعلام النبلاء (١٨٣/١٠) تاريخ الإسلام (٣٦٩/٥) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٤٥) نفحات الأنس، للجامي (ص: ٩٧).

(٣) هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، إمام الحفَّاظ، قال شعبة: سفيان الثَّوري أَمير المؤمنين في الحديث، أدرك جماعة من كبار التابعين، مُصنِّف كتاب الجامع روى له: الجماعة السّتَّة في دواوينهم، مات: سنة ١٢٦ هـ ينظر: حلية الأولياء (٣٥٦/٦) صفة الصفوة (٢/ ٨٥) وفيات الأعيان (٣٨٦/٢) سير أعلام النبلاء (٢٣٠/٧).

(٤) هو: الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري، الفقيه الزَّاهد،كان الْحسن من سادات التابعين وكان من خير أهل زمانه، أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي ﷺ، كان جلّ كلامه حكم ومواعظ،توفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (١١٥/٧) حلية الأولياء (١٣١/٢)، وفيات الأعيان (٦٩/٢) شذرات الذهب (٤٨/٢).

(٥) الصوفية والفقراء، ضمن الفتاوى (١١/ ٥).

(٦) المصدر السابق: (٢٩/١١).

(٧) ينظر: التصوف ماسينيون ومصطفى عبدالرازق (ص ٢٦-٢٧).

ويتضح مما سبق أنه رغم الخلاف في تاريخ نشأة وظهور تلك الكلمة، إلا أن الجميع متفق على أن هذه الكلمة، لم تظهر في عهد الرسول ﷺ، ولا في القرن الأول، ولا حتى في النصف الأول من القرن الثاني، فهي إذن كلمة محدثة لم تكن معروفة سلفًا.

ومما يتصل بالموضوع معرفة أول من أطلقت عليه هذا اللقب -على خلاف- فقد نُعت به في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي جابر بن حيان[١] وهو صاحب كيمياء شيعي من أهل الكوفة[٢] له في الزهد مذهب خاص، وأبو هاشم الكوفي المتصوف المشهور[٣] وعبدك الصوفي[٤] فكانت في أول أمرها مقصورة على الكوفة[٥]، وذلك بسبب هروب الناس من الأحداث الجارية، فكان نتيجة ذلك الهروب الاتجاه للزهد[٦].

---

(١) هو: جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي المعروف بالصوفي، فيلسوف كيميائي،قالت الشيعة إنه من كبارهم، له تصانيف كثيرة، منها: أسرار الكيمياء، وعلم الهيئة، وأصول الكيمياء، وتوفي بطوس سنة ٢٠٠ هـ. ينظر: الأعلام (١٠٣/٢) معجم المؤلفين، عمر كحالة (١٠٥/٣)

(٢) الكُوفة: بالضم: المصر المشهور، سميت بالكوفة لاستدارتها،، وهي على معظم الفرات ومنه شرب أهلها، وقد مَصرها المسلمون بعد البصرة في أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. ينظر: معجم البلدان ، للحموي (٤٩٠/٤/٤٩٣) آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني (ص ٢٥٠) الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (ص ٥٠١).

(٣) هو: عثمان ويقال قُدَيْمٌ بن شريك أبو هاشم الصوفي الكوفي، كان مشهورًا بكنيته، من قدماء زهاد بغداد، ذكر أنه من متقدِّمي البغْداديين بالتَّحْقيق بالتَّصوُّف،، وقد اختلف في أمره، فأخباره قليلة ومضطربة، ويرى الجامي: أنه لم يسمَّ بالصوفي أحد قبله. توفي سنة ١٥٠ هـ. ينظر: حلية الأولياء (١١٢/١٠-٢٢٥) تاريخ بغداد (٣٩٨/١٤) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (٤١٤/١) نفحات الأنس، للجامي (ص ٦٦) التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير (ص ١٣٩) الصلة بين التصوف والتشيع، للشيبي (ص ٢٩٠)

(٤) هو: عبدك الصوفي الكوفي الشيعي، واسم عبدك عبد الكريم، وإليه تنسب جماعة، وهو أول كوفي يطلق عليه اسم صوفي، كان من القائلين بالإمامة بالتعيين، نَسب إليه الملَطي فرقة سماها بالعبدكية عدهم من الزنادقة، توفي ببغداد حوالي عام ٢١٠هـ، ينظر: التنبيه والرد (ص ٩٣) الأنساب، للسمعاني (٢٤٢/٨) الصلة بين التصوف والتشيع، للشيبي (ص ٢٩٣) التصوف، لماسينيون ومصطفى عبدالرازق (ص ٢٧).

(٥) ينظر: التصوف، ماسينيون ومصطفى عبدالرازق (ص ٢٦-٢٧) وينظر: الصلة بين التصوف والتشيع (ص ٢٨٧).

(٦) ينظر: الصلة بين التصوف والتشيع (ص ٢٨٢).

ولشيخ الإسلام رأي آخر وهو أن أول ما ظهرت الصوفية في البصرة[١] عندما بنى عبد الواحد بن زيد[٢] تلميذ الحسن البصري دويرة للصُّوفيَّة؛ هِي أَوَّل ما بُني في الإِسلام[٣].

والجدير بالذكر أن هؤلاء الثلاثة (جابر بن حيان، وأبو هاشم، وعبدك) الذين يقال عنهم بأنهم أول من سمّو بهذا الاسم وتلقبوا بهذا اللقب مطعونون في مذاهبهم وعقائدهم، ورمى كل واحد منهم بالفسق والفجور وحتى الزندقة، وخاصة جابر بن حيان، وعبدك[٤].

الأصل الاشتقاقي للكلمة:

أما عن أصل الكلمة الاشتقاقي ومما اشتقت منه فقد كثر الكلام حول أصل هذه الكلمة الاشتقاقي، وتعددت الاتجاهات والآراء في ذلك وتنوعت، ولا زال الخلاف قائمًا. وسأذكر هنا ما وقفت عليه، وأطيل فيما حقه الإطالة، وأختصر فيما حقه الاختصار، مبينًا الرأي المختار في هذه المسألة، والذي يوافق دلالة اللغة، فمن هذه الآراء:

الرأي الأول: أن التصوف مشتق من الصفاء أو " الصفو " وهذا الرأي قال به أبو نُعيم الأصبهاني[٥] في الحلية.

---

(١) البصرة: هي المدينة المشهورة، بنيت في خلافة عمر ﷺ سنة أربع عشرة، سميت بصرة لغلظها وشدّتها، وهي مدينة كثيرة النخيل والأشجار، استعمل عمر عليها؛ أبو موسى الأشعري،، ينظر: معجم البلدان، للحموي (١/ ٤٣٠-٤٣٣) آثار البلاد وأخبار العباد (ص ٣٠٩-٣١١) الروض المعطار في خبر الأقطار (ص ١٠٧).

(٢) هو: عبد الواحد بن زيد أَبو عبيدة البصري، شيخ الصوفية بالبصرة، متروك الحديث، وقد نُسب إلى شيْءٍ من القدر، ولم يشهر، وقد ذكر أنه رجع، له حكايات كثيرة في الزهد والرقائق، روى عنه أهل البصرة، توفي سنة ١٦٠ هـ، ينظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٣٩/٤) سير أعلام النبلاء (١٧٨/٧) لسان الميزان (٨٠/٤-٨١) شذرات الذهب (٣٤٦/٢) الطبقات الكبرى للشعراني (٨٧/١).

(٣) التحفة العراقية في الأعمال القلبية (ضمن الفتاوى ٣٥٨/١٠-٣٥٩).

(٤) ينظر: التصوف المنشأ والمصادر (ص ٤٣).

(٥) هو: أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني الصوفي الأحول، الحافظ المؤرخ، الجامع بين الفقه والتصوف، وقد قامت شهرة الرجل على كتابه الكبير الشهير (حلية الأولياء)، الذي ذكر فيه-كما يصف ابن الجوزي-في حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة، ولم يمتنع أن يذكر في الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا وسادات الصحابة ﷺ، ومصنفاته كثيرة منها: تاريخ أَصْبَهَان، ودلائل النُّبُوَّة، و فضائل الصَّحابة، توفي سنة ٤٣٠هـ، ينظر:تلبيس إبليس، (٩٥١/٣-٩٥٢) وفيات الأعيان (٩١/١)، تذكرة الحفاظ (١٩٥/٣) طبقات الشافعية (١٨/٤)، شذرات الذهب (٣٦/١).

ونص كلامه: «فأَمَّا التَّصوف فاشْتقاقه عند أَهل الإشارات، والْمُنَبِّئِين عنه بالعبارات من الصَّفاء»[١] وبه قال: الطوسي ونقل الكلاباذي[٢] في كتابه التعرف هذا الاشتقاق أنها – أي الصوفية – إِنَّمَا سميت صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها، ونقل عن بشر بن الحارث[٣] أن الصوفي: من صفا قلبه لله[٤]، ومال إلى ذلك ابن زورق[٥] في قواعده[٦] وابن عجيبة[٧] بأنه مشتق من الصفاء[٨].

جاء عن الجنيد[٩] قوله: «مَا أَخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدُّنيا وَقطع المألوفات والمستحسنات؛ لأَن التصوف هو صفاء الْمعاملة مع الله تعالى»[١٠] ونُقل عن

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٧/١).

(٢) هو: مُحَّد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري من حفاظ الحديث، له من التصانيف: بحر الفوائد ويعرف بمعاني الأخبار، و التعرف لمذهب أهل التصوف، وهو أشهرها، وهو كتاب مختصر مشهور، أُعتنى به المتصوفة وقالوا فيه: لولا التعرف لما عُرف التصوف، توفي سنة ٣٨٠ هـ ينظر: كشف الظنون (٤١٩/١) الأعلام ، للزركلي (٢٩٥/٥).

(٣) هو: بشْر بن الْحارث المرْوَزِي الزاهد، المشهور: بالحَافِي، أحد رجال التصوف، كان رأْسًا في الورع والإِخلاص، اعتزل الحارث الناس أيام فتنة القول بخلق القرآن، توفي ببغداد سنة ٢٢٧ هـ، ينظر: طبقات الصوفية، للسلمي (ص٤١) حلية الأولياء، لأبي نعيم (٣٣٦/٨)، و تاريخ بغداد (٧١/١) تلبيس إبليس (١٠٥٣/٣)، وفيات الأعيان (٢٧٥/١)، وسير أعلام النبلاء (٤٧٠/١٠)، وينظر الرسالة القشيرية (٤٨/١) صفة الصفوة (٤٧٢/١) الطبقات الكبرى، للشعراني (١٣٣/١)، نفحات الأنس للجامي (ص١٣٣ ـ ١٣٤).

(٤) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (ص ٢١).

(٥) هو أحمد بن أحمد بن مُحَّد الفاسي المالكي، الشهير بزورق، فقيه محدث صوفي، من أهل فاس بالمغرب، غلب عليه التصوف، له تصانيف عدة منها: شرح مختصر خليل في فقه المالكية، والقواعد في التصوف وهو أشهرها، وله عدة شروح للحكم العطائية، توفي سنة ٨٩٦ هـ بمسراطة من أعمال طرابلس، ينظر: الضوء اللامع، للسخاوي (٢٢٢/١) شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي (٥٤٧/٩)، شجرة النور الزكية مُحَّد مخلوف (٣٨٦/١)، الأعلام، للزركلي (٩١/١).

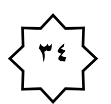
(٦) قواعد التصوف (ص ٢٤).

(٧) هو: أحمد بن محمَّد بن عجيبة الحسني الفاسي، من أهل المغرب مفسر صوفي، له تصانيف كثيرة منها: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، و الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الأجرومية، جمع فيه بين النحو والتصوف، وإيقاظ الهمم في شرح الحكم. توفي سنة ١٢٢٤ هـ، في أنجرة بين طنجة وتطوان، ينظر: شجرة النور الزكية، مُحَّد مخلوف (٥٧١/١)، الأعلام (٣٤٥/١).

(٨) إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، أحمد بن عجيبة (ص ٧).

(٩) هو: الجنيد بن مُحَّد بن الجنيد الخزاز، ويقال: القواريري، أصله من نهاوند إلا أن مولده ومنشأه ببغداد، يعرف بسيد الطائفة، كان كلامه بالنصوص مربوطًا ـ كما وصفه أبو نعيم في الحلية ـ كانت الاستقامة والمتابعة غالبة عليه، من كلامه: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، كَانَ فَقِيها يفتي الناس على مذهب أبي ثَوْر، قال عنه السلمي في الطبقات: «مقبول على جميع الألسنة " له رسائل منها: دواء الأرواح، توفّي سنة ٢٩٧ هـ، ينظر: طبقات الصوفية (ص ١٥٥–١٥٦)، حلية الأولياء (٢٥٥/١٠)، تاريخ بغداد (٢٤٩/٧)، الرسالة القشيرية (٧٨/١)، صفة الصفوة (٥١٨/١)، وفيات الأعيان (٣٧٣/١)، مجموع الفتاوى (٣٩٣/١١)، نفحات الأنس للجامي (ص ٣٥٧)، الطبقات الكبرى، للشعراني (١٥٤/١)، الأعلام (١٤١/٢).

(١٠) طبقات الصوفية (ص ١٣١).



سهل التستري[١] ذلك أن الصوفي من صفا عن الكدر[٢] وسُئل مُحَّد بن خفيف[٣] عن التصوف فقال: تصفية القلب عن موافقة البشرية[٤] وبه قال أبو الحسين النوري[٥]؛ بأنهم الذين صفت أرواحهم[٦] وغيرهم كذلك مما عبروا عنه.

وسبب ربطهم التصوف بصفاء القلب والنفس – باعتقادهم – لأن صفاء القلب لذكر الله تعالى؛هو سمو روحي عمل النبي ﷺ على تعزيزه في قلوب أصحابه[٧].

---

(١) هو: سهل بن عبد الله بن يونس التُستري، الصُّوفي الزَّاهد، أحد أئمة الصوفية، كان من أعيان الشيوخ في زمانه يعد مع الجنيد، والتُسْتَري؛ نسبة إلى تُستر، وهي بلدة من كور الأهواز من خوزستان، وكان صاحب كرامات، له كلمات نافعَة ومواعظ، في تصْفِية الْأَعمال وتنقيَة الأَحوال، من كلام سهل: «لا معين إلاَّ الله، ولا دليل إلاَّ رسول الله، ولا زاد إلاَّ التَّقوى، ولا عمل إلاَّ الصَّبر عليه»، كانت وفاته سنة ٢٨٣ هـ، بالبصرة، ينظر:وفيات الأعيان (٢/٤٣٠) ينظر: حلية الاولياء (١٠/١٨٩)، و الرسالة القشيرية (١/٥٩)، وصفة الصفوة (٢/٢٢٧)، و فيات الأعيان (٢/٤٢٩) سير أعلام النبلاء (١٣/٣٣٠) وتاريخ الإسلام (٦/٧٥٦) كليهما للذهبي.

(٢) عوارف المعارف (ص ٥٧).

(٣) هو: محمَّد بن خفِيْف بن اسفكشَار، وقيل إسفكشاد الضَّبِّي الفارسي الشِّيْرازي، المقيم بشيراز، الشَّيخ الفقيه القدوة، كانت أمه نيسابورية وكان شيخ المشايخ في وقته، فقيه على مذهب الشافعي، عده شيخ الإسلام من أهل السنة والجماعة هو والفضيل وسهل التستري وعد آخرين، توفي سنة ٣٧١ هـ، ينظر: طبقات الصوفية (ص ٤٦٢)، الرسالة القشيرية (١/١٤٠)، الصفدية شيخ الإسلام (١/٢٦٧)، سير أعلام النبلاء (١٦/٣٤٢)، و تاريخ الإسلام (٨/٣٦٥)، كلاهما للذهبي، شذرات الذهب (٤/٣٨٦).

(٤) طبقات الصوفية، للسلمي (ص: ٣٤٦).

(٥) هو: أَحمد بن محمَّد وقيل محمَّد بن محمَّد وأحمد أصح، بغدادي المنشأ والمولد خراساني الأَصْل، والنوري نسبة إلى نور؛ بلدة بين بخاري وسمرقند، كان من أجل مشايخ الصوفية وعلمائهم، وكان صوفِيًّا متكلمًا، له عبارات دقيقة يتعلق بها من انحرف من الصوفية، توفّي سنة ٢٩٥ هـ ينظر: طبقات الصوفية (١٦٤)، حلية الأولياء، لأبي نعيم (١٠/٢٥٠)، تاريخ بغداد (٥/٣٣٨)، صفة الصفوة (١/٥٣٠)، تاريخ الإسلام (٦/٨٩١)، طبقات الأولياء لابن الملقن (١/٦٢).

(٦) كشف المحجوب (١/٢٣٢).

(٧) التصوف منشؤه ومصطلحاته (ص ١٩)، ورجح ذلك عبداللطيف العبد في كتابه التصوف في الإسلام (ص ١٤-١٥) أنه من صفاء القلب، رغم أنه بعد ترجيحه قال: ولعل التصوف كله مؤسس على تصفية القلب والروح، واستشهد كما استشهد غيره بما نظمه أبو الفتح البستي حين قال:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا جهلًا وظنوه مأخوذًا من الصوف

ولست أمنح هذا الاسم غير فتىً صفا فصوفي حتى سُمي الصوفي

وقد ضعف هذا الاشتقاق الكلاباذي الصوفي؛ حيث ذكر أنه لو صح أخذها من الصفاء والصفوة لكَانَت صفوية[١] ورفضها كذلك القشيري حيث ذكر أنه «بعيد في مقتضى اللغة»[٢]، وممن رفض ذلك لغة شيخ الإسلام ابن تيمية وبين أن ذلك غلط، وأن النسبة لو صحت لكانت: صفوي[٣] وممن وافق المانعين كذلك؛ ابن خلدون[٤] حيث بين أن ذلك بعيد[٥] وكذلك المستشرق ماسينيون[٦] ووافقه المستشرق الآخر والباحث في التصوف "نيكلسون" بعد أن ذكر أن أكثر الصوفية يشتقونها من (الصفاء) غير عابئين بقواعد التصريف والاشتقاق، ومعنى هذا كما يذكر.

(نيكلسون) أن الصوفي هو الصافي القلب.[٧].

وممن ضعفها من المعاصرين عباس العقَّاد[٨] [٩].

وليس هذا الفرض إلا حذلقة من بعض الصوفية كما يصف ذلك أحد الكتاب[١٠].

---

(١) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (ص ٢٤)، وينظر: عوارف المعارف (ص ٤٦-٤٧).

(٢) الرسالة القشيرية (ص ٢٧٩).

(٣) ينظر: الصوفية والفقراء ضمن الفتاوى (١١/ ٦) وينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ٥٣).

(٤) لقد عاش ابن خلدون في عصر عَجَّ بالصوفية، وكان لهم فيه وجود بارز، وتأثير واضح في مجريات الأمور، وخاصة في السيطرة على قلوب عامة المسلمين وبعض حكامهم وانتشرت الطرق الصوفية في أرجاء العالم الإسلامي، فلا غرو إذن أن تلفت هذه الظاهرة نظر ابن خلدون، ينظر: ابن خلدون وآراءه الاعتقادية، عبدالله عبدالجليل (ص ٣٣١) ولذلك نجد قد أفرد الكلام عن التصوف في مؤلفين له هما؛ المقدمة وشفاء السائل وأبان موقفه فيهما أي موقفه من التصوف.

(٥) تاريخ ابن خلدون (ص ٦١١)، وينظر: شفاء السائل لتهذيب المسائل، لابن خلدون (ص ٥٣).

(٦) ينظر: التصوف، ماسينيون ومصطفى عبدالرازق (ص ٢٥).

(٧) ينظر: الصوفية في الإسلام (ص ١١).

(٨) هو: عباس بن محمود بن إبراهيم العقاد: إمام في الأدب، مصري، من المكثرين كتابة وتصنيفًا، كان أحد أسلافه يعمل في (عقادة) الحرير فعرف بالعقاد، شُغف بالمطالعة، كان من أعضاء المجامع العربية الثلاثة بدمشق والقاهرة وبغداد، انقطع إلى الكتابة في الصحف والتأليف، صَنفَّ في أنواع مختلفة من الأدب منها: كتاب عن الله، و سلسلة العبقريات، و مراجعات في الأدب والفنون، توفي سنة ١٣٨٣ هـ بالقاهرة، ينظر:الأعلام (٣/٢٦٦).

(٩) مطالعات في الكتب والحياة ، عباس العقاد (ص ٥٦).

(١٠) ينظر:التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، زكي مبارك (١/٦٦).

الرأي الثاني: أن تلك الكلمة مشتقة من الصف الأول، والسبب كما نقل الكلاباذي «لأَنهم فِي الصَّف الأول بين يدي الله جل وعز بارتفاع هممهم إِلَيْهِ وإقبالهم بقلوبهم عليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه»[١] ومن ذلك قول أبو الحسن النوري أن الصوفية هم: «الذين صفت أرواحهم فصاروا في الصف الأول بين يدي الحق»[٢] ويشير القشيري إلى تعريف أبو الحسن النوري؛ حيث يذكر: بأنه مشتق من الصف، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم، إلا أنه رغم تصحيحه للنسبة من ناحية المعنى، قد رفضها من ناحية اللغة، وأن اللغة لا تقتضي ذلك[٣].

وَمِمَّن غَلَّط هذه النسبة شيخ الإسلام حيث ذكر؛ أنه لو صحت النسبة لكان حَقه أَن يقال: صَفية أو لقيل: صَفي[٤].

الرأي الثالث: إن تلك الكلمة مشتقة من الكلمة اليونانية (سوفيا) و وممن قال بذلك البيروني[٥] وذلك عند كلامه عن عقائد الهنود، عند من يرى أن الأشياء كلها شيء واحد، وأن هذا رأي السوفيَّة وهم الحكماء فإنّ (سوف) باليونانيّة الحكمة وبها سمّى الفيلسوف (بيلاسوبا) أي محبّ الحكمة ولما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سمّوا باسمهم[٦].

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص ٢١).

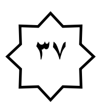
(٢) كشف المحجوب (٢٣٢/١).

(٣) ينظر: الرسالة القشيرية (٤٤٠/٢)، وينظر: التصوف منشؤه ومصطلحاته (ص ١٩).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٦٩/١٠)، ورسالة الصوفية والفقراء ضمن الفتاوى (١١/ ٦)، وينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ٥٣)، وممن ضعف هذا الرأي عبداللطيف العبدة في كتابه التصوف في الإسلام (ص ١٤).

(٥) هو: مُحَمَّد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي من أهل خوارزم، منسوب إِلى بيرون وهي مدينة في السَّنَد، كان مشتغلا بالعلوم الْحِكمِيَّة، و في علم الْهَيْئَة والنجوم، وله نظر جيد فِي صناعة الطِّبّ، أقام في الهند بضع سنين، اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود، وعلت شهرته، له تصانيف كثيرة منها: كتاب الْجَمَاهِر فِي الجواهر، و الصيدلة، و مقاليد علم الهيئة، وكتابه الأشهر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة توفي سنة ٤٤٠ هـ بخوارزم، ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (ص ٤٥٩)، الأعلام (٣١٤/٥) معجم المؤلفين، (٢٤١/٨).

(٦) ينظر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (ص ٢٧).



وممن خطَّأ البيروني في تلك النسبة من الصوفية؛ زكي مبارك[١] وأن ذلك ضربًا من الإغراب! وعلل ذلك بأن العرب كانوا مولعين بحفظ ما يدخل لغتهم من الألفاظ الأجنبية، ثم قال: إن غرام بعض الكاتبين من أهل هذا الزمان برد الصوفي إلى (سوفيا) اليونانية يمثل إحدى النزعات العصرية[٢].

وقد ضعف رأي البيروني؛ المتصوف المعاصر عبدالحليم محمود[٣][٤]، وقد مال لتلك النسبة عباس العقاد، وأنه مشتقة من الكلمة اليونانية (الثيو سوفي) Theosophy «أي الحكمة الإلهية[٥] وصرح بذلك أيضًا في كتاب له آخر حيث يقول: «والصواب أن الكلمة يونانية بمعنى الحكمة الإلهية من (ثيوس)[٦] وهي -كما يرى- بأنها كلمة شائعة إلى اليوم في اللغات الأوربية بهذا المعنى Theosophy[٧].

وقد ذَكر تلك النسبة دون ترجيح لصحتها السهروردي في عوارفه، بقوله: «قيل كان هذا الاسم في الأصل صفوي فاستقل ذلك وجعل صوفيا»[٨] ونيكلسون بين أنه قول لبعض الباحثين الأوربيين، وأنهم يردونها إلى الكلمة الإغريقية (سوفوس) بمعنى ثيو صوفي»[٩].

---

(١) هو: زكي بن عبد السلام بن مبارك: أديب، اشتغل بالتدريس بمصر، وانتدب للعمل مدرّسًا في بغداد، وعاد إلى مصر، فعين مفتشًا بوزارة المعارف وكانت وفاته في القاهرة، له من التصانيف: النثر الفني في القرن الرابع، و البدائع مقالات في الأدب والإصلاح، و الأخلاق عند الغزالي، توفي في القاهرة سنة ١٣٧١ هـ، ينظر: الأعلام (٤٧/٣).

(٢) ينظر: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق (٦٦/١) وذكر أن هذا الرأي قال به من المستشرقين فون هامر، وتعصب له الأديب عبدالعزيز الإسلامبولي، مُحَمَّد لطفي جمعة.

(٣) هو: عبدالحليم محمود، الصوفي شيخ الأزهر، أدخله والده الأزهر سنة ١٩٢٣ م، بعد تخرجه من المعهد الديني، ذهب إلى فرنسا لدراسة الدكتوراه، وكانت رسالته عن الحارث المحاسبي، بعد مشورة من المستشرق الفرنسي ماسينيون، تقلد عددًا من المناصب منها وزارة الاوقاف وانتهى به الأمر إلى مشيخة الأزهر عام ١٩٧٣ م، كانت له مطالبات قوية بتطبيق الشريعة في مصر، مُكثر من التصنيف من ذلك: الإمام الرباني عبدالله بن المبارك، و التفكير الفلسفي في الإسلام،حقق عددًا من الكتب في التراث الصوفي منها: اللمع، و الرسالة القشيرية، وكتب لنفسه سيرة ذاتية سماها: الحمد لله هذه حياتي، توفي سنة ١٣٩٨ هـ، ينظر: الحمد لله هذه حياتي (ص ٩٠-ومابعدها)، تتمة الأعلام للزركلي، مُحَمَّد خير يوسف (٢٧٠/١-٢٧١)، ذيل الأعلام، أحمد العلاونة (١١٥/١)، و إتمام الأعلام، نزار أباظة و مُحَمَّد المالح (ص ١٤٧).

(٤) قضية التصوف، المنقذ من الضلال (ص ٣٠).

(٥) ينظر: الفلسفة القرآنية، عباس العقاد (ص: ١٧٣).

(٦) مطالعات في الكتب والحياة، عباس العقاد (ص، ٥٦).

(٧) ينظر: المصدر السابق (ص ٥٦).

(٨) عوارف المعارف (ص ٤٧).

(٩) ينظر: الصوفية في الإسلام (ص ١١).

إلا أن المستشرق نولدكه[١] رفض هذه النسبة لأسباب تختص باللغة اليونانية؛ حيث إن حرف السين اليوناني يمثل في العصور المتأخرة بحرف السين العربي في جميع ماعرب من كلمات يونانية لا بحرف الصاد، فلو كانت مشتقة من أصل يوناني لكان بقاء الصاد في أولها خروجًا على القياس على أقل تقدير[٢].

الرأي الرابع: إنها نسبة لأهل الصُّفَّةُ[٣] والصُفة كانت في مؤخر مسجد النبي –صلى الله عليه وسلم– في شمال المسجد بالمدينة النبوية كان يأوي إليها من فقراء المسلمين من ليس له أهل ولا مكان يأوي إليه[٤] فبنيت لهم صُفة فِي مسجد رسول اللَّه –صلَّى اللَّه عليْه وسلَّم– وقيل: أهل الصُفة»[٥] جاء في الصحيح، عن أهل الصفة أنهم أضياف الإسلام، وأهل أضياف الإسلام لا يؤدون على أهل ولا مال ولا على أحد[٦].

يقول الكلاباذي في تعليله لهذه النسبة: «إِنَّمَا سموا صوفية لقرب أوصافهم من أَوصاف أهل الصّفة الَّذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عَلَيْه وسلم»[٧] وابن الجوزي يبين هنا السبب

---

(١) هو: تيودور نولدكه، من أكابر المستشرقين الألمان، انصرف إلى اللغات الساميّة والتاريخ الإسلامي فعُين أستاذًا لهما في جامعة غوتنجن سنة ١٨٦١ م، له كتب بالألمانية عن العرب وتاريخهم منها: تاريخ القرآن، و حياة النبي مُحَمَّد ﷺ، و النحو العربيّ وغيرها، اهتم بقراءة الشعراء الصوفية الفرس، توفي سنة ١٣٤٩ هـ، الأعلام (٢/٩٦) موسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي (٥٩٥).

(٢) مجلة المستشرقين الألمان ٤٨ /٤٥ (١٨٩١) نقلًا عن التصوف في القرنين الثاني والثالث الهجريين وموقف الفقهاء الأربعة منه، أبو الخيرتراسون (ص:٦).

(٣) اللمع، للطوسي (ص ٤٧) وينظر: كشف المحجوب (١/٢٢٧)، أساس البلاغة للزمخشري (١/٥٦٤)، تاريخ ابن خلدون (ص ٦١١)، شفاء السائل لتهذيب المسائل (ص ٥٢).

(٤) مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية (١/٢٧) وينظر: الصوفية والفقراء ضمن الفتاوى (١١/ ٣٨–ومابعدها) شفاء السائل لتهذيب المسائل (ص ٥٣).

(٥) تلبيس إبليس (٣/٩٣٠) وينظر: كشف المحجوب (١/٢٨٥) وَعدَّ الهجويري نفرًا كثيرًا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعدهم غيره كذلك إلا أن شيخ الإسلام يذكر أنه لم يُعرف كل واحد منهم، ينظر: الصوفية والفقراء ضمن الفتاوى (١١/٤١) مجموع الرسائل والمسائل (١/٢٨).

(٦) رواه البخاري، كتاب الرِّقاق، باب: كيف كان عيش النبي ﷺ وأَصحابِه، وتخلّيهم من الدُّنيا (٨/٩٦) رقم (٦٤٥٢) بلفظ: " وأَهل الصُّفَّة أَضْياف الإِسْلام، لا يأْوون إِلى أَهْل ولا مال ولا على أَحد " وأحمد في المسند (١٦/٣٩٨).

(٧) التعرف لمذهب اهل التصوف (ص ٢١).

في ذهاب البعض لهذا الاشتقاق من أنهم «إنما ذهبوا إِلَى هَذَا لأنهم رأوا أهل الصفة عَلَى مَا ذكرنا من صفة صُوفة فِي الانقطاع إِلَى اللَّه عز وجل وملازمة الفقر»[١].

وذكر أنهم «سموا صوفية نسبة إلى الصفة التي كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم»[٢].

وبين الكلاباذي أن «من نسبهم إِلى الصّفة وَالصُّوف فإِنَّه عبر عَن ظاهر أَحْوالهم وذلك أَنهم قوم قد تركوا الدُّنيا فخرجوا عن الأوطان وهجروا الأخدان وساحوا في البلاد وأجاعوا الأكباد، وأعروا الأجساد لم يأْخذوا من الدنيا إِلَّا مالا يجوز تركه من ستر عورة وسَد جوعة»[٣].

إلا أنه مع ذلك يُضعف تلك النسبة ويرى أن: «من نسبهم إِلى الصّفة والصف الأول فإِنَّه عبر عن أسرارهم وبواطنهم وذلك أَن من ترك الدُّنيا وزهد فيها وأعْرض عنها صفى الله سره وَنور قلبه»[٤].

والسهروردي رغم أنه يرى أنها لا تستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ، لكنها عنده صحيحة من حيث المعنى، لأن الصوفية -كما يعتقد- يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متألفين متصاحبين لله وفي الله، كأصحاب الصفة[٥].

والبيروني عند ترجيحه لصحة اشتقاق الصوفية من (سوفيا) اليونانية ذكر أنهم «سمّوا باسمهم ولم يعرف اللقب بعضهم فنسبهم للتوكّل إلى الصفّة وأنّهم أصحابها في عصر النبيّ صلى الله عليه وسلّم»[٦].

وجعل ابن زورق هذا الاشتقاق هو الأصل الذي يرجع إليه كل قول فيه[٧].

وقد يرد تساؤل لماذا حرص المتصوفة على ربط هذه التسمية بأهل الصفة؟ هو ربط التصوف في نشأته الأولى بعصور تاريخية متقدمة، بل يستهدف بالأخص ارتباطه بعصر النبي

---

(١) تلبيس إبليس (٣/٩٣٠).

(٢) ينظر: عوارف المعارف (ص: ٤٧)، وينظر: تلبيس إبليس (٣/٩٣٠).

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف: (ص: ٢١)، وينظر: تلبيس إبليس (٣/٩٣٠).

(٤) المصدر السابق: (ص ٢٣).

(٥) ينظر: عوارف المعارف (ص ٤٧).

(٦) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (ص ٢٧).

(٧) قواعد التصوف، ابن زورق (ص ٢٤).

صلى الله عليه وسلم، والزعم في نفس الوقت بأن الرسول صلى الله عليه وسلم، قد أقر منهجهم في الافتقار والاعتزال والتجرد والتواكل المزعوم[١].

والسُهروردي يَصف حالهم بأنهم: «جَمعوا أنفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديمًا وحديثًا في الزوايا والربط»[٢].

عَرفهم أبو نعيم في الحِلية –أي أهل الصُفة– قبل أن يسوق أحاديث كثيرة في شأنهم – بأنهم: «قوْم أَخلاهم الحق من الرُّكون إِلى شيْءٍ من العروض، وعصمهم من الافتتان بها عن الفروض، وجعلهم قدوة للمتجرّدين من الْفقراء، كما جعل من تقدَّم ذكرهم أُسوة للعارفين من الحكماء، لا يأْوون إِلى أَهل ولا مال، ولا يلهيهم عن ذكر الله تجارة ولا حال، لم يحزنوا على ما فاتهم من الدُّنيا، ولا يفرحون إِلَّا بما أُيِّدوا به من الْعُقْبى»[٣] ويلاحظ من تعريف أبو نعيم؛ أنه بيان لصفتهم.

وقد أوصلهم الطوسي إلى نيفٍ وثلاثمئة[٤] وقال السُهروردي: إنهم «كانوا نحوًا من أربعمئة رجل[٥]» وقد قيل أكثر من ذلك[٦].

وقد اعترض على هذه النسبة القشيري، وبين أن النسبة «إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي»[٧].

وقد غلَّط ابن الجوزي تلك النسبة لأهل الصفة، «لأنه لو كان كذلك لقيل: صُفِيّ»[٨] وتبعه في ذلك ابن تيمية[٩] وابن خلدون[١٠] هذا من ناحية اللغة.

ومن ناحية أخرى – تاريخية وسببية – فإن «هؤلاء القوم إنما قعدوا في المسجد ضَرورة، وإنما أكلوا من الصدقة ضرورة فلما فتح اللّه على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخَرجوا»[١١] فهو

---

(١) دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة، عبد الله الأمين (ص ٢٣٧-٢٣٨)، وينظر: التصوف في القرنين الثاني والثالث الهجريين، أبو الخير تراسون (ص ٤).
(٢) عوارف المعارف (ص ٤٧).
(٣) حلية الأولياء (١/٣٣٧-٣٣٨).
(٤) اللمع، للطوسي (ص ١٨٣).
(٥) عوارف المعارف (ص ٤٧).
(٦) الصوفية والفقراء ضمن الفتاوى (١١/٤١).
(٧) الرسالة القشيرية (٢/٤٤٠).
(٨) تلبيس إبليس، ابن الجوزي (٣/٩٣٦).
(٩) الصوفية والفقراء ضمن الفتاوى (١١/ ٦).
(١٠) شفاء السائل لتهذيب المسائل، لابن خلدون (ص ٥٣).
(١١) المصدر السابق (٣/٩٣٦).

إذن ضرورة لا أمرًا دائمًا، «وكانوا يكتسبون عند إمكان الاكتساب الَّذي لا يصدُّهم عمَّا هو أَوجب، أَو أَحبُّ إلى اللَّه ورسوله من الكسب، وَأَمَّا إذا أُحصروا في سبيل اللَّه عن الكسْب فكانوا يقدِّمون ما هو أَقْرب إلى اللَّه ورسوله»[(١)]

الرأي الخامس: نسبة إلى رجل يقال له صوفة واسمه: «الغوث بُن مر فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه فِي الانقطاع إلَى اللَّه سبحانه وتعالى»[(٢)] وقيل: قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكَّة من الزَّمن القديم ينسب إليهم النُّسَّاك»[(٣)] كانوا يخدمون الكعبة ويتنسّكون[(٤)]، وصوفة وصوفان – هو لقب – يقال لكل من ولي من البيت شيئا من غير أهله أَوْ قَامَ بشيء من أمر المناسك يقال لهم صوفة وصوفان[(٥)]، وحكي عن أَبِي عُبَيْدة أَنَّهم أَفْنَاء[(٦)] القبائل تجمَّعوا فتشبَّكوا كما يتشبَّك الصُّوف[(٧)] ومال إلى هذا الرأي ابن الجوزي وقال: هو الصحيح[(٨)] وجعله زكي مبارك؛ أمرًا محتملًا وأن ابن الجوزي لم يخترعه بدليل ذكر الزمخشري[(٩)] والفيروزآبادي[(١٠)(١١)] لذلك.

---

(١) الصوفية والفقراء ضمن الفتاوى (١١/ ٤٤-٤٥) وينظر: شفاء السائل لتهذيب المسائل، لابن خلدون (ص ٥٣).

(٢) تلبيس إبليس (٣ /٩٢١).

(٣) الصوفية والفقراء ضمن الفتاوى (١١/ ٦).

(٤) أساس البلاغة (٥٦٤/١)، وينظر: الصحاح، للجوهري (١٣٨٩/٤)، و معجم مقاييس اللغة (٣٢٢/٣)، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (٨٢٩/١).

(٥) ينظر: تلبيس إبليس (٣ /٩٢٦).

(٦) الأفناء: أَي الأخلاط، ويقال: هو من أَفْنَاءِ العرب، إذا لم يُدْرَ ممَّن هو، و رجلٌ من أَفْناء القبائل أَي لا يدرى منْ أَيّ قبيلة هو. ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٤٥٣/٤) و لسان العرب (١٦٥/١٥).

(٧) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣٢٢/٣).

(٨) تلبيس إبليس (٣ /٩٣٧).

(٩) هو: محمود بن عمر بن مُحَمَّد الخوارزمي النحوي اللغوي المفسر، وكان رأْسًا في البلاغة والعربيَّة، كان معتزلي الاعتقاد متظاهرًا به داعية له، شديد الإنكار على المتصوفة، وكان من أئمة الحنفية، من أشهر كتبه: الكشاف في تفسير القرآن،، وأساس البلاغة،، و مقدمة الأدب. توفي في الجرجانية من قرى خوارزم، سنة ٥٣٨ هـ ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكّان (١٦٨/٥) ميزان الاعتدال، للذهبي (١٥٤/٢٠) لسان الميزان لابن حجر (٦ /٤)، شذرات الذهب (١٩٤/٦)، الأعلام (١٧٨/٧).

(١٠) هو: محمَّد بن يعقوب بن محمَّد الفيروزابادي الشِّيرازي اللّغوي الشَّافعي، أخذ اللغة والأَدب عن والده وغيره من علماء شيراز وهو من أئمة اللغة والأدب والتفسير، صنف الكثير فمن ذلك: القاموس المحيط وهو أشهر كتبه، وبصائر ذوي التَّمْييز في لطائف الكتاب العزيز، وتنوير المقياس فِي تفسير ابن عبَّاس، توفي في زبيد سنة ٨١٧ هـ، الضوء اللامع للسخاوي (٧٩/١٠)، معجم المؤلفين (١١٨/١٢)، الأعلام(١٤٦/٧).

(١١) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق (ص ٥٤).

ومن المعاصرين مَن لم يستبعد هذا الأمر -على ضعفه- وحجته في إهمال الصوفية لهذا الأمر؛ أنهم لم يشآؤوا أن يصلوا مشربهم بأصل جاهلي مثل هذا الأمر مثل إهمالهم ذكر الشيعة واتصالهم بهم مع أنهم أخذوا منهم كثيرًا من قواعدهم[(١)].

إلا أن شيخ الإسلام رغم أنه يَرى أنه موافقًا للنَّسب من جهة اللَّفظ فإِنَّه ضعيف لأسباب ذكرها وهي: «أَنَّ هؤُلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أَكثر النُّسَّاك، ولأَنَّه لو نسب النُّسَّاك إلى هؤُلاء لكان هذا النَّسب في من الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم أَولى، ولأَنَّ غالب من تكَلَّم باسم (الصُّوفي) لا يَعْرِفُ هذه القبيلة ولا يرضى أَن يكون مضافًا إلى قبيلة في الجاهليَّة لا وجود لها في الإِسلام»[(٢)].

وهناك سبب آخر لرفض تلك النسبة وهو: أنه إذا صح أن الصوفية نَسبوا طريقتهم؛ فإن هذه النسبة تلقي ظلالًا من التُهم حول صِحة نسبتهم إلى الإسلام، لأن الرجل الذي انتسبوا إليه لم يكن على دين صحيح[(٣)].

الرأي السادس: أنه نسبة إلى الصوفانة وهي: «بقلة[(٤)] زغْبَاءُ[(٥)] قصيرة[(٦)]وقد نسبوا إليها لاجترائهم بنبات الصحراء[(٧)]، أو لِاجْتِزَاءِ القوم بما توحَّد الله عزَّ وجلَّ بصنعه ومنَّ به عليهم من غير تكلُّف بخلقه[(٨)].

---

(١) ذكر ذلك كامل مصطفى الشيبي في؛ رأي في اشتقاق كلمة صوفي، مجلة كلية الآداب، العدد الخامس (ص ٢٣٤).

(٢) ينظر: الصوفية والفقراء ضمن الفتاوى (١١/ ٦).

(٣) ينظر: التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام، عبدالكريم الخطيب (ص ٧٩) وينظر: التصوف منشؤه ومصطلحاته (ص ١٧-١٨) وموسوعة التصوف الميسرة (ص ١٤).

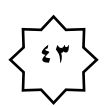
(٤) بَقَلَ: الباء والقاف واللَّام أَصل واحد، وهو من النَّبات، وإِليْه ترجع فروع الباب كلّه، وأبقلت الأرض إذا اخضرت بالنبات، ينظر: معجم مقاييس اللغة (١/٢٧٤) وأساس البلاغة، للزمخشري (١/٧١).

(٥) الزَّغَبُ: مَا يَبْقى فِي رأْس الشَّيخ عند رِقَّةِ شعره، والفعل من ذلك كلّه: زَغِبَ زَغَبًا، فَهوَ زَغِبٌ، وأَزْغَبَ الكَرْمُ وازْغاب: صار فِي أُبن الأَغصان الَّتي تخرج منها العناقيد مثل الزَّغَب. قَال: وذلك بعد جريِ الماءِ فيه، لسان العرب (١/٤٥٠).

(٦) تلبيس إبليس (٣ /٩٣٦) وينظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي (١/٨٢٩).

(٧) المصدر السابق: (٣ /٩٣٦).

(٨) حلية الاولياء ، لأبي نعيم (١/١٧).



وهذه النسبة لا تصح لأنه لو صحت لقيل: صُوفاني[1]، ولمثل هذا المنع مالَ المستشرق ماسينيون[2].

الرأي السابع: نسبة لصوفة القفا؛ وهي الشَّعرات النَّابتة في مُتَأَخِّرِهِ[3]، فالصوفي -برأيهم- هينٌ لينٌ كهيَّ[4].

وكلا الرأيين – النسبة للصوفانة أو صوفة القفا – ظاهر الضعف، لا يرتقيان للأخذ بهما.

الرأي الثامن: أنه ليس له قياس ولا اشتقاق، وأبرز من قال بذلك الهجويري[5] ووافقه بذلك القشيري حيث يقول ما نصه: «إن هذه الطائفة أشهر من أَن يحتاج فِي تعيينهم إِلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق»[6] وغيره حيث يرى أنها كلمة مُوَلَّدَةٌ[7][8] لم تدخل في اللغة العربية، ولم تجر على ألسنة العرب في الجاهلية وفي صدر الإسلام ومدة عصر الخلافة الأموية، فهي كلمة ولدت فيما ولد، حيث اشتد اختلاط المسلمين مع الفرس، والروم، بالعرب، وامتزجوا بهم، في هذا الجو ولدت كلمة التصوف على رأي بعضهم[9].

وقد أُنكر على مؤرخ الصوفية – القشيري — رأيه هذا في أن هذه الكلمة غير مشتقة وأنها جامدة في مقابل لبس زهاد المسلمين للصوف[10] ومناسبة الكلمة أيضاً من ناحية اللغة.

---

(١) ينظر: تلبيس إبليس (٩٣٦/٣).

(٢) التصوف، ماسينيون ومصطفى عبدالرازق (ص ٢٥).

(٣) حلية الأولياء، لأبي نعيم (١٧/١) وينظر: تلبيس إبليس (٩٣٧/٣).

(٤) قواعد التصوف، لابن زورق (ص: ٢٤) وينظر: إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لابن عجيبة (ص ٧).

(٥) كشف المحجوب (٢٣٠/١).

(٦) الرسالة القشيرية (٤٤٠/٢).

(٧) (المُوَلد) المحدث من كل شيْء، ومن الكلام كل لفظ كان عربي الأَصل ثمَّ تغير في الاستعمال و اللَّفظ العربي الَّذي يستعمله النَّاس بعد عصر الرِّواية المعجم الوسيط (١٠٥٦/٢).

(٨) المصباح المنير (٣٥٢/١).

(٩) التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام (ص ٧٣).

(١٠) ينظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (٣٩/٣).

الرأي التاسع: نسبة إلى لبس الصوف، وهو الرأي الأشهر، والأقوى واختار ذلك جمع كبير منهم يأتي على رأسهم: الطوسي[١] والكلاباذي[٢] والسهروردي[٣] وعبد الحليم محمود الصوفي المعاصر[٤] ومن غيرهم؛ ابن خلدون[٥] وزكي مبارك[٦].

وقد جعله ابن الجوزي أمرًا محتملًا[٧] وقواه شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: هذا هو الصحيح[٨]، وممن قال به أيضًا من المعاصرين: إحسان إلهي ظهير[٩][١٠]، ومن المستشرقين؛ نيكلسون[١١]، وماسينيون[١٢]، ونولدكه[١٣]، وترمنجهام[١٤][١٥]، وغيرهم من الباحثين[١٦].

وعلل الكلاباذي لهذه النسبة –كما علل غيره من المتصوفة– بأنه تعبير عن ظاهر أحوالهم، وذلك أنهم قوم قد تركوا الدُّنيا فخرجوا عن الأوطان، وهجروا الأخدان، وساحوا فِي البلاد،

---

(١) اللمع (ص ٤٠).
(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف (٢٥).
(٣) عوارف المعارف (ص ٤٥).
(٤) قضية التصوف، المنقذ من الضلال (ص ٣٤).
(٥) تاريخ ابن خلدون (ص ٦١١).
(٦) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق (ص ٥٥).
(٧) تلبيس إبليس (٩٣٧/٣).
(٨) الصوفية والفقراء ضمن الفتاوى (١١/ ٦-٧) وينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ٥٣).
(٩) هو: إحسان إلهي ظهير بن ظهور إلهي شيخ، كاتب إسلامي مبرّز من لاهور، حصل على الماجستير من كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وكان يتقن العربية ويُلم بالإنجليزية وغيرها، وشغل منصب الأمين العام لجمعية أهل الحديث في باكستان، وكان رئيس تحرير مجلة ترجمان الحديث. له تصانيف عديدة؛ كلها في الفرق الإسلامية منها: القاديانية، الإسماعيلية، البريلوية، الشيعة وأهل البيت، توفي إثر إلقاء قنبلة عليه وهو يخطب سنة ١٤٠٧ هـ، ينظر: تَكملَة مُعجم المؤلفين، مُحَمَّد خير بن رمضان يوسف (ص ٢٥ ومابعدها).
(١٠) التصوف المنشأ والمصادر (ص ٣٣-٣٤).
(١١) الصوفية في الإسلام (ص ١١).
(١٢) التصوف (ص ٢٥) وقال ينبغي رفض ماعدا ذلك من الأقوال.
(١٣) الصوفية في الإسلام (ص ١١-١٢).
(١٤) هو:سبنسر ترمنجهام، مستشرق إنجليزي له اهتمامات متعددة ببعض بلاد الشرق الأوسط وأفريقيا إلى جانب اهتمامه بالتصوف الإسلامي، ويتمثل بكتابه: الفرق الصوفية في الإسلام، إضافة لكتاب له بعنوان: الإسلام والحبشة، ينظر: المستشرقون، نجيب العقيقي (٥٣٦/٢) ومقدمة مترجم كتاب الفرق الصوفية في الإسلام (ص ٩).
(١٥) الفرق الصوفية في الإسلام (ص ٢١) وهو قول –كذلك– رجحه محقق الكتاب عبدالقادر البحراوي.
(١٦) كالأدفوي، في الموفي بمعرفة التصوف والصوفي (ص ٤٠) وعلي سامي النشار في نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (٣٩/٣)، وعرفان فتاح في نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها (ص ١٢٤).

وأجاعوا الأكباد، وأعروا الأجساد، إلى أن قال: وَمن لبسهم وزيهم سموا صوفية؛لأَنَهم لم يلبسوا لحظوظ النَّفس مالان مَسَّه وَحسن منظره، وإِنَّما لبسوا لستر العورة فتجزوا بالخشن من الشّعْر والغليظ من الصُّوف(١).

وعللوا بتعليل آخر بأن الصوف لباس الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وشعار الأولياء والأصفياء(٢).

وذكر السهروردي تعليلًا لبعض أهل العلم؛ أن كونه أرفق ولمناسبته للاشتقاق، والتواضع والانكسار والتخفف والتواري فكانوا كالخرقة الملقاة والصوفة المرمية التي لايرغب فيها(٣).

ويرى بعضهم أن اتخاذ الصوف لباسًا؛ إنما كان بسبب محاكتهم لرهبان، ونساك النصارى للبسهم للصوف الخشن(٤).

والصوفية كثيرًا ما ينسبون أنفسهم إلى الصوف، وكان لبس الصوف يكثر ويغلب على الزهاد والعباد(٥) جاء عن إبراهيم بن أدهم(٦) -وكان من أبناء الملوك- أنه خرج يومًا متصيدًا فأثار ثعلبًا، أو أرنبًا وهو في طلبه فهتف به هاتف: يا إبراهيم ألهذا خلقت أم بهذا أمرت؟ ثمَّ

---

(١) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (ص ٢١-٢٢-٢٥) وينظر: عوارف المعارف (ص ٤٦).

(٢) اللمع (ص ٤٠) وعوارف المعارف (ص ٤٥).

(٣) عوارف المعارف (ص ٤٥-٤٦).

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع (ص ٢٨١).

(٥) الصوفية والفقراء ضمن الفتاوى (١١/ ٢٩) وينظر: التصوف الإسلامي، شعبان عبدالحكيم (ص ٢٠) وينظر: دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة (ص: ٢٣٩).

(٦) هو: إبراهيم بن أَدهم بن منصور العجلي وقيل التميمي أبو إسحاق البلخيّ الخراساني، الزاهد الواعظ، ولقصة توبته شهرة معروفة، وهي قصة خروجه للصيد، كان كبير الشأن فِي باب الورع، وَكان أحد السَّادات،، وثَّقه النّسائيّ وغيره،توفي سنة ١٦١ هـ وقيل غير ذلك،وذلك في سوقين ببلاد الروم بالشام ودفن على ساحل البحر،ينظر:طبقات الصوفية (ص: ٢٧) حلية الأولياء (٣٦٧/٧) الرسالة القشيرية (٣٦/١) سير أعلام النبلاء (٣٨٧/٧) فوات الوفيات لصلاح الدين (١٣/١) طبقات الأولياء (ص ٥)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٧/٢)، شذرات الذهب (٢٨٢/٢).

هتف به أَيضًا من قربوس[١] سرجه والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أُمرت، فنزل عن دابته وصادف راعيًا لأبيه فأخذ جبة للراعي من صوف ولبسها وأعطاه فرسه وما معه[٢].

قال أبو سليمان الداراني: «الصوف علم من أعلام الزهد، فلا ينبغي للزاهد أن يلبس صوفًا بثلاثة دراهم، وفي قلبه رغبة خمسة دراهم»[٣]، وسئل أبو علي الروذباري[٤] من الصوفي؟ فقال: «من لبس الصوف على الصفا، وسلك.

طريق المصطفى، وأطعم الهوى ذوق الجفا، وكانت الدنيا منه على القفا»[٥] وهو الذي تطمئن له النفس ويتوافق مع اللغة من نسبة الصوفية والتصوف للصوف.

ورغم تقوية شيخ الإسلام لهذا الرأي؛ إلا أنهم كما يذكر أنهم إنما «نسبوا إلى اللُّبْسة الظَّاهرة وهي لباس الصُّوف، فقيل في أَحدهم: "صُوفِيٌّ" وَلَيْس طريقهم مُقَيَّدًا بلباس الصُّوف، ولا هُم أَوجبوا ذلك، ولا عَلَّقُوا الْأَمر به لكن أُضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال»[٦].

وقد سبقه إلى هذا الرد القشيري، وعلل ذلك: أن القوم لم يختصوا بِلبس الصوف[٧] وكذلك الهَجويري[٨] ووافقهم -بذلك- العقاد من المعاصرين[٩].

---

(١) القَرَبوسُ للسرج وهو: حِنْو السَّرْج وجمعه قَرابيس، وللسرج قَرَبوسان، فأَما القربوس المقدَّم ففيه العَضُدان وهما رجلا السَّرْج، والقربوس الآخر فيه رجلًا المؤخرة وهما صِنْواه، تهذيب اللغة، للهروي (٢٩٤/٨)، الصحاح (٩٦٢/٣).

(٢) الرسالة القشيرية (٣٥/١).

(٣) المصدر السابق (٢٤١/١).

(٤) هو: حمد بن محمَّد بن مقْسم أَبو علي الرُّوذْبَارِيُّ الشافعي البغدادي ثم المصري، الزاهد المشهور، كان فقيهًا نحويًا محدثًا، عارفًا بالتصوف، له تصانيف كثيرة، صحب الجنيد وأَبي الحسين النوري ومن فِي طبقتهم، حتَّى صار شيخًا للصوفية، توفّي سنة ٣٢٢ هـ بمصر، ينظر: طبقات الصوفية للسلمي (ص ٣٥٤)، حلية الأولياء (٣٥٦/١٠)، طبقات الأولياء (ص ٥٠)، سير أعلام النبلاء (٥٣٦/١٤)، تاريخ الإسلام (٤٦٩/٧)، شذرات الذهب (١١٨/٤) وينظر: الأعلام (٣٠٨/٥).

(٥) تاريخ بغداد (٣٤٩/١).

(٦)الصوفية والفقراء، ضمن الفتاوى (١١/ ١٦) وينظر: شفاء السائل (ص ٥٠-٥١).

(٧) الرسالة القشيرية (٤٤٠/٢).

(٨) كشف المحجوب (٢٢٧/١).

(٩) مطالعات في الكتب والحياة، عباس العقاد (ص ٥٦).

رغم أن الهجويري قد عَقد بابًا في كتابه في فضل لبس المُرَّقعة[(١)]، والخرقة ونص على أن ذلك شعارٌ للمتصوف، وأن لبس المرقعات سُنَّة، وقد أورد نصوصًا من الكتاب والسنة مُدعمًا في ذلك قوله[(٢)].

وكما يذكر ابن الجوزي؛ أنه مع تقريرهم أن المُرقعة لا تلبس إلا من يد شيخ، إلا أنهم قد جعلوا لها إسنادًا متصلًا كله كذب ومحال[(٣)].

وقد يكتفي الصوفي بلبس المرقعة من الصوف وليس كامل الثوب، بأن يأخذ رقعة بها عمامته، وكانت كل طريقة صوفية تعتمد لونًا معينًا في مرقعتها يميّزها عن سواها[(٤)].

ورغم صحة هذه النسبة إلا أنه جاء عن الرسول -ﷺ- عدم محبته للبس الصوف فقد روتْ لنا أم المؤمنين عائشة ﵂ أنها «جعلت للنبي ﷺ بُردة سوداء من صوف، فلبسها فلما عَرق وجد ريح الصوف قذفها، وكان يحب الريح الطيبة»[(٥)].

وَقد روى أَبو الشَّيْخ الأصبهاني بإِسناده عن محمَّد بن سيرين أَنَّه بلغه أَنَّ قومًا يفضِّلون لباس الصُّوف فقال: «إِنَّ قومًا يتخيَّرون الصُّوف يقولون: إِنَّهم متشَبِّهون بالمسيح ابن مريم، وَهدي نبيِّنا أَحبُّ إلينا وَكان النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عليه وسلَّم يلبس القطن وغيره أَو كلامًا نحوًا من هذَا»[(٦)].

---

(١) المرقعة: هي ثوب يقطع قطعًا ثم يرقع رقعا ثم يخيط بالصوف ويسمى أيضًا بالخرقة وهى من لبس الصوفية، وإنما سميت لكونها مجموعة من رقع تلقط من المزابل والأسواق فتغسل وتنشف ويخيط بعضها ببعض، إتحاف السادة المتقين، للزبيدي (٢٧٠/٨) وينظر (المعجم الوسيط ص ٣٦٥).

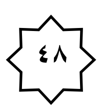
(٢) كشف المحجوب (٢٤١/١).

(٣) ينظر:تلبس إبليس (١١٤١/٣) وقد أورد أوجهٌ أربعة لكراهتها، فلينظر: (١١٢٨/٣).

(٤) التصوف منشؤه ومصطلحاته (ص ١٨).

(٥) رواه أحمد في مسنده (٤١ /٤٦٣) رقم (٢٥٠٠٣)، ورواه النسائي في الكبرى، كتاب الزينة، باب لبس الصوف (٣٨٩/٨) رقم (٩٤٨٨)، وفي باب لبس البرود (٤٥٥/٨) رقم (٩٥٨٢)، ورواه البيهقي في الآداب، باب من اختار التواضع في اللباس (ص ٢٠٢) رقم (٤٩٤) وقال عنه شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، وقد بين ابن الجوزي أن ما يروى في فضل لبس الصوف فهو من الموضوعات، وقد ذكر -رحمه الله- أوجهًا في أمر لبس الصوف من الكراهة من عدمها، ينظر: تلبيس إبليس (١١٦٥/٣).

(٦) الصوفية والفقراء، ضمن الفتاوى (١١/ ٦-٧).



ويذكر ابن الجوزي كلامًا بليغًا عن مكانة الصوف والخِرقة عند المتصوفة، وبيان لمآل الحال عندهم، وذكرًا للزهد الحقيقي فيقول: «كان الزّهد في بواطن القلوب فصار في ظواهر الثّياب، كان الزُّهْد حرقة فصار اليوم خرقة، ويحك صَوف قلبك لا جسمك وأصلح نيتك لا مرقعتك»[١].

هذه أبرز الآراء التي أراها قيلت في الأصل الاشتقاقي للكلمة، وإلا قد قيل الكثير في أصلها، ولاتزال الكلمة مدار بحث تجري بها أقلام الباحثين والدراسين.

الصوفية لغة:

وبعد استعراض الآراء التي قيلت في اشتقاق الكلمة، ثم بيان القول المختار، وأن كلمة (الصوفية) مشتقة من الصوف يجدر هنا بيان المعنى اللغوي لكلمة صوف، التي اشتقت منها هذه الكلمة فأقول:

الصوف للشاة، والصوفة أخص منه، وكبش صاف أي كثير الصوف، وصاف السهم عن الهدف يصوف ويصيف، أي عدل عنه[٢].

جاء في مقاييس اللغة: «صَوَفَ الصَّاد والواو والفاء أَصل واحد صحيح، وهو الصُّوف المعروف. والباب كله يرجع إِليه. يقال: كَبْشٌ أَصْوَفُ وَصَوِفٌ وَصَائِفٌ وِصَافٌ، كل هذا أَن يكون كثير الصُّوف. ويقولون: أَخذ بِصُوفَةِ قَفَاهُ، إِذا أَخذ بالشَّعر السَّائل فِي نُقْرَتِهِ[٣].

فتبين هنا أن الصوف يدور على معان منها الشَعر المعروف للحيوان أو الشعر المتدلي على قفا الرجل للإنسان، ويراد به كذلك عدول المرء عن أمر لم يرده.

الصوفية اصطلاحًا:

حَفلت كلمة الصوفية بمعناها الاصطلاحي بتعاريف كثيرة ومتنوعة، لم تقف على الصوفية أنفسهم؛ بل امتدت إلى مخالفيهم وقد اختلفت هذه التعاريف في حدها لهذا المفهوم تبعًا لمنطلق قائلها، والخلاف في التعريف الاصطلاحي، وقع كوقوعه في أصله اللغوي والاشتقاقي.

---

(١) المدهش، لابن الجوزي (٤١٩).

(٢) الصحاح (١٣٨٨/٤-١٣٨٩).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٣٢٢/٣).

ولو نظرنا إلى كتاب يعتبر من أقدم ما أُلف في التصوف، وهو كتاب اللمع نجد أن الطوسي لما تكلم عن نَعْت التصوف وماهيته؛ أورد تعاريف عديدة وكثيرة، وذكر أنه قد أجاب جماعة بأجوبة مختلفة، ونسب لإبراهيم بن المولد(١)؛ أنه قد أجاب بأكثر من مئة جواب(٢) والكلاباذي كذلك أورد عدة تعاريف ونقلها في كتابه(٣) أما السهروردي فذكر: أن أقوال المشايخ في ماهيته تزيد على ألف قول، وأن نقلها يطول، وأن الضابط الذي يجمعها -في رأيه- أن الألفاظ وإن اختلفت فهي متقاربة المعنى(٤).

ومن هذه التعاريف ما نقله القشيري في رسالته، في حَد الصوفي والصوفية(٥) وكذا فعل الهجويري في كشفه، وذكر أنه لا يمكن إحصاؤها كلها(٦)، وقد ذكر ابن زورق في قواعده بأن التصوف قد حُد ورُسِم وفُسِر بوجوه تبلغ الألفين(٧).

ولأجل تنوعها -كما سيأتي- فإنه لم ينتهِ الرأي فيها إلى نتيجة حاسمة بعد كما صرح بذلك أحد الصوفية المعاصرين وهو عبدالحليم محمود(٨) ويرى المستشرق نيكلسون: «أن التعاريف المتعددة للصوفية، التي وردت في الكتب العربية والفارسية؛ وإن كانت ذات فائدة تاريخية، فإن أهميتها الرئيسية في أنها تعرض الصوفية على أنها غير ممكن تحديدها»(٩).

---

(١) هو: إبراهِيم بن أَحمد بن مُحَّد المولد، الرَّقّيّ الزَّاهد، الصُّوفِيّ الواعظ، من كبار مشايخ الرقة بالعراق، وفتيانهم، توفِيّ سَنَةَ ٣٤٢ هـ ينظر: طبقات الصوفية (ص: ٤١٠)، حلية الأولياء (٧/٧٧٨)، سير أعلام النبلاء (١٥/٤٨٧)، تاريخ الإسلام (١٠/٣٦٤)، و الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (١/٢٧٠)، شذرات الذهب (٤/٢٢٦).

(٢) المصدر السابق (ص ٤٥ -ومابعدها).

(٣) التعرف لمذهب اهل التصوف (ص ٢١).

(٤) ينظر: عوارف المعارف (ص ٤٤).

(٥) الرسالة القشيرية (٢/٤٤٠).

(٦) كشف المحجوب (١/٢٣١).

(٧) قواعد ابن زورق (ص ٢١).

(٨) قضية التصوف المنقذ من الضلال (ص ٢٩).

(٩) الصوفية في الإسلام (ص ٣٤).

وزَعم الهجويري - في رده على من أنكر التصوف؛ أن من أنكر الاسم المجرد فلا ضير، لأن المعاني تكون في حق التسميات غريبة، وأن من أنكر عين هذه المعاني، فقد أنكر كل شريعة النبي ﷺ وخصاله المحمودة(١).

ومن تلك التعاريف الكثيرة التي أُثرت عن بعض أعلامهم، وعبَّادهم، والتي يَصعب المقام بحصرها لكثرتها ما يأتي:

ما نُقل عن معروف الكرخي(٢) أن التصوف هو: «الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق، فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف»(٣).

وقال بشر الحافي: «الصُّوفي من صفا قلبه لله»(٤).

وجاء عن الجنيد، أن التصوف: «تكون مع الله بلا علاقة»(٥).

وسُئل النوري أبو الحسين عن التصوف فقال: «ليس التصوف رسومًا، ولا علومًا؛ ولكنها أخلاق»(٦).

وسُئل رويم(٧) عن التصوف فقال: استرسال النفس مع اللَّه تعالى على ما يريد(٨).

---

(١) ينظر: كشف المحجوب (٢٣٩/١).

(٢) هو: معروف بْن فيروز، المعروف بالكرخي ، وَيُقَال: معروف بن الفيرزان، العابد القدوة الزّاهد، منسوب إلى كرخ بغداد، كان أحد المشتهرين بالزهد والعزوف عن الدنيا، كان الناس في زمانه وبعد مضيه لسبيله يتحدثون أنه مستجاب الدعوة، كان من المحدثين، وله أخبار مستحسنة جمعها الناس تشتمل على أخلاقه وسيرته، وقد أفرد ابن الجوزيّ كتابًا في مناقبه، توفي ببغداد سنة ٢٠٠هـ، ينظر: طبقات الصوفية للسلمي (ص ٨٣-ومابعدها)، تاريخ بغداد (٢٠١/١٣)، الرسالة القشيرية (٤٢/١)، سير أعلام النبلاء (٣٣٩/٩) تاريخ الإسلام (١٢١٠/٤)، طبقات الأولياء (٢٨١)، شذرات الذهب (٤٧٨/٢٠)، الأعلام (٢٦٩/٧).

(٣) عوراف المعارف (ص ٥٣).

(٤) التعرف لمذهب اهل التصوف (ص ٢١).

(٥) اللمع (ص: ٤٥) والرسالة القشيرية (٤٤١/٢) و عوارف المعارف (ص ٥٣).

(٦) طبقات الصوفية (ص ١٦٧).

(٧) هو: رُوَيْم بن أَحمد بن يزيد البغْدادي القاضي، ويقال: رُوَيْم بن مُحَمَّد بن أَحمد والأول أصح، الفقيْه المقْرِئُ الزَّاهد العابد، وهو من بني شيبان مولاهم، يقال له: رُوَيْم الصَّغير، وكان فقيهًا على مذهب داود،، توفي سنة ٣٠٣ هـ بِبغداد. ينظر: طبقات الصوفية (ص ١٤٧)، تاريخ بغداد (٤٢٩/٨)، سير أعلام النبلاء (٤٣٥/١٢) طبقات الأولياء (ص ٢٢٨) نفحات الأنس، للجامي (ص ٣١١-٣١٢).

(٨) الرسالة القشيرية (٤٤١/٢).

وجاء عن أبي عبدالله المقرئ[١] أن التصوف: «استقامة الأحوال مع الحق»[٢].

وسُئل سمنون[٣] عن التصوف فقال: أَن لا تملك شيْئًا ولا يملكك شيْء[٤].

هذه بعضٌ مما ذكره الصوفية الأوائل في القرنين الأول والثاني، ويُلحظ عليها -أي التعاريف- الاتجاه إلى الزهد والفقر وصفاء القلب والأخلاق، وقبل ذلك التعلق بالله وحده دون سواه.

وهي كما رأينا تنوعها، تدل بحسب رأي القشيري؛ أن الكل يعبر بما وقع له[٥].

وهي كما يصفها نيكلسون - أي الأقوال - تصور في اختصار لائق بعض وجوه التصوف، وخصائصه بحسب رأيه[٦].

وبمثل ذلك قال الصوفي ابن زورق في قواعده؛ حيث بين أن مرجع تلك الأقوال المتعددة هو صدق التوجه إلى الله تعالى وهي وجوه فيه أي في التصوف، وأنها باعتبار كل واحد له على حسب مثاله علمًا، أو عملًا، أوحالًا، أو غير ذلك[٧].

ويرى بعضهم أن عِبارات الأقدمون اختلفت، لكن معناها واحد أو متقارب ومدارها - برأيه- على أن الصوفي هو من اتصف بالصفات المحمودة في الشرع بالأخلاق الممدوحة وإن بعُد منها الطبع، مُعرض عن الدنيا مقبل على الأخرى[٨].

---

(١) هو: مُحَمَّد بن أحمد المقرىء، صحب يوسف بن الحسين الرَّازِي، وعبد الله الخراز الرَّازِيّ، ورويمًا وغيرهم، كان من أفتى المشايخ وأسخاهم، وأَحسنهم خلقًا، وأَعلاهم هِمة، كما يصفه السُلمي، توفي سنة ٣٦٦ هـ، ينظر: طبقات الصوفية (ص ٥٠٩) والطبقات الكبرى، للشعراني (١/٢٢٥).

(٢) طبقات الصوفية (ص ٥١١).

(٣) هو: سَمْنُونُ بن حمزة أَبو الحسن الْخَوَّاص، بَصَرِيٌّ سكن بغداد، صَحب الجنيد، و سريًا السَّقطِي، ومُحَمّد بن علي القصاب، وغيرهم، قال عنه الجامي: ما كان كلامه إلا في المحبة توفي سنة ٢٩٨ هـ، ينظر: طبقات الصوفية (ص ١٥٩)، حلية الأولياء (١٠/٣٠٩)، تاريخ بغداد (٩/٢٣٣)، سير أعلام النبلاء (١٣/٥٥٩) نفحات الأنس، للجامي (ص ٣٣٠).

(٤) اللمع (ص ٤٥) وجاء في الرسالة القشيرية (٢ /٤٤١) " أَن تملك شَيْئًا ولا يملك شَيْء ".

(٥) الرسالة القشيرية (٢/٤٤٠).

(٦) ينظر: الصوفية في الإسلام (ص ٣٤-٣٥).

(٧) قواعد ابن زورق (ص ٢١-٢٢).

(٨) ينظر: الموفي بمعرفة التصوف والصوفي (ص ٤٢-٤٦).

وبالمقابل يرى إحسان إلهي ظهير وغيره من الباحثين المعاصرين أنه لا جمع ولا وفاق بين تلك الأقوال المتنوعة، وأنها تنبئ صراحة عن حقيقة ادعاء علاقة التصوف بالإسلام، وأن الصوفية المتقدمين هم الذين بذروا كل جذور الانحرافات في تصوفهم، واعتقدوها في قلوبهم ولم يقولوها هكذا جزافًا، وإن كان ذلك لم يظهر إلا على التدرج الزمني(١).

إلا أنه ينبغي التفريق بين الصوفية الأوائل بأقوالهم وسيرتهم، ممن شهد لهم بالمتابعة، وحسن الطريقة من حيث الجملة و كما سيأتي –بإذن الله تعالى– الإشارة إليه بالصفحات القادمة، عند الكلام عن عصمة الأولياء وموقفهم منها(٢).

وُعرفَت الصوفية عند متأخريهم بأنها: «قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله»(٣).

ووصفه ابن زورق بأنه: «علم قُصد لإصلاح القلوب، وإفرادها لله عما سواه»(٤).

ولذلك أرى أنه من الصعوبة الإجماع على تعريف واحد للتصوف، ولذلك نجد أن التعاريف قد كثرت وتنوعت، وحَفل بعضها بذكر خصائص التصوف ووجوهه، كما مرَّ وسيمر لاحقًا، وقد عبر عن هذه الصعوبة ابن خلدون؛ حيث يذكر أنه حاول كثير من القوم العبارة عن معنى التصوف بلفظ جامع يعطي شرح معناه فلم يفِ بذلك قول من أقوالهم، والحق كما يعبر ابن خلدون أن التصوف لاينطبق عليه حد واحد(٥).

ما نقله –كذلك– ابن الجوزي من أن التصوف عندهم أنه: «رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله عَلَى الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص

---

(١) التصوف المنشأ والمصادر (ص ٣٩)، ومظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية، إدريس محود إدريس (١/ ٣٠)، وتقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (١/ ٤٤).

(٢) وذلك عند الكلام عن موقف المنتسبين للتصوف من أهل الحديث في المبحث الأول من الفصل الأول، (ص ٦٢).

(٣) المنقذ من الضلال (ص ١٧٠).

(٤) قواعد ابن زورق (ص ٢٦).

(٥) شفاء السائل (ص ٩٣-٩٤).

والصدق إِلَى غير ذلك من الخصال الحسنة، التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب فِي الأخرى»[١].

وعرفه ابن خلدون -بعد أن وصفه بأنه علم حادث- بأنه: «العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدّنيا وزينتها، والزّهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة»[٢].

وعرفه في موقع آخر بأنه: رعاية حسن الآداب مع الله في الأعمال الباطنة والظاهرة بالوقوف عند حدوده، مقدمًا الاهتمام بأفعال القلوب، مراقبًا خفاياها، حريصًا بذلك على النجاة. وخَصَّ – ابن خلدون – هذا المسمى لهذه الطريقة عند الصدر الأول منهم، وأنها رعاية الأدب في البواطن والظواهر[٣].

والجرجاني في تعريفاته عرف التصوف بأنه: «الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرًا، فيرى حكمها من الظاهر في الباطن وباطنًا، فيرى حكمها من الباطن في الظاهر، فيحصل للمتأدب بالحكمين كمالٌ»[٤].

وذَكرَ تعاريف أُخر تدور في مجملها حول الصفاء والزهد والإعراض عن الدنيا.

«وهذا المفهوم يصح إذا ارتبط بالصوفية في عهدها الأول، أي قبل أن تتعرض للفكر الوافد، وقبل أن تدخل عليها تحريفات الطرائق والرسوم، والبدع والفلسفات والشركيات والانحرافات»[٥] كما هو حاصل الآن.

ويَصف نيكلسون الصوفية الآوائل؛ بأنهم كانوا في الحقيقة زهادًا وادعين، أكثر منهم متصوفة[٦].

ولذلك -كما يصف ابن الجوزي- التصوف بأنه طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع[١] والرقص فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من

(١) تلبيس إبليس (٩٣٨/٣).

(٢) تاريخ ابن خلدون (ص ٦١١).

(٣) ينظر: شفاء السائل (ص ٥٤-٧١).

(٤) التعريفات (ص ٨٣).

(٥) التصوف في القرنين الثاني والثالث الهجريين (ص ٢١).

(٦) الصوفية في الإسلام (ص ١٢).

التزهد ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب، ولذلك فالزهد لم يذمه أحد، وقد ذموا التصوف[٢].

وهناك رأي آخر أبداه أحد الباحثين وهو: أن ظهور لفظ التصوف بديلًا للزهد؛ يحدد في ذاته بدء مرحلة جديدة في تطور النزعة الروحية في الإسلام[٣] إذن هو -في نظره- امتداد لمرحلة سابقة وتجديدٌ.

=

(١) تلبيس إبليس (٣/٩١٩-٩٢٠).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٣/٩٥٣).

(٣) نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها (ص ٧٦).



الفصل الأول

موقف المنتسبين للتصوف من العصمة

المبحث الأول: موقف المنتسبين للتصوف من أهل الحديث من العصمة.

المبحث الثاني: موقف المنتسبين للتصوف من أهل الكلام والمتلفسفة من العصمة.

المبحث الأول

موقف المنتسبين للتصوف من أهل الحديث من العصمة

إن الحديث عن العصمة بشأنه معتقدًا لبعض الصوفية، سلكوه واعتقدوه لأسباب عدة أدت لذلك[١]، يقابلهم في المقابل طائفة منهم عُرفوا بصوفية أهل الحديث، بالنقيض منهم لم يعتقدوا هذا العقيدة الضالة والمبتدعة بالجملة.

والكلام حول هذه المسألة -فيما اطلعت عليه من مصادر-، لم أجد من نَص عليه في أن متصوفة أهل الحديث أو الصوفية الأوائل قد تكلموا بالعصمة قبولًا أو منعًا[٢]، إنما هي أقوال لهم في تعظيم السنة والأمر باتباعها، أو نصوص في بيان منزلة الولي والولاية ونصوصٌ أخرى يفهم منها عدم القول بالعصمة، وإن فهم فيها القول بالعصمة فلا تنهض أمام نصوص صريحة فيها تعظيم السنة والأمر باتباعها، والنهي عن البدعة واجتنابها.

وكون المتصوفة ليسَ كلهم يقولون بالعصمة، وأنما مختلفون في ذلك؛ فقد أشار إلى هذا الرأي شيخ الإسلام في معرض حديثه عن الغالية في المشايخ، وأن هذا خاص بالغالية دون غيرهم، حيث يقول رحمه الله: «والغالية في المشايخ قد يقولون: إن الولي محفوظ والنبي معصوم، وكثير منهم إن لم يقل ذلك بلسانه؛ فحاله حال من يرى أن الشيخ والولي لا يخطئ ولا يذنب»[٣].

وبمثل هذا التقسيم قال شارح الطحاوية: عند اعتراضه على التسليم للمشايخ حالهم دون إنكار -والذي فيه إشارة للعصمة دون تصريح-: «ويقول بعض الناس: الفقراء يسلم إليهم حالهم بأن هذا كلام باطل، وأن الواجب عرض أفعالهم وأحوالهم على الشريعة المحمدية، فما وافقها قبل وما خالفها رد»[٤].

---

(١) سيأتي -بإذن الله تعالى- بيان تلكم الأسباب الداخلية والخارجية، وذلك في الفصل الثاني، وذلك عند الكلام عن أسباب القول بالعصمة عند الصوفية (ص ١٠٧).

(٢) إلا ما كان من الشيبي في كتابه: الصلة بين التصوف والتشيع.

(٣) الصوفية والفقراء ، ضمن مجموع الفتاوى (١١/ ٦٧).

(٤) ينظر: شرح الطحاوية، لابن أبي العز (٢/٧٦٧-٧٦٨).

وكون الصوفية ليسوا على مذهب واعتقاد واحد، ذكره شيخ الإسلام عند حديثه عن المتصوفة بقوله:

«وإنما ظهر التفلسف في المتصوفة المتأخرين فصارت المتصوفة تارة على طريقة صوفية أهل الحديث وهم خيارهم وأعلامهم وتارة على اعتقاد صوفية أهل الكلام، فهؤلاء دونهم وتارة على اعتقاد صوفية الفلاسفة كهؤلاء الملاحدة»(١).

يقول مُحَمَّد الأمين الشنقيطي(٢) في كلام له يبين فيه أن متقدمي الصوفية ليسوا كمتأخريهم -في الجملة- أن:

«منهم من هو على الطريق المستقيم من العمل بكتاب الله وسنة رسوله -ﷺ-، وبذلك عالجوا أمراض قلوبهم وحرسوها، وراقبوها وعرفوا أحوالها، وتكلموا على أحوال القلوب كلاما مفصلا كما هو معلوم كالداراني، وسهل بن عبد الله التستري، وأبي عثمان النيسابوري(٣) ويحي بن معاذ الرازي، والجنيد بن مُحَمَّد، ومن سار على منوالهم، لأنهم عالجوا أمراض أنفسهم بكتاب الله وسنة نبيه -ﷺ-، ولا يحيدون عن العمل بالكتاب، والسنة ظاهرًا وباطنًا، ولم تظهر منهم أشياء تخالف الشرع. فالحكم بالضلال على جميع الصوفية لا ينبغي، ولا يصح على إطلاقه، والميزان الفارق بين الحق، والباطل في ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ-، فمن كان منهم متبعًا لرسول الله -ﷺ-، في أقواله وأفعاله، وهديه وسمته، كمن ذكرنا وأمثالهم، فإنهم من جملة

---

(١) الصفدية، ابن تيمية (١/٢٦٧).

(٢) هو: الشيخ المفسر مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار الجكني الشنقيطي، أصله من شنقيط من بلاد موريتانيا، درس علوم القرءان والأدب والسير والتاريخ، حج سنة ١٣٦٧ هـ، واستقر مدرسًا في المدينة المنورة ثم الرياض وأخيرًا في الجامعة الإسلامية بالمدينة، له تصانيف كثيرة منها: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، وهو أشهرها، و دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، و آداب البحث والمناظرة، توفي بمكة سنة ١٣٩٣ هـ، ينظر: الأعلام (٦/٤٥-٤٦)، ترجمة الشيخ عطية سالم لشيخه مُحَمَّد الأمين الملحقة بتفسير أضواء البيان (٩/٤٣٧) وما بعدها، علماء نجد خلال ثمانية قرون للبسام (٦/٣٧١) وما بعدها.

(٣) هو: سعيد بن إسماعيل بن سعيد النيسابوري، رَازِيُّ الْمَوْلد، كان حميد الأَخْلاق، ويقال: إنه كان مستجاب الدعوة، ومنه انتشر طريقة التصوف بنيسابور، توفي بنيسابور سنة ٢٩٨ هـ-، ينظر: طبقات الصوفية ص ١٧٠) حلية الأولياء(١٠/٢٤٤)، تاريخ بغداد (٩/١٠٣)، الرسالة القشيرية (١/٨١)، وفيات الأعيان (٢/٣٩٦).

العلماء العاملين، ولا يجوز الحكم عليهم بالضلال، وأما من كان على خلاف ذلك فهو الضال»[١].

وصوفية أهل الحديث قد لُقبوا بذلك اللقب؛ نتيجة «لحرصهم على اتباع حديث رسول الله -ﷺ-، وكتابه وهذا نجده وافرًا في نصوصهم»[٢] كما سيأتي إن شاء الله.

ونجد ابن الجوزي وهو العارف بشأن الصوفية يذكر: بأن أوائل الصوفية كانوا يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة ولكن لبس عليهم الشيطان عليهم لقلة العلم، وزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن[٣].

جاء عن الجنيد: الذي وُصِف بأنه؛ سيد الطائفة وأنه من أحسنهم تعليمًا وتأديبًا وتقويمًا[٤] قوله: «علمنا هذا -يعني علم التصوف-، مشتبك بحديث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم»[٥].

وجاء عن الجنيد في بيانه للطريقة الصحيحة وَرَدِه لما سواها: «الطُّرق كلُّها مسدودة على الخلق إلَّا على من اقْتفى أَثر الرَّسول صلَّى الله عليْه وسلَّم، واتبع سنته، ولزم طريقته؛ فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه»[٦].

وقال أيضًا: «مذهبنا هذا مقيَّد بالكتاب والسُّنَّة»[٧].

وعنه -رحمه الله-: «ليس لمن أُلهم شيئًا من الخير أن يفعله حتى يسمع فيه بأثر»[٨].

وجاء أيضًا عن أبي سليمان الداراني مايشابه قول الجنيد: «ربَّما يقع في قلْبي النُّكْتَةُ[٩] من نُكَتِ القوم أَيَّامًا، فلا أَقْبل منْه إلاَّ بشاهدين عدلين؛ الكتاب والسُّنَّة»[١٠].

---

(١) أضواء البيان (٨٨/٤).

(٢) الاتجاهات العقدية عند الصوفية، عبدالله السهلي (ص: ١٩).

(٣) ينظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي (٩٤٢/٣-٩٧٩).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٦٨٦/١٠).

(٥) اللمع للطوسي (ص ١٤٤)، وينظر:تاريخ بغداد (٢٥١/٧)، ونقل شيخ الإسلام عنه: «عِلمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القران ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم بعلمنا». ينظر: الرد على المنطقيين (ص: ٥١٥).

(٦) طبقات الصوفية، للسلمي (ص ١٥٩)، وينظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (٢٥٧/١٠)، والاعتصام للشاطبي (١٢٨/١).

(٧) الاعتصام للشاطبي (١٢٨/١).

(٨) الرد على المنطقيين (ص ٥١٥).

(٩) (النُّكْتَةُ) أي: يفكر ويحدث نفسه وأصله من النكت بالحصى، ونكت الأرض بالقضيب وهو أن يؤثر فيها بطرفه، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير (٥ /١١٣).

(١٠) الرسالة القشيرية (٦١/١) الاعتصام للشاطبي (١٢٦/١)، سير أعلام النبلاء (١٨٣/١٠).

أما سهل التستري، الذي يعد أحد أعلام صوفية أهل الحديث - وهو «من أعيان الشيوخ في زمانه، وهو يُعدّ مَعَ الْجُنَيْد له كلام نافع في التصوف والسنة وغير ذلك»[١] فقد جاء عنه: «من أراد الدُّنيا والآخرة فليكتب الحديث، فإنّ فيه منفعة الدُّنيا والآخرة»[٢].

يقول الإمام الذهبي بعد نقله لكلام سهل القريب: «قلت: هكذا كان مشايخ الصوفية في حرصهم على الحديث والسنة»[٣]، وهذه تزكية من الإمام الذهبي لصوفية أهل الحديث دون سواهم، وذلك قبل دخول علم الكلام والفلسفة[٤] عليهم، وما تَبع ذلك من بُعد عن منهج الصوفية الأوائل.

قال أبو عثمان النيسابوري: من أَمَّر السُّنَّة على نفسه قولًا وفعلًا نطق بالحكمة، ومن أَمَّر الْهَوى على نفسه قولًا وفعلًا نطق بالبدعة؛ لأَنَّ اللّه يقُول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾

وقال غير واحد من الشيوخ والعلماء: «لو رأيتم الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء؛ فلا تغتروا به حتى تنظروا وقوفه عند الأمر والنهي، ومثل هذا كثير في كلام المشايخ والعارفين وأئمة الهدى»[٦].

وتاريخيًا فقد كان ظهور هذه المدرسة أو الطائفة في الزمن «من القرن الثاني إلى منتصف القرن السادس»[٧].

ولايعني ذلك أن هذه الزمن لم يحدث فيها انحرافات من أعلام ينسبون للتصوف، فهذا الزمن قد عاش فيها؛ ذو النون المصري[٨] (ت ٢٤٥ هـ) الذي يعده من كتب عن التصوف أنه

---

(١) ينظر: تاريخ الإسلام (٧٥٦/٦).

(٢) المصدر السابق (٧٥٦/٦).

(٣) المصدر السابق (٧٥٦/٦).

(٤) الفلسفة كما يعرفها الجرجاني بأنها: «التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية» والصوفية قد دخلت عليهم الفلسفة من باب (التشبه بالإله على قدر الطاقة)، فحاولوا إثبات تشبه العبد بالرب في الذات والصفات والأفعال، كما فعل الغزالي ومن تبعه. التعريفات (ص ٢١٦)، و دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، الرقب و الشوبكي (ص: ٥٧).

(٥) اللمع (ص ١٤٤)، وينظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٥٨٦) وقد أورد هذه المقالة شيخ الإسلام؛ عن أبي عثمان في موضعين آخرين في الاستقامة (٩٧/١)، والرد على المنطقيين (ص ٥١٥).

(٦) الرد على المنطقيين (ص ٥١٦).

(٧) الاتجاهات العقدية عند الصوفية (ص ٢٢).

(٨) هو: ذُو النُّونِ بن إبراهِيم النُّوْبِيُّ الإِخْمِيْمِيُّ الْمصري، أَبو الفيض ويقال: أَبا الفَيَّاض، واسمه ثوبان بْن إِبراهِيم،كان واعظًا،، وهو أَوَّل من تكلَّم ببلدته في ترتيب الأَحوال، ومقامات الأَوْلِياءِ، فأَنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم، =

واضعه، وأنه أول من تكلم في ترتيب الأحوال ومقامات الأولياء، وكذلك عاش فيها الحلاج[(١)] (٣٠٩ هـ) والذي قُتل لأجل قوله بالحلول[(٢)] وإظهاره ذلك والحكيم الترمذي (ت ٣٢٠ هـ) والذي ابتدع القول بنظرية ختم الولاية وغيرهم آخرون، لكن الكلام هنا حول مدرسة يطلق عليها مدرسة صوفية أهل الحديث عرفت في ذاك الزمن.

وقد لخص أحد الباحثين في التصوف أصول صوفية أهل الحديث بمايلي:

موافقة أهل السنة في مسائل الاعتقاد في الجملة.

التصوف والمتمثل في المبالغة في الزهد والعبادة والفقر وماشابه ذلك.

رفض المناهج المخالفة للسنة كعلم الكلام.

محبة السلف والانتساب لهم[(٣)].

جاء عن سهل التستري كلامٌ يذكر فيه أصولهم: «أُصولنا سبعة أَشياء: التَّمسُّك بكتاب الله، والاقْتداء بسنَّة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وأكل الحلال، وكف الْأَذى، واجْتناب الْآثام، والتَّوْبة، وأَداء الْحقوق»[(٤)].

=

وهجره علماء مصر وشاعَ أَنَّه أَحدث علمًا لم يتكلَّم فيه السَّلف وهجروه،وجعله الناس من الفلاسفة، ثُمَّ دعاه أَمير مصر، وسأَله عن اعتقاده، فتكلَّم فرَضي أَمْره، توفي في مصر سنة ٢٤٥هـ، ينظر: طبقات الصوفية (ص ١٥-١٦) حلية الأولياء (٣٣١/٩) الرسالة القشيرية (٣٨/١)، صفة الصفوة (٤٤٤/٢)، مجموع الفتاوى (٣٩٣/١١)، سير أعلام النبلاء (٥٣٢/١١-٥٣٤)، طبقات الأولياء (ص ٢١٨).

(١) هو: الحسين بن منصور بن محميّ الحلَّاج، أبو مغيث ويقال أَبو عبد الله، قدم بغداد، فخالط الصوفية وصحب من مشيختهم، والناس في الحلاج منهم من يبالغ في تعظيمه، ومنهم من يكفره، أُثر عنه عبارات مثل قوله: (أنا الحق) وقوله: (ما في الجبة إلا الله) ـ تعالى الله عن ذلك ـ، ووضع الحيل على تضليل الناس من جهات تشبه الشعوذة والسحر، وادعاء النبوة، وكان يظهر مذاهب الشيعة للملوك ومذاهب الصوفية للعامة، من كتبه: كتاب طاسين الأزل والجوهر الأكبر وغيرها، اهتم المستشرقون بنشر تراثه كالمستشرق ماسينيون، وقد اتَّفق علماء بغداد على كُفر الحلَّاج وزندقته، وأجمعوا على قتله وصلبه، فقتل بأمر من المقتدر بالله في بغداد سنة ٣٠٩ هـ ينظر: طبقات الصوفية (ص ٣٠٧-٣٠٨)، الفهرست (ص ٢٣٨)، تاريخ بغداد (١٢٤/٨)، وفيات الأعيان (١٤٠/٢)، البداية والنهاية (١٥٢/١١-١٥٩)، موسوعة المستشرقين لعبد الرحمن بدوي (ص: ٥٢٩).

(٢) قال شيخ الإسلام –رحمه الله– مبينًا حال الحلول وتشابهه مع الاتحاد و تنوعهما: «وإنما كان الكفر الحلول العام، أَو الاتِّحاد أَو، الحلول الْخاص وذلك أن القسمة رباعية لأن من جعل الرب هو العبد حقيقة؛ فإما أن يقول بحلوله فيه؛ أو اتحاده به وعلى التقديرين فإما أن يجعل ذلك مختصا ببعض الخلق كالمسيح، أو يجعله عاما لجميع الخلق». مجموع الفتاوى (١٧١/٢).

(٣) المرجع السابق (ص: ٢١).

(٤) الاعتصام للشاطبي (١٢٦/١).

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام مبينًا عقيدتهم -من حيث الجملة- ومتعقبًا القشيري -كذلك- في رسالته: «و الثَّابت الصَّحيح عن أكابر الْمشايخ يوافق ما كان عليه السَّلف وهذا هو الَّذي كان يجب أَن يذكر؛ فإن في الصَّحيح الصَّريح المحفوظ عن أكابر المشايخ مثل: الفضيل بن عياض[(١)(٢)]، وأَبي سليمان الدَّارَانِي، ويوسف بن أَسباط[(٣)]، وحُذيفة المرعشي[(٤)]، ومعروف الكرخي، إلى الجنيد بن محمَّد، وسهل بن عبد الله التستري وأمثال هؤُلاء، ما يبين حقيقة مقالات المشايخ»[(٥)].

وقال في موضع آخر: «والشيوخ الأكابر الذين ذكرهم أبو عبد الرحمن السلمي[(٦)] في طبقات الصوفية وأبو القاسم القشيري في الرسالة كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة

---

(١) هو: شيخ الحجاز الإمام، أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ثم اليربوعي، وهو الزاهد المشهور أحد رجال التصوف، خراساني، أصله من الكوفة، وسمع بها الحديث، ثم تعبد بعد أن قدمها وهو كبير،، ومناقب الفضيل كثيرة، قال شريك القاضي: فضيل حجّة لأهل زمانه، وكان إماما ربّانيًا كبير الشأن ثقة نبيلًا عابدًا زاهدًا جليلًا كثير الحديث، انتقل إلى مكة ومات بها سنة ١٨٧ هـ، ينظر: طبقات الصوفية(ص ٦)، الرسالة القشيرية (٤٠/١)، صفة الصفوة (٤٢٨/١)، وفيات الأعيان (٤٧/٤)، تهذيب التهذيب (٢٩٥/٨)، شذرات الذهب (٣٩٩/٢).

(٢) استنكر الإمام ابن الجوزي في التلبيس على أبي نعيم في الحلية؛ وضعه الفضيل ابن عياض وإبراهيم ابن أدهم ومعروفًا الكرخي من الصوفية وَجَعَلهم من الزهاد ينظر: تلبيس إبليس (٩٥٢/٣-٩٥٣).

(٣) هو: يوسف بن أسباط بن واصل الشيباني الكوفي الزاهد، أحد مشايخ الصوفية، مِنْ سادات المشايخ له مواعظ وحكم، نزل الثُّغُوْر مرابطًا، قال البخاري: دفن كتبه، فكان حديثه لا يجيءُ كما ينبغي، توفي سنة ٢٠٠ هـ، ينظر: صفة الصفوة (٤٠٧/٢)، سير أعلام النبلاء (١٦٩/٩)، تاريخ الإسلام (١٢٥٥/٤)، ميزان الاعتدال (٤٦٢/٤)، تهذيب التهذيب (٤٠٧/١١).

(٤) هو: حذيفة بن قتادة المرعشي، الزاهد القدوة، صحب سفيان الثَّوْري وسمع منه، قال ابن الجوزي: «لا نحفظ لحذيفة مسندًا، وكان مشغولًا بالرعاية عن الرواية». وقال أحمد بن يوسف بن أسباط قلت لأبي: أكان مع حذيفة المرْعَشيّ علمٌ؟ قال: كان معه العلم الأكبر؛ خشية الله، توفي سنة ٢٠٧ هـ، ينظر: حلية الأولياء (٢٦٧/٨)، صفوة الصفوة (٤١١/٢-٤١٣)، تاريخ الإسلام (١٠٩٠/٤-١٢٥٥).

(٥) الاستقامة، لشيخ الإسلام (٨٢/١).

(٦) هو: محمَّد بن الحسين بن محمَّد الأَزدي السُّلمي النيسابوري، الإمام، الحافظ، المحدِّث، شيخ خراسان، وكبير الصوفية، أَبو عبد الرحمن الصوفي النيسابوري، ورث التصوف عن أبيه وجده، صاحب التَّصانِيف، عُني بالحديث ورجاله، وكان ذا عناية بأخبار الصوفية، وصَنف لهم سننًا وتفسيرًا وتاريخًا، قال الذهبي: «وفِي الجملة ففِي تصانِيفه أحاديث وحكايات موضوعة "، قال الحافظ ابن حجر: «تكلموا فيه، وليس بعمدة "، توفي سنة ٤١٢ هـ بنيسابور، ينظر: تاريخ بغداد (٢٤٤/٢) طبقات الشافعية الكبرى (١٤٤/٤)، سير أعلام النبلاء (٢٤٧/١٧-٢٥٢)، ميزان الاعتدال (٥٢٣/٣)، طبقات الأولياء (ص ٣١٣).

ومذهب أهل الحديث كالفضيل بن عياض، والجنيد بن مُحَّد وسهل بن عبد الله التستري، وعمرو بن عثمان المكي[١]، وأبو عبد الله مُحَّد بن خفيف الشيرازي وغيرهم، وكلامهم موجود في السنة وصنفوا فيها الكتب، لكن بعض المتأخرين منهم كان على طريقة بعض أهل الكلام في بعض فروع العقائد ولم يكن فيهم أحد على مذهب الفلاسفة، وإنما ظهر التفلسف في المتصوفة المتأخرين فصارت المتصوفة تارة على طريقة صوفية أهل الحديث وهم خيارهم وأعلامهم، وتارة على اعتقاد صوفية أهل الكلام، فهؤلاء دونهم، وتارة على اعتقاد صوفية الفلاسفة كهؤلاء الملاحدة»[٢].

وقال في الاستقامة: «وكلام سهل بن عبد الله في السنة وأصول الاعتقادات أسد وأصوب من كلام غيره، وكذلك الفضيل بن عياض ونحوه فإن الذين كانوا من المشايخ أعلم بالحديث والسنة واتبع لذلك، هم أعظم علمًا وإيمانًا وأجل قدرًا في ذلك من غيرهم»[٣].

بل إن صوفية أهل الحديث- ممن كانوا يُنكرون البدع، مثل من سبقهم من سلف هذه الأمة، ولا يخفى أن اعتقاد العصمة للأولياء من الأمور المبتدعة التي تُنكر ولا تُقر.

وقد عَقَد الإمام الشاطبي[٤] في كتابه الاعتصام فصلًا أسماه: ما جاء عن الصوفية في ذم البدع وأهلها المشهورين عند النَّاس، أورد فيه نقولًا كثيرة عنهم، وقد بين سبب نقله عنهم بأَنَّ

---

(١) هو: عمرو بن عثمان بن بن غصص المكي، الزاهد شيخ الصوفية، سكن بغداد وأصله من اليمن، وهو إمام في الأصول، له مصنفات في التصوف، وكلام حسن، يذكر الجامي في النفحات:أنه لما دَّق كلامه نسبوه إلى المتكلمين، فأخرجوه من مكة، توفي ببغداد وقيل: بمكة سنة ٢٩١ هـ وقيل سنة ٢٩٧ هـ وقيل غير ذلك والأول أصح كما رجح ذلك السلمي، ينظر:طبقات الصوفية (ص: ٢٠٠-٢٠١)، تاريخ بغداد (٢١٨/١٢)، الرسالة القشيرية (٩٠/١)، صفة الصفوة (٥٣١/١)، تاريخ الإسلام (٦/ ٩٩٠)، طبقات الأولياء (ص ٣٤٣)، نفحات الأنس للجامي (ص ٢٦٩-٢٧٠).

(٢) الصفدية (٢٦٧/١)، وينظر درء التعارض (٢٦٦/٦).

(٣) الاستقامة (١٥٨/١).

(٤) هو: إبراهيم بن موسى بن مُحَّد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الفقيه الأصولي المفسر المحدّث، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، له استنباطات جليلة، وفوائد لطيفة، وأبحاث في اتباع السنة واجتناب البدع، كان -رحمه الله- حسن القراءة في تلاوة القرآن، من مصنفاته: الاعتصام والموافقات في أصول الفقه، وأصول النحو،، توفي سنة ٧٩٠ هـ ينظر: برنامج المجاري للمجاري الأندلسي (ص ١١٩)، شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف (٣٣٢/١)، الأعلام (٧٥/١) وينظر: هدية العارفين (١٨/١).

كثيرًا من الجهَّال يعتقدون فيهم أَنَّهم متساهلون في الاتّباع وأَنَّ اخْتراع العبادات والتزام ما لم يأْت في الشَّرع الْتزامه ممَّا يقولون به ويعملون عليه، وحاشاهم من ذلك أَن يعتقدوه أَو يقولوا به، فأَوَّل شيْءٍ بنوا عليه طريقتهم: اتّباع السُّنَّة، واجْتناب ما خالفها[١].

وبين -رحمه الله- أَنَّه إِنَّما داخلتْها - أي الصوفية - الْمفاسد وتطرَّقت إِليها البدع من جهة قوم تأَخرت أَزمانهم عن عهْد ذلك السَّلف الصَّالح[٢]، وادَّعوا الدُّخول فيها من غير سلوك شرعي، ولا فهم لمقاصد أَهلها، وتقوَّلوا عليهم ما لم يقولوا به حتَّى صارت في هذا الزَّمان الْأَخير كأَنَّها شريعة أُخرى غير ما أَتى بها محمَّدٌ صلَّى اللَّه عليْه وسلم، وأَعظم من ذلك أَنَّهم يتساهلون في اتّباع السنة، ويرون اختراع العبادات طريقًا صحيحًا للتَّعبُّد، وطريقة القوم بريئة من هذا الْخِبَاطِ[٣] بحمد اللَّه[٤].

ثم ابتدأ بالنقل عن أعلام صوفية أهل الحديث، فبدأ بالفضيل بن عياض قوله: «من جلس مع صاحب بدعة، لم يعط الحكمة» ونقل عن إبراهيم بن أدهم أنه قيل له: إنَّ اللَّه يقول في كتابه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، ونحن ندعوه منذ دهرٍ فلا يسْتجيب لنا فقال: ماتت قلوبكم في عشرة أَشياء: أَوَّلها: عرفتم اللَّه فلم تُؤَدُّوا حقه، والثاني: قرأْتم كتاب اللَّه ولم تعملوا به، والثالث: ادَّعيتم حب رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم وتركتم سنَّته، والرابع: ادَّعَيْتُمْ عداوة الشَّيطان و وافقتموه، والخامس: قلتم نحب الجنة وما تعملون لها إلى آخر الحكاية.

ونقل عن بشر الحافي: «رأَيت النَّبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم في المنام، فقال لي: يا بشر تدري لم رفعك اللَّه بين أَقرانك؟ قلت: لا يا رسول اللَّه، قال: لاتِّباعك سنَّتي، وحرمتك للصَّالحين، ونصيحتك لإِخوانك، ومحبَّتك لأَصحابي وأَهل بيتي؛ هو الَّذي بلَّغك منازل الأَبرار».

---

(١) ينظر: الاعتصام (١/١١٩).

(٢) وهذا ما أشار إليه ابن الجوزي في النقل السابق عندما قال: «وإنما لبس عليهم الشيطان عليهم لقلة العلم، وزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن». تلبيس إبليس (٣/٩٤٢-٩٧٩).

(٣) (خَبَطَ) هي: النَّاقة التي في بصرها ضعفٌ تَخْبِطُ إذا مشت لا تتوقَّى شيْئًا، وَخَبَطَ الشَّجَرَة ضربها بالْعصا ليسقط ورقها وبابهما ضرب، و الْخُبَاطُ بالضَّم كالْجنون وليْس به تَقُولُ منه تَخَبَّطَهُ الشَّيطان أَيْ أفسده، ينظر: مختار الصحاح (ص ٨٧).

(٤) ينظر: الاعتصام (١/١٢٠-١٢١).

ونقل كذلك عن أبي علي الْجوْزجانيُّ[(١)]: «من علامات السَّعادة على العبد: تيسير الطَّاعة عليه، وموافقة السُّنَّة في أَفعاله، وصحبته لأَهل الصَّلاح، وحسن أَخلاقه مع الإِخوان، وبذل معروفه للخلق واهتمامه للمسلمين، ومراعاته لأَوقاته».

وسُئل كيف الطَّريق إلى اللَّه؟ فقال: «الطرق إلى اللَّه كثيرة، وأَوضح الطرق وأَبعدها عن الشُّبه: اتباع السُّنَّة قولًا وفعلًا وعزمًا وعقدًا ونية، لأَنَّ اللَّه يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور: ٥٤]. فقيل له: كيف الطَّريق إلى السُّنَّة؟ فقال:

«مجانبة الْبدع، واتّباع ما أَجمع عليه الصَّدر الْأَوَّل من علماء الْإِسلام، والتَّباعد عن مجالس الكلام وأَهله، ولزوم طريقة الاقتداء، وبذلك أَمر النَّبيُّ صلَّى اللَّه عليْه وسلَّم بقوله تعالى:﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ﴾ [النحل: ١٢٣][(٢)].

ثم ختم الشاطبي تلك النُقول المتوافرة بقوله: «وكلامهم في هذا الباب يطول، وقد نقلنا عن جملة ممَّن اشتهر منهم ينيف على الأَربعين شيخًا، جميعهم يشير أَو يصرح بأنَّ الابتداع ضلال والسُّلوك عليه تيه، واستعماله رمي في عماية، وأَنَّه مناف لطلب النَّجاة، وصاحبه غير محفوظ، وموكول إلى نفسه، ومطرود عن نيل الحكمة، وأَنَّ الصوفية الذين نسبت إِليهم الطَّريقة مجمعون على تعظيم الشَّريعة، مقيمون على متابعة السُّنَّة، غير مخلّين بشيْءٍ من آدابها، أَبعد النَّاس عن البدع وأَهلها ولذلك لا نجد منهم من ينسب إلى فرق من الفرق الضَّالَّة، ولا من يميل إلى خلاف السُّنَّة، وأَكثر من ذكر منهم علماء وفقهاء ومحدّثون وممن يؤخذ عنه الدّين أصولًا وفروعًا، ومن لم يكن كذلك، فلا بدَّ من أَن يكون فقيهًا في دينه بمقدار كفايته».

ثم استطرد -والكلام للشاطبي- مبينًا حال من يتشبه بهم، وهو لايُحسن التشبه بهم، بقوله: «فكثيرًا ما ترى الْمتأخّرين ممن يتشبَّه بهم، يرتكب من الأَعمال ما أَجمع النَّاس على فساده شرعًا، ويحتجُّ بحكاياتٍ هي قضايا أَحوال، إن صحَّت؛ لم يكن فيها حجَّةٌ لوجوه عدَّة، ويترك

---

(١) هو: الحسن بن علي الجوزجاني، كان من أكابر مشايخ خراسان،، تكلم فِي عُلُوم الْآفَات والرياضات والمجاهدات، وَرُبمَا تكلم أَيْضا فِي شَيْء من عُلُوم المعارف وَالْحكم، أما عن سنة وفاته فلم أجدها في المصادر التي وقفت عليها، ينظر:طبقات الصوفية(ص ٢٤٦)، حلية الأولياء (٣٥/٢)، طبقات الأولياء (ص ٢٣٣)، الطبقات الكبرى، للشعراني (١٦٣/١).

(٢) الاعتصام (١٢٣/١).

من كلامهم وأَحوالهم ما هو واضحٌ في الحق الصَّريح، والاتّباع الصَّحيح، شأْن من اتَّبع من الأَدلَّة الشَّرعيَّة ما تشابه منها»[(١)].

هذا ماتمت الإشارة إليه من تعظيمهم للسنة والبعد عن البدعة، ولذلك لا يُتصور ورود أمر العصمة كمعتقد فاسد عندهم بالجملة، ظاهرًا على لسانهم فنصوصهم متوافرة، فوقوعه بعيد تصورًا واستقراء، وإن حصل فيعتذر لهم ويحمل على المحمل الحسن.

ومما يذكر هنا؛ ثناء شيخ الإسلام على صوفية أهل الحديث، في معرض إنكاره على بدعة قص الشعر للتائب أو حلقه في إنكارهم لهذه البدعة حيث يقول:

«فهذا بدعةٌ لم يأْمر الله بها ولا رسوله؛ وليست واجبةً ولا مستحبَّة عند أَحد من أَئمَّة الدّين؛ ولا فعلها أَحد من الصَّحابة والتَّابعين لهم بإِحسان ولا شيوخ المسلمين المشهورين بالزهد والعبادة لا من الصَّحابة ولا من التَّابعين ولا تابعيهم ومن بعدهم مثل الفضيل بن عياض، وإِبراهيم بن أَدهم، وأَبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، وأَحمد بن أَبي الحواريّ[(٢)] والسَّرِيّ السقطي[(٣)]، والجنيد بن محمَّد، وسهل بن عبد الله التستري، وأَمثال هؤلاء لم يكن هؤلاء يقصُّون شعر أَحد إذا تاب ولا يأْمرون التَّائب أَن يحلق رأْسه»[(٤)].

---

(١) المصدر السابق (١/١٢١) وما بعدها.

(٢) هو: أَحمد بن عبدالله بن أَبِي الحوارِي التغلبي الدمشقي، الزَّاهد العابد الحافظ، كوفي الأصل، صحب أبا سليمان الداراني، وغيره من الْمشَايخ، وكان الجنيد يقول أَحمد بن أَبي الحواري ريحانة الشام، وبيتهم بيت الورع والزهد،، توفي سنة ٢٣٠ هـ، ينظر: طبقات الصوفية (ص ٩٨)، حلية الأولياء (١٠/٥)، الرسالة القشيرية (١/٦٨)، صفة الصفوة (ص ٢/٣٨٩-٣٩٠)، سير أعلام النبلاء (١٢/٨٥)، تهذيب التهذيب (١/٣٦٩).

(٣) هو: سري بْن الْمُغلس السقطي البغدادي، أحد رجال التصوف، وهو خال للجنيد وأستاذه، وكان تلميذ معروف الكرخي وهو أَجلُّ أَصحابه، روى عنه: الجنيد بن محمَّد، والنُّوري أَبو الحسين، وآخرون، توفي سنة ٢٥١ هـ ببغداد، ينظر: طبقات الصوفية (ص ٤٨)، حلية الأولياء (١٠/١١٦)، تاريخ بغداد (٩/١٨٦-١٩١)، الرسالة القشيرية (١/٤٥)، وفيات الأعيان (٢/٣٥٧)، سير أعلام النبلاء (١٢/١٨٥)، طبقات الأولياء (ص ١٦٠ ٩)، شذرات الذهب (٣/٢٤٠).

(٤) مجموع الفتاوى (٢١/١١٨).

«ولهذا كان الشيوخ العارفون المستقيمون من مشايخ التصوف وغيرهم؛يأمرون أهل القلوب أرباب الزهد والعبادة والمعرفة والمكاشفة[١]، بلزوم الكتاب والسنة»[٢].

أما أفضل الأولياء عندهم -والذين زُعمت فيهم العصمة- «كما في كثير من كلام المشايخ والعارفين وأئمة الهدى؛ أكملهم متابعة للأنبياء، ولهذا كان الصديق أفضل الأولياء بعد النبيين فما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر؛ لكمال متابعته وهم كلهم متفقون على أنه لا طريق للعباد إلى الله إلا باتباع الواسطة الذي بينهم وبين الله وهو الرسول»[٣].

لكن صوفية أهل الحديث قد دخل في طريقهم أقوام ببدع وفسوق وإلحاد وهؤلاء مذمومون عند الله وعند رسوله وعند أولياء الله المتقين وهم صالحوا عباده مثل من يظن أن لبعض الأولياء طريقا إلى الله بدون اتباع الرسول أو يظن أن من الأولياء من يكون مثل النبي أو أفضل منه أو أنه يكون من هو خاتم الأولياء أفضل من السابقين الأولين أو أعلم بالله من خاتم الأنبياء وأمثال هذه المقالات التي تقولها من دخل فيهم من الملاحدة الضالين ومن هذا الوجه صار قوم متصوفون يتفلسفون[٤].

جاء عن يحيى بن معاذ[٥] في وصفه لخصال الأولياء الحقَّة أنها: «الثقة بالله في كل شيء والغنى به عن كل شيْء والرُّجوع إِلَيْه فِي كل شَيْء»[٦].

---

(١) المكاشفة مأخوذة من الكشف وهو لغة: رفعُك الشَّيْءَ عمَّا يواريه ويغطِّيه، وكشفت الشيء أكشفه كشفًا، إذا أظهرته وأبديته، وفي الاصطلاح الصوفي: «هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجودًا وشهودًا» والكشف الصحيح كما يذكر ابن القيم: «أَن يعرف الْحَقَّ الَّذي بعث الله به رسله، وأَنزل به كتبه معاينة لقَلبه، ويُجَرّد إرادة القَلب له، فيدور معه وجودًا وعدمًا، هذا هو التَّحْقيق الصَّحيح، وما خالفه فغرور قبيحٌ». ينظر: جمهرة اللغة (٨٧٤/٢) لسان العرب (٣٠٠/٩) مدارج السالكين، لابن القيم (٢١٤/٣).

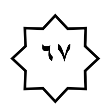
(٢) الرد على المنطقيين (ص ٥١٤-٥١٥).

(٣) المصدر السابق (ص ٥١٦).

(٤) ينظر: الرد على المنطقيين (ص ٥١٦).

(٥) هو: يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي الواعظ الذَّكَّار، تكلم فِي علم الرَّجاء، له كلامٌ جيد، ومواعظ مشْهورة، منها: مسكين ابن آدم، قلْع الأَحجار أَهون عليه من ترْك الأَوزار، وكانوا ثلاثة إخوة وكلهم كانوا زهادًا، توفي بينسابور سنة ٢٥٨ هـ، ينظر: طبقات الصوفية ، (ص ١٠٧) حلية الأولياء (٥١/١٠)، الرسالة القشيرية (٦٥/١)، صفة الصفوة (٢٩١/٢)، سير أعلام النبلاء (١٥/١٣)، طبقات الأولياء (ص ٣٢١)، الطبقات الكبرى، للشعراني (١٤٨/١).

(٦) طبقات الصوفية (ص ١٠٠).



أما عن محبة الأولياء -التي هي دون غلو- فهي كما يذكر شاه الكرماني[١]: «دليل على محبَّة الله عز وجل»[٢].

ومما جاء في رفضهم للعصمة مايأتي:

ما قَصَّه الجنيد عن خاله سريًّا السقطي -كما جاء في الحلية- أنه قال: «ودخلت عليه يومًا آخر فرأيت عليه همًا فقلت: أيها الشيخ أراك مشغول القلب، فقال: أمس كنت في الجامع فوقف علي شاب وقال لي: أيها الشيخ، أيعلم العبد أن الله تعالى قد قبله؟ فقلت: لا يعلم، فقال: بلى يعلم، وقال لي ثانيا: بلى يعلم، فقلت له: فمن أين يعلم؟ قال: إذا رأيت الله عز وجل قد عصمني من كل معصية ووفقني لكل طاعة علمت أن الله تبارك وتعالى قد قبلني»[٣] ويفهم من هذه القصة عدم اعتقاد سريًّا السقطي بالعصمة، وإنما إقراره للشاب بأن يوفقه الله للطاعة ويباعده عن المعصية حتى يقبل وهذا أيضًا فيه رجاء وليس طلبًا للعصمة.

وقد قيل للجنيد: العارف يزنى يا أبا القاسم فأطرق مليا ثُمَّ رفع رأسه وقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]»[٤].

ويترجح من هذا النص أحد أمرين، أراد تقريرهما في ذهن السائل هما:

١- نفي العصمة عن الولي، فإن وصول السالك إلى الولاية لا يقتضي عصمته؛ لأنه ليس نبيًا.

٢- والأمر الثاني: هو التفريق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، فكأنه من رده بعد إطراقه أراد التنبيه إلى هذا، في زمن ظهر فيه من يخلط بين الإرادتين، ولايرى الفرق بينهما[٥].

---

(١) هو: شاه بن شجاع الكرماني، كان من أبناء الملوك فتزهد، وَيُقَال إن أَصله من مرو، كان من علماء المتصوفة، له رسالات مشهورة، والمثلثة التي سماها مرآة الحكماء، ونص ابن الملقن أنه مات سنة ٢٩٩ هـ، ينظر: طبقات الصوفية (ص ١٩٢)، حلية الأولياء (٢٣٦/١٠)، الرسالة القشيرية (٩٤/١)، صفة الصفوة (٢٧٤/٢)، طبقات الأولياء (ص ٢٤٤)، الطبقات الكبرى، للشعراني (١٦٤/١).

(٢) طبقات الصوفية (ص ١٥٧).

(٣) حلية الأولياء (٢٧٤/١٠).

(٤) الرسالة القشيرية (٥٢٤/٢).

(٥) الجنيد بن مُحَمَّد وآراءه العقدية والصوفية، نوال فلاته (ص ١٥٠-١٥١).

ومما جاء في رفض العصمة؛ قول أبو الحسن خَير النساج[١]: «لا نسب أشرف من نسب من خلقه الله تعالى بيده فلم يعصمه ولا علم أشرف من علم من علمه الله الأسماء كلها فلم ينفعه في وقت جريان القدر والقضاء عليه»[٢] ويشير هنا إلى أبينا آدم -عليه السلام- وكونه نفيت عنه العصمة عنه – على تفصيل مرَّ سابقًا[٣] فغيرهم من باب أولى ومنهم الأولياء.

و قد زَعم الهجويري العصمة للجنيد بعد أن أورد قصة ينسب حدوثها له مع الشيطان، حيث يذكر أن الجنيد قال:

«تمنيت وقتًا ما أن أرى ابليس – عليه اللعنة – وذات يوم كنت واقفًا بباب المسجد، فإذا بشيخ يقبل من بعيد متجهًا إلي فلما رأيته أحسست وحشة في قلبي، فلما اقترب مني قلت: من أنت أيها الشيخ؟ إذ لا طاقة لعيني برؤية وجهك من الوحشة، ولا طاقة لقلبي بالتفكير فيك من الهيبة قال: أنا الذي تتمنى مشاهدتي. قلت: ياملعون ما منعك أن تسجد لآدم؟ قال: ياجنيد كيف تصور أني أسجد لغيره؟ قال الجنيد: فتحيرت في كلامه، فنوديت في سري أن قل له: كذبت، ولو كنت عبدًا لما خرجت عن أمره ونهيه. فسمع النداء من قلبي، فصاح وقال: أحرقتني بالله وغاب»[٤].

قال الهجويري بعد إيراده لهذه القصة: «وفي هذه الحكاية دليل على حفظه وعصمته – أي الجنيد – لأن الله – سبحانه وتعالى – يحفظ أولياءه في كل الأحوال من كيد الشيطان»[٥].

---

(١) هو: خير بن عبد الله النساج البغدادي الزاهد، أصله من أَهل سامرَّاء، لكنه نزل بغداد، وكان له حلقة يتكلم فيها، وقيل: كان اسمه محمَّد بن إسماعيل السامري، وكان أستاذ للمتصوفة، كان من أقران أَبِي الحسن النوري وطبقته، وله أَحْوال وكرامات، قال عنه الخطيب في تاريخه: «وَللصوفية عنه حكايات غريبة، وَأمور مستظرفة عجيبة»، توفي سنة ٣٢٢ هـ، ينظر: طبقات الصتوفية (ص ٣٢٢)، حلية الأولياء (٣٠٧/١٠)، تاريخ بغداد (٣٤١/٨-٣٤٥)، الرسالة القشيرية (١١٣/١)، صفة الصفوة (٥٣٧/١)، سير أعلام النبلاء (٢٦٩/١٥-٢٧٠)، طبقات الأولياء (١٩٦) الطبقات الكبرى، للشعراني (١٨٦/١).

(٢) طبقات الصوفية (ص ٢٤٩).

(٣) وذلك عند الكلام عن العصمة في تمهيد البحث.

(٤) كشف المحجوب (٣٤٢/١).

(٥) المصدر السابق (٣٤٢/١).

وهذه القصة إن ثبت حدوثها للجنيد، فلا تفيد ثبوت العصمة للجنيد، بل تفيد أنَّ من حَفظ الله وعَلم حدوده ونواهيه يوفقه الله للثبات أمام الفتن والشبهات.

بل أصرح من ذلك -في نفيهم للعصمة- ما قَصَّه خادم إبراهيم بن أدهم، في قصة توبة إبراهيم -والقصة أوردها أبو نعيم في الحلية- أنه قال: قلت: «يا أَبا إِسحاق، كيف كان أَوائل أَمْرك حتَّى صرت إلى ما صرت إليه؟، قال: غير ذا أَولى بك فقلت له: هو كما تقول رحمك الله، ولكن أَخبرني لعلَّ الله أَنْ ينفعنا به يومًا، فسأَلْته الثَّانيَة فقال: ويْحَك اشتغل بالله فسأَلته الثَّالثة فقلْت:

يا أَبا إسحاق، إن رأَيت قال: كان أَبي من أَهل بَلْخٍ[(١)] وَكان من ملوك خراسان[(٢)] وكان من الْمَيَاسر، وحبَّب إلينا الصَّيْد، فخرجت راكبًا فرسي، وكلْبي معي، فبينما أَنا كذلك فثار أَرنبٌ أَو ثعلبٌ، فحرَّكت فَرسي، فسمعت نداءً من ورائي: ليس لذا خلقت، ولا بذا أُمرت، فوقفت أَنظر يمْنَةً ويسْرَةً فلم أَر أَحدًا، فقلت: لعن الله إِبْليس، ثمَّ حرَّكت فرسي، فأَسمع نداء أَجهر من ذلك: يا إِبراهيم، ليس لذا خلقت، ولا بذا أُمِرْت، فوقفت أَنْظر يمنة ويسرة فلا أَرى أَحدًا فقلت: لعن الله إبليس، ثُمَّ حرَّكت فرسي، فأَسمع نداء منْ قرْبُوسِ[(٣)] سَرْجِي: يا إِبراهيم، ما لذا خلقت، ولا بذا أُمرت، فوقفت فقلت: أَنَبْتُ، أَنَبْتُ، جاءني نذير من رب العالمين، والله لا عصيت الله بعد يومي ذا، ما عَصَمَنِي ربِّي فرجعت إِلى أَهلي فخلَّيت عن فرسي»[(٤)] وهنا كما يظهر نفي صريح للعصمة.

---

(١) بَلْخُ: مدينة مشهورة بخراسان، من أجلّ مدنها وأذكرها وأكثرها خيرًا وأوسعها غلّة، وينسب إليها خلق كثير، كان بها النوبهار، وهو أعظم بيت من بيوت الأصنام، بنوا هذا البيت مضاهاة للكعبة، بعث إليها عثمان بن عفان الأحنف بن قيس؛ فخربها بعد فتح خراسان، ينظر: معجم البلدان (٤٩٧/١-٤٨٠) آثار البلاد وأخبار العباد (ص ٣٣١-٣٣٢).

(٢) خُراسَانُ: بلاد مشهورة، أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند، وتشتمل على أمّهات من البلاد منها: نيسابور وهراة ومرو وبلخ، فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحًا، وذلك في سنة ٣١ هـ في أيام عثمان -رضي الله عنه- وأهلها أشد الناس تمسكًا بالدين، فمنهم المحدثون والعلماء والعباد المجتهدون، ينظر: معجم البلدان (٣٥٠/٢)، آثار البلاد وأخبار العباد (ص ٣٦١)، الروض المعطار (ص ٢١٤-٢١٥).

(٣) القرقوس هو: الواسع الأملس، ينظر: الصحاح (٩٦٢/٣).

(٤) حلية الأولياء (٣٦٨/٧).

ومن ذلك أيضًا ماجاء في قصة أخرى لإبراهيم بن أدهم، عندما كان يطوف بالبيت، فقد حُدث عنه أنه كان في ليلة مظلمة ذات مطر ورعد، فخلا له الطواف، فقام يدعو: اللّهم اعصمني حتى لا أعصيك أبدًا، قال: فسمعت قائلًا يقول: من جوف البيت يا إبراهيم أنت تسألني أن أعصمك وكل عبادي يسألوني العصمة فإذا عصمتهم فعلى مَنْ أتفضل ولمن أغفر[١] وغاية ما في القصة سؤال من إبراهيم العصمة، والتي قوبلت بالمنع.

جاء عند صاحب المدارج عند سياقه لهذه القصة: «أن الذنب قد يكون أنفع للعبد إذا اقترنت به التوبة من كثير من الطاعات فإذا أراد الله بهذا العبد خيرا ألقاه في ذنب يكسره به، ويعرفه قدره، ويكفي به عباده شره، وينكس به رأسه»[٢].

وكان من دعاء إبراهيم بن أدهم: «اللهم انقلني من ذل معصيتك، إلى عز طاعتك»[٣].

وممن جاء عنهم على سبيل الدعاء:

قول الجنيد رحمه الله: «يا من يمحو ما يشاء، ويثبت وعنده أُم الكتاب، أَنت كذلك لا كذلك غيرك اعصمنا فيما بقي من الأَعمار إلى منتهى الآجال، عصمة دائمة كاملة تامة، وكره إلينا كل الذي تكره وحبب إلينا كل الذي ترضاه وتحبه واستعملنا به على النَّحو الَّذي تحب وأَدم ذلك لنا إِلى أَنْ تتوفَّانا عليْه»[٤].

وتجدهم – هنا – قد حَذروا من المعصية، فكيف يعتقدون عصمتهم منها، أو يدَّعونها لغيرهم.

فمن ذلك قول أبو الحسين الفارسي[٥]: «عِمارة القلب في أَربعة أَشياء في العلم والتَّقوى والطَّاعة وذكر الله وخرابه من أَربعة أَشياء من الجهل والمعصية والاغترار وطول الغفلة»[٦] وهنا نصٌ ظاهر في التحذير من المعصية.

---

(١) ينظر: قوت القلوب ، لأبي طالب المكي (١٠٢/٢).

(٢) مدارج السالكين (٣٠٧/١-٣٠٩).

(٣) قوت القلوب (٣٦٨/١) وينظر: تهذيب الكمال (٢٧/٢).

(٤) حلية الأولياء (٢٨٤/١٠).

(٥) هو: علي بن هند الفارسي الْقرشي، من كبار مشايخ الْفرس، وعلمائهم، صحب الجنيد وعمرًا المكي ومن فوقه وآخرين، ولم أجد له تاريخ وفاة فيما وقفت عليه، ينظر: طبقات الصوفية (ص ٣٩٩)، حلية الأولياء (٣٦٢/١٠)، طبقات الأولياء (ص ١٤٩)، الطبقات الكبرى، للشعراني (٢٠٥/١).

(٦) طبقات الصوفية (ص ٤٠٠)

وهنا أنقل كلامًا لأبي عبدالله مُحَّد بن خفيف – الذي كان «شيخ المشايخ في وقته»[١] – فيما نقله عنه شيخ الإسلام في الحموية الكبرى ، عند ذكره لمعتقد ابن خفيف في نقله الطويل عنه– حيث جاء عنه: «ومن زَعم أن صفاته قائمة بصفاته –ويشير في ذلك إلى غير الأيد والعصمة والتوفيق والهداية– وأشار إلى صفاته عز وجل القديمة، فهو حلولي قائل باللاهوتية والالتحام، وذلك كفر لا محالة»[٢]، وظاهر كلام ابن خفيف –هنا– أنه استعمل لفظ العصمة، وسياق كلامه في إنكار الحلول، وحكمه على القائل به بالكفر، ومن قال بالحلول فمن باب أولى أن يقول بالعصمة، وكذلك فاعتقاداته الأخرى الموافقة لأهل السنة دلالة أخرى على أن لايرى العصمة، وفي ذلك رد على القائلين بها من الصوفية أنفسهم.

إلا أنه ومع توافر هذه النقول عن صوفية أهل الحديث في تعظيمهم للسنة، وحذرهم من المعصية، نجد أحد الباحثين المعاصرين في التصوف وهو الشيعي كامل الشيبي[٣]، حاول ربط العصمة في التصوف من بداية التأسيس وذلك عند كلامه عن الصلة بين التصوف، والتشيع وانتصاره لذلك، وأن الصوفية قد أخذوا القول بالعصمة من الشيعة الذين سبقوهم بالقول بها حيث أورد نصوصًا عن الصوفية الأوائل منها ما سبق ذكره في هذه المبحث[٤] ومن ذلك:

ماجاء في دعاء إبراهيم بن أدهم السالف الذكر «اللّهم اعصمني حتى لا أعصيك أبدًا»[٥].

وفي هذا – كما يظهر – دعاء وسؤال لله بأن يعصمه حتى لا يعصي الله، لا ادعاء بأنه معصوم، فقدكان هذا ديدن الصوفية الأوائل ودأبهم، والفرق بين الأمرين واضح.

ومن ذلك أيضًا ما أورده –أي الشيبي– من حكاية وَردت لأبي سليمان الداراني يقول فيها: «إنما عصى الله عز وجل من عصاه لهوانهم عليه، ولو كرموا عليه لحجزهم عن معاصيه»[٦]

---

(١) المصدر السابق (ص ٤٦٢).

(٢) الفتوى الحموية الكبرى (ص ٤٦٦–٤٦٧).

(٣) هو: كامل مصطفى الشيبي، باحث في التصوف، عراقي المولد، تولى التدريس بكلية آداب جامعة بغداد، له عدد من المصنفات منها: الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، و صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، الطريقة الصفوية ورواسبها في العراق المعاصر، توفي بالكاظمية ببغداد سنة ١٤٢٩ هـ–، ينظر: ذيل الأعلام، أحمد العلاونة (١٣٠/٤) و معجم المؤلفين العراقيين، كوركيس عواد (٤٧/٣).

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع، الشيبي (ص ٤١٧ –ومابعدها).

(٥) قوت القلوب (٣٦٨/١) وينظر: تهذيب الكمال (٢٧/٢).

(٦) صفة الصفوة (٣٨١/٢).

وهذا نص بخلاف ما أورده الباحث من أنها دليل على القول بالعصمة عند الصوفية الأوائل، بل فيها إثبات أن العاصي ماعصى الله تعالى إلا لعدم عصمة الله له.

وإن كان من نقل أورده عن أبي سليمان الداراني كقوله: «ولا ينفع الهالك نجاة المعصوم»[١] فإنه لايقوى على النص السابق، والذي فيه إنه الله لم يحجز العاصين عن معاصيه.

وأورد كذلك تفسيراً لسهلِ التُستري في تفسيره لآية ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف:٥٣]، إنها موضع العصمة، وأنه سُئل عن معنى فسئل سهل عن معنى الطبع، وعما يوجب العصمة عنه. فقال: طبع الخلق على أربع طبائع: أولها طبع البهائم البطن والفرج والثاني طبع الشياطين اللعب واللهو، والثالث طبع السحرة المكر والخداع، والرابع طبع الأبالسة الإباء والاستكبار. فالعصمة من طبع البهائم الإيمان، والسلامة من طبع الشياطين التسبيح والتقديس وهو طبع الملائكة، والسلامة من طبع السحرة الصدق والنصيحة والإنصاف والتفضل، والسلامة من طبع الأبالسة الالتجاء إلى الله تعالى بالتضرع والصراخ، وطبع العقل العلم، وطبع النفس الجهل، وطبع الطبع العقل[٢].

وقد علق كامل الشيبي على النقلين السالفين عن سهل بأن: «العصمة عند التُستري تنفذ إلى النفس من تحري خلق خاص هو في مثل المتصوفة، فيكون الولي بناء على تحققه بهذه الأوصاف سميًّا ليوسف الصديق الذي عصمه الله في ذلك الموقف»[٣].

والموقف مما جاء عن سهل في قوله بالعصمة أحد أمرين هما:

١- وهو يتعلق بثبوت نسبة تفسير سهل إلى سهل رحمه الله.

٢- وهو يتعلق بالنص حال ثبوته في تفسير سهل، ودلالته على المراد وهو العصمة.

فأما الأول: فإن المتقدمون ممن ترجم لسهل، أو روى عنه لا يذكرون له مؤلفات[٤] ومن ذلك تفسير سهل والمسمى بتفسير القرآن العظيم[٥] حيث لم يتعرض فيه سهل لتفسير القرآن

---

(١) ينظر: الصلة بين التصوف والتشيع (ص ٤١٨).

(٢) ينظر: المرجع السابق، وفي التفسير المنسوب التستري: «وطبع الطبع الدعوى " (ص: ٨٢).

(٣) المرجع السابق (ص ٤١٨).

(٤) كالسَّراج الطوسي، وأبو طالب المكي، والسلمي، وأبو نعيم والقشيري وغيرهم.

(٥) ممن نسبه له من المتأخرين: سزكين في تاريخ التراث العربي، المجلد الأول (١٢٩/٤-١٣٠) و الزركلي، في الأعلام (١٤٣/٣) وبروكلمان في تاريخ الأدب العربي، الباب الثامن (١٣/٤).

آية آية، بل تكلم عن آيات معينة ومتفرقة من كل سورة، وفيه إجابات أسئلة وجهت إلى سهل، يتخللها بعض الحكايات والأقوال، وذكر بعض كرامات سهل وسيرته وغير ذلك مما لا علاقة له بالتفسير[١].

«ولأن بعض ما ينسبه الصوفية في كتبهم للصوفية الأوائل لا يصح، لذلك لابد من التحقق من نسبتها إليهم، والصوفية عمومًا يكثر فيهم الكذب، وكذلك فالكتب المنسوبة لشيوخ الصوفية الأوائل فهي من جمع من جاء بعدهم، ولايصح نسبة كل مافيها لهم»[٢].

أما الأمر الآخر؛ وهو في حال ثبوت نسبة هذا كلام لسهل، فإنه قد ورد في التفسير المنسوب لسهل؛ أن العصمة لا تكون إلا من الله تعالى حيث جاء عنه في تفسيره: «البلاء والعافية من الله عزَّ وجلَّ، والأمر والنهي منه، والعصمة والتوفيق منه»[٣].

وجاء من دعائه: «وأن ترزق الغنى في القلب والعصمة في الطاعة والتوفيق في الزهد»[٤] فهنا مقام طلب لا ادعاء.

أما ما نقله من تفسير سهل –رحمه الله– لآية يوسف –عليه السلام – فقد جاء لسهل تفسير آخر للآية في موضع آخر وهو:

«يعني همَّ بنفسه الطبيعية إلى الميل إليها، وهمَّ بنفس التوفيق والعصمة الفرار منها ومخالفتها. ومعناه أنه عصمه ربه، ولولا عصمة ربه لهمَّ بها ميلًا إلى ما دعته نفسه إليه، وعصمه ما عاين من برهان ربه عزَّ وجلَّ»[٥].

أما قوله: «فيكون الولي بناء على تحققه بهذه الأوصاف سميًّا ليوسف الصديق الذي عصمه الله في ذلك الموقف»[٦].

فهذا القول مِن جعل الولي سميًّا ليوسف –عليه السلام – في العصمة مما لم يقل به سهل – رحمه الله–، وعصمة الأنبياء – ولاشك – لا تقارن بعصمة غيرهم كما هو معلوم.

---

(١) ينظر: الطرق الصوفية (ص ٤٢-٤٣).

(٢) المرجع السابق: (ص ١٧٦).

(٣) التفسير المنسوب للتستري (ص ٣٦).

(٤) المصدر السابق (ص ٦٨).

(٥) تفسير التستري (ص ٨١).

(٦) الصلة بين التصوف والتشيع (ص ٤١٨).

وعند استعراض التفسير المنسوب لسهل؛ وَجدت نقولًا عنه كثيرة فيها ذكر للعصمة، تحمل على طلب العصمة من الله وتُخَرَّج مخرَج الدعاء، وبيان حال من لم يعصمه الله(١).

وأورد الشيبي، في سعيه لرَبط القول بالعصمة بالصوفية الأوائل، قول أبي عثمان النيسابوري والذي أورده السلمي في تفسيره لآية الحجر ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣]، حيث يقول أبو عثمان: «أسوأ الناس حالا من كان شغله ببطنه، وفرجه، وتنفيذ شهواته، حينئذ لا تلحقه أنوار العصمة، ولا يصل أبدا إلى مقام التوبة»(٢).

وتفسير أبي عثمان للآية حق، فإن المعصوم من عصمه الله، فإن من شغله بطنه وفرجه فسيقع بالمعصية ولاشك، ولايصل إلى مقام التوبة إلا أن يوفقه الله.

ومن ذلك: ما نقله السلمي عن أبي بكر الدينَوَرِي(٣) أنه سئُل: «ما علامة الصوفي فقال أن يكون مشغولًا بكل ما هو أولى به من غيره ويكون معصومًا عن المذمومات»(٤).

وما ذكره -كذلك- أبو نعيم في الحلية، لما تكلم عن شأن أهل الصفة وأخلاقهم وأحوالهم، ومن هم بأنهم: قوم أخلاهم الحق من الركون إلى شيء من العروض وعصمهم من الافتتان بها عن الفروض.

وكوني أنحى مَنحى حَمل ماجاء عن هؤلاء الأئمة على المحمل الحسن، نظرًا لما أُثر عنهم ونُقل من تعظيمهم للسنة والأثر -كما مرَّ سابقًا في بداية هذا المبحث- ومنهم أبو سليمان الداراني، وسهل، وأبي عثمان النيسابوري.

وإن كان وجد من أحدهم نقلًا يفهم فيه القول بالعصمة؛ كمثل ما جاء عن سهل: وعلى قدر معرفته - أي العبد - بالابتلاء يطلب العصمة وعلى قدر طلبه العصمة يظهر فقره وفاقته إلى الله، وعلى قدر فقره وفاقته يتعرَّف الضُّرَّ والنَّفع ويزداد علمًا وفهمًا وبصرًا(٥).

---

(١) ينظر: الصفحات (٦٩، ١٧٥، ٢٠١، ٢٤٥، ٣٠٠، ٣٩٥، ٤٠٣).

(٢) تفسير السلمي (١/٣٥٠).

(٣) هو: مُحَمَّد بن داود الدقي الدينَوَرِي، أقام ببغداد مدة ثم انتقل إلى دمشق فسكنها، وعُمِر فوق مائة سنة، وَكان من أَقران أبي عَليّ الرُّوذَبَارِي، وكان من أجل مشايخ وقته، وكان أحد حفاظ القرآن، توفي بدمشق سنة ٣٥٩ هـ، ينظر: طبقات الصوفية (ص ٤٤٨) تاريخ بغداد (٣١٩/٢) الرسالة القشيرية (١٣٦/١).

(٤) طبقات الصوفية (ص ٤٤٨).

(٥) ينظر: حلية الأولياء (١٩٩/١٠).

وقوله -رحمه الله-: «واجعل تصَبُّري عمَّا يسخطك فيما نهيتني عنه تصبر من استغنى عن الصبر بقوة العصمة منك»[١].

فأنه هذا لا يَنهض في مقابلة النقول الواردة عنهم في تعظيم السنة والأثر وفي رفضهم للعصمة، والخوف من الوقوع بالذنب وطلب التوبة.

بل يحمل -كذلك- ما جاء عنهم على المحمل الحسن، وقد التزم هذه القاعدة شيخ الإسلام -رحمه الله- عند تعقبه للقشيري فيما نقله عن الجنيد في تعريفه للتوحيد؛ بأنه: إِفْرَاد الْقدَم من الْحَدث، حيث يقول شيخ الإسلام: «قلت: هَذَا الْكَلَام فيه إِجمال والمحق يحمله محملًا حسنًا وغير المحق يدخل فيه أَشياء، وأما الجنيد فمقصوده التَّوحيد الَّذي يشير إِليه المشايخ وهو التَّوحيد في القصد والإرادة، وما يدخل في ذلك من الإِخلاص والتوكل والمحبة»[٢].

وقال في موضع آخر بعد ذكره للمقولة التي اشتهرت عن بعض الصوفية؛ ما عبدتك شوقًا إلى جنَّتك أَو خوفًا من نارك ولكن لأَنظر إليك وإِجلالًا لك[٣] بقوله: «وهذا كحال كثير من الصَّالحين والصَّادقين وأَرباب الأَحوال والمقامات يكون لأَحدهم وَجْدٌ صحيح وذَوْقٌ سليمٌ، لكن ليس له عبارة تبيِّن كلامه فيقع في كلامه غلط وسوء أَدبٍ مع صحَّة مقصوده»[٤].

---

(١) المصدر السابق: (٢٨٢/١٠).

(٢) الاستقامة: (٩٢/١).

(٣) كرابعة العدوية، التي اشتهر عنها تلكم العبارة ومثل ذلك توجيه-شيخ الإسلام-لما نسب لرابعة كذلك من قولها: عن البيت أنه الصنم المعبود في الأرض بأنه كذب على رابعة، ولو قال هذا من قاله لكان كافرًا يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وهو كذب فإن البيت لا يعبده المسلمون ولكن يعبدون رب البيت بالطواف به والصلاة إليه، وكذلك ما نقل من قولها: والله ما ولجه الله ولا خلا منه، كلام باطل عليها، ينظر: مجموعة الرسائل والمسائل (٨٠/١) ومن ذلك المقولة التي اشتهرت في واجب المريد والعارف تجاه شيخه وهي: أن العارف لا حظ له وأنه يصير كالميت بين يدي الغاسل، قال ابن مهدي في شرحه لكلام شيخ الإسلام في التدمرية موجهًا لتلكم العبارة: «ليس معناه أن لا تكون له إرادة أصلا وهذا معنى قول المؤلف: «فهذا إنما يمدح منه سقوط إرادته التي لم يؤمر بها، وعدم حظه الذي لم يؤمر بطلبه وأنه كالميت في طلب ما لم يؤمر بطلبه وترك دفع ما لم يؤمر بدفعه»، وحينئذ فلا يجوز حمل كلام المشائخ المستقيمين، على ترك الإرادة مطلقًا، فإن هذا غلط فاحش، وذلك أن الحي لابد له من إرادة." ينظر: التحفة المهدية (١٢٤/٢).

(٤) العبودية، ضمن مجموع الفتاوى: (٦٩٩/١٠).

ويقول في موضع آخر عند حديثه عن الجنيد: «بخلاف الجنيد فإن الاستقامة والمتابعة غالبة عليه، وإن كان كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله -ﷺ- وما ثم معصوم من الخطأ غير الرسول لكن الشيوخ الذين عرف صحة طريقتهم علم أنهم لا يقصدون ما يعلم فساده بالضرورة من العقل والدين»(١).

وكذلك فإن الصوفية عمومًا يكثر فيهم الكذب فتجدهم ينسبون كلامًا للصوفية الأوائل كالجنيد، وسهل التستري يخالف ما عليه أهل السنة والجماعة، وتؤيد باطلهم(٢).

يقول شيخ الإسلام في معرض رده على الحلولية: «وليس أحد من أهل المعرفة بالله يعتقد حلول الرب تعالى به؛ أو بغيره من المخلوقات ولا اتحاده به. وإن سمع شيء من ذلك منقول عن بعض أكابر الشيوخ. فكثير منه مكذوب اختلقه الأفاكون من الاتحادية المباحية؛ الذين أضلهم الشيطان وألحقهم بالطائفة النصرانية»(٣).

لكن مع ما تقدم من حال صوفية أهل الحديث -في الجملة- مع العصمة إلا أنه قد يقع من أفرادهم مخالفة فيما يتعلق بالقول بالعصمة تصريحًا كان أو غير تصريح مثل ما وقع فيه من تُنسب إليه الطريقة القادرية الشهيرة والتي لازالت تضرب في أطنابها حتى هذه اليوم، متخذةً من محبة الشيخ ومنزلته دليلًا على عملها وأعني بذلك الشيخ عبدالقادر الجيلاني شيخ الطريقة الجيلانية(٤) فقد جاء عنه مافيه إشارة للعصمة كقوله: «من لم يعتقد في شيخه الكمال لا يفلح

---

(١) الصوفية والفقراء، ضمن مجموع الفتاوى (٣٩٣/١١).

(٢) ينظر: الطرق الصوفية للسهلي (٣٦).

(٣) الصوفية والفقراء، ضمن مجموع الفتاوى (٧٤/١١).

(٤) هو: الإمام العالم الزَّاهد، عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله الجِيْلاني، أو الكيلاني، الحَنْبَلِيُّ المذهب شيخ بغداد، نسبة إلى جيلان وراء طبرستان، اتصل بشيوخ العلم والتصوف، برع في أساليب الوعظ، وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد،، له تصانيف منها:: الغنية لطالب طريق الحق، و الفتح الرباني، و فتوح الغيب، له كلام على لسان أَهل الطَّرِيقة، وكان سيدهم في وقته، قال الإمام الذهبي عن أحواله وكراماته: «لَكن كثيرًا منها لا يصح، وفي بعض ذلكَ أَشياء مستحيلة» وقال: «وفي الجملة: الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه، والله الموعد، وبعض ذلك مكذوب عليه»وقال ابن كثير: «ويذكرون عنه أَقوالًا وأَفعالًا ومكاشفات أَكثرها مغالاةٌ."، له كلام حسن في التوحيد، والصفات والقدر، وفي علوم المعرفة موافق للسنة، توفي في بغداد سنة ٥٦١ هـ ينظر: الكامل، لابن الأثير (٣٢٦/٩) سير أعلام النبلاء (٤٣٩/٢٠-ومابعدها) البداية والنهاية (٣١٣/١٢) ذيل طبقات الحنابلة (١٨٨/٢-١٩٨) الأعلام (٤٧/٤).

على يديه أبدًا»[١] ونلاحظ ربطه كمال المريد باعتقاد كمال شيخه، لا كما جاء في الآية الكريمة التي ربطت الفلاح بتزكية النفس ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩].

وفي موضع آخر يُحذر الجيلاني من ترك مخالفة الشيخ أو الاعتراض عليه، وذلك عند كلامه عن آداب المريد مع الشيخ حيث يقول:

«فالواجب عليه -أي المريد- ترك مخالفة شيخه في صحبته في الظاهر، وترك الاعتراض عليه في الباطن، فصاحب العصيان بظاهره تارك لأدبه، وصاحب الاعتراض بسره متعرض لعطبه، بل يكون خصمًا على نفسه لشيخه أبدًا، يكف نفسه ويزجرها عن مخالفته ظاهرًا وباطنًا، ويكثر قراءة قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]»[٢].

لكن الشيخ عبد القادر يصرح في موضع آخر من كتابه الشهير - الغنية - بمنع اعتقاد العصمة للشيخ، وأن المريد لو رأى من الشيخ ما يكره، فلا يصرح في بذلك بل يقوم بضرب المثل أو الإشارة، وفي ذلك يقول: «وإذا ظهر له من الشيخ ما يكره في الشرع استخير عن ذلك بضرب المثل والإشارة، ولا يصرح به لئلا ينفر به عليه، وإن رأى فيه عيبًا من العيوب ستره عليه، ويعود بالتهمة على نفسه، ويتأول للشيخ في الشرع، فإن لم يجد له عذرًا في الشرع استغفر للشيخ ودعا له بالتوفيق والعلم والتيقظ والعصمة والحمية، ولا يعتقد فيه العصمة»[٣].

ومما سبق نجد نصين منقولين عن الجيلاني من أحد كتبه أحدهما فيه الإشارة بإثبات العصمة، والآخر فيه التصريح بعدم العصمة للشيخ وهو الأولى بالأخذ به لصراحته، ولما عُرف عن الجيلاني من موافقته للسنة وثناء علماء أهل السنة والجماعة عليه وذلك في الجملة، فقد جاء عنه: «اعتقادنا اعتقاد السَّلف الصَّالح والصَّحابة»[٤]، وقد كان يعظِّم الأَمر وَالنَّهْي ويوصي باتِّباع ذلك[٥].

---

(١) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية (١٧٤/١).

(٢) الغنية (٢٧٩/٢).

(٣) المصدر السابق: (٢٧٩/٢).

(٤) سير أعلام النبلاء (٤٤٢/٢٠).

(٥) مجموع الفتاوى (٣٠٦/٨).

لذا فإن كلامه الذي يفهم منه القول بالعصمة يُحمل على التأكيد على حق الشيخ وصحبته والأخذ منه.

أما السهروردي صاحب العوارف وقبله عمه وشيخه أبو النجيب[١] - والذي كان سببًا - أي أبو النجيب - في منع ابن أخيه من الاشتغال في علم الكلام[٢] فقد جاء عنهما ما فيه إشارة للعصمة، وذلك عند كلامهما عن آداب المريد مع الشيخ.

فقد جعل أبو النجيب من الآداب أن يُسلم المريد نفسه للشيخ، ويكون كالطفل مع والديه ويكون اعتقاده فيه صحيحًا ويطيعه في جميع ما يأمره به من غير أن يسأله عن علة ذلك، أو عن فائدة ذلك، ولايعترض عليه لا ظاهرًا ولاباطنًا[٣] وما قاله أبو النجيب فيه إشارة للعصمة، من التسليم للشيخ وعدم الاعتراض عليه، مما يلزم من ذلك أن قوله صوابًا لا يحتمل الخطأ.

فالاعتراض - عندهم - سبب الانقراض[٤] والشيطان لا يقوم أمام الشيخ[٥].

ويؤكد أبو النجيب هذا المعنى في موضع آخر عند كلامه عن آدابهم في حال البداية: «فيسلم نفسه لخدمته - أي الشيخ - ويعتقد ترك مخالفته»[٦].

---

(١) هو: عبد القاهر بن عبد الله بن مُحَمَّد البكري، أبو النجيب السهروردي الشافعي، الفقيه الواعظ الزاهد، شيخ بغداد، من أئمة المتصوفه، ولد بسهرورد، وقدم بغداد في صباه، بنيت له فيها رباطات للصوفية من أصحابه، وسمع الحديث وولي المدرسة النظامية، آثر الانقطاع فتجرَّد، وصنف مصنفات منها: آداب المريدين فِي التصوف والأخلاق يستعمل فيه ألفاظ المتكلمين، دون تقرير منهجهم، وله كذلك: شرح الأسماء الحسنى، و غريب المصابيح، توفي ببغداد سنة ٥٦٣ هـ ينظر: سير اعلام النبلاء (٤٧٦/٢٠-٤٧٨)، الوافي بالوفيات (٣٣/١٩)، طبقات الشافعية (١٧٤/٧-١٧٥)، هدية العارفين (٦٠٦/١-٦٠٧)، الأعلام (٤٩/٤).

(٢) قصة رجوع السهروردي عن الاشتغال بعلم الكلام؛ قَصها بطولها السهروردي نفسه، وكيف كان عمه أبو النجيب سببًا في ذلك بعد أن كان يزجره عن علم الكلام و لا يتنهِ، ثم ذهابه به إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني،، ذكر القصة يوسف زيدان في كتابه: عبدالقادر الجيلاني باز الله الأشهب، (ص ٦٨-٦٩) نقلًا عن بهجة الأسرار، لعلي الشطنوفي، ونقلها كذلك ابن رجب؛ كما في ذيل الطبقات عن ابن النجار في تاريخه وفيها: إنه أخذ بيده، وقال له: تب مما عزمت على الاشتغال به، فإنك تفلح، ثم سكت وترك يده، قَالَ: ولم يتغير عزمي عن الاشتغال، حتى تشوشت عليَّ جميع أحوالي، وتكدر وقتي عليَّ فعلمت أن ذلك لمخالفة الشيخ، قال: فتبت إلى الله من ذلك اليوم، ورجعت عنه، فصلحت حالي، وطاب قلبي، ينظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢٠٢/٢).

(٣) ينظر: آداب المريدين (ص ١١٠).

(٤) جُنة المريد دون المريد مُحَمَّد بن المختار الكنتي (٤٧٣/٢).

(٥) المصدر السابق (٤٧٦/٢).

(٦) آداب المريدين (ص ٣١).

وقال كذلك: «قال بعض المشايخ: من لم يتأدب بأوامر الشيوخ، وتأدبهم فلا يتأدب بكتاب ولا سنة، وقيل: علامة المريد السمع والطاعة للدليل، وترك التبصر عند الطبيب»(١) أي الشيخ.

وبنحو ذلك قال السهروردي -صاحب العوارف- عند كلامه عن آداب المريد مع شيخه، رغم أن شيخ الإسلام قد وصفه بأنه: «من أجلاء المشايخ وأكثرهم حرصًا على متابعة السنة في أعمالهم»(٢).

وقال -يمدحه- في موضع آخر: «فإن شهاب الدين شيخٌ مسلم محبٌ لسنة رسول الله ﷺ وشريعته سالكٌ طريقة أمثاله من المشايخ أهل المعرفة والدين، عظيمُ القدر في وقته ﷺ»(٣)، وقد كان مشتغلًا بعلم الكلام في أيام شبابه حتى هداه الله.

أما عن تصوف السهروردي شهاب الدين؛ فلم يكن الشيخ في تصوفه غاليًا منحرفًا، ونجده -رحمه الله- منتقدًا من يتهاون بحدود الشرع، ذامًا لأهل الحلول وبالأخص الحلاج(٤).

لكنه -رحمه الله- قد جانب الصواب عند كلامه عن آداب المريد مع الشيخ- وهذا مما لايوافق عليه مع -جلالة قدره- فقد وصف علاقة المريد مع الشيخ بأن يكون مسلوب الاختيار فقد قال ما نصه:

«وهكذا أدب المريد مع الشيخ أن يكون مسلوب الاختيار، لا يتصرف في نفسه وماله، إلا بمراجعة الشيخ وأمره»(٥).

وقد جعل السهروردي السكوت عند الشيخ أحسن الأدب، فها هو يقول: «أحسن أدب المريد مع الشيخ السكوت والخمود والجمود؛ حتى يبادئه الشيخ بما له فيه من الصلاح قولًا وعملًا»(٦).

---

(١) المرجع السابق (ص ٤١).

(٢) جامع المسائل (٤/٣٩٤).

(٣) المصدر السابق (٤/٣٩٤).

(٤) ينظر: الإمام السُهْرَوردي وآراؤه الاعتقادية، عبدالله البراك (ص ١١).

(٥) عوارف المعارف (ص ٢٨١).

(٦) المصدر السابق (ص ٢٨٢).

أما لبس الخرقة الصوفية؛ فلم يجعلها مجرد لباس يوضع على الجسد بل جعلها ارتباطًا بين الشيخ وبين المريد، واستسلام من المريد للشيخ، وتصويب الشيخ فيما يفعل، وإظهارًا للتصوف، حيث يقول: «لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ وبين المريد، وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه، والتحكيم سائغ في الشرع لمصالح دنيوية، فماذا ينكر المنكِر للبس الخرقة على طالب صادق في طلبه يتقصد شيخًا بحسن ظن وعقيدة يحكمه في نفسه لمصالح دينه، يرشده ويهديه ويعرفه طريق المواجيد[(١)]، ويبصره بآفات النفوس وفساد الأعمال ومداخل العدو، فيسلم نفسه إليه ويستسلم لرأيه واستصوابه في جميع تصاريفه، فيلبسه الخرقة إظهارًا للتصوف فيه، فيكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم»[(٢)].

وقد نقل صاحب كتاب الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر – وهو صوفي معاصر – عن صاحب العوارف عدم القول بالعصمة، وأن القول بعدم عصمة الأولياء هو قول للصوفية[(٣)]، والصحيح أن القول بالعصمة ليس هو قول للصوفية عامة بل قال به البعض دون الآخر.

وإن كان انتشار هذا المعتقد وشيوعه كان في عصور متأخرة، كما يفهم من كلام أحد الباحثين المعاصرين بأنه:

«في العصور المتأخرة بلغ اعتقاد الناس بالأولياء درجة كبيرة جدًا فآمنوا بعصمة الولي»[(٤)] وإلا فالاعتقاد بالعصمة كما مرَّ سابقًا، قد قال به بعض المتقدمين.

أما كتاب العوارف الذي نُقل منه هذا النقل؛ فعند البحث فيه، لا أجد فيه إلا كلامًا فيه إشارات للعصمة بجعل المريد أمام الشيخ مسلوب الاختيار أحسن أدب المريد مع الشيخ السكوت والخمود والجمود، وتصويب للشيخ فيما يفعل ولعل الصوفي المعاصر هذا قد فاته ماعبر به السهروردي، ويظهر عدم تتبعه –كذلك– قول الصوفية في العصمة وتفاوتهم في ذلك.

---

(١) المواجيد: مفردها وجد، والوجد عند الصوفية يراد به: «حالة يشعر فيها المرء بانقطاع أوصافه البشرية، وباتحاد نفسه بالموجود الكامل أي بالله» المعجم الفلسفي، جميل صليبيا (١/٥٥٦) وهذا المصطلح في حقيقته فناء الذات لكن ليس كل من أطلقه من المتصوفة بالضرورة يقصد تحقيق هذا المعنى.

(٢) المصدر السابق: (ص ٦٩).

(٣) ينظر: الطريق الصوفي وفروع القادرية في مصر، يوسف زيدان (ص ٥١).

(٤) التصوف بين الحق والخلق، مُحَمَّد فهر شقفة (ص ٨٧).

المبحث الثاني

موقف المنتسبين للتصوف من أهل الكلام والمتفلسفة من العصمة

هذا المبحث مثل سابقه لم أجد -فيما وقفت عليه- من نَصٍّ صريح وواضح، على موقف متكلمة ومتفلسفة الصوفية من عصمة الأولياء إنما هي نقول عنهم، توافق القول بالعصمة من عدمها، قبولًا أو ردًا، تصريحًا أو غير تصريح.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الصوفية الأوائل (صوفية أهل الحديث) لم يعرفوا المناهج الكلامية، ومنهم الجنيد وسهل التُستري وغيرهما، بل كان لهم منهج قوي في الرد على تلك الفرق[1].

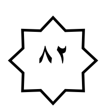
وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام في الاستقامة حيث ذكر أنَّ: المشايخ المعروفين الذين جمع الشيخ أبو عبدالرحمن -أي السلمي- أسمائهم في كتاب طبقات الصوفية، وجمع أخبارهم وأقوالهم، لم يكونوا على مذهب الكلابية الأشعرية[2] [3] وشيخ الإسلام يقصد المشايخ يقصد الذين تكلم عنهم السلمي بالجملة، وإلا فهناك من ذكرهم السلمي من رجال الصوفية من وقع

---

(١) ينظر: الفرق الصوفية، للسهلي (ص: ٢٧-٢٨).

(٢) الكلابية: هم أصحاب عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري أبو مُحَمَّد وقيل: عبد الله بن مُحَمَّد بن كلاب، لكن الأول هو ما اشتهر به والمتوفى بعد الأَربعين ومئتيْن بقَلِيل وهو الأشهر، وبعضهم حدده بسنة ٢٤١هـ، قال عنه الذهبي: «رأْس المتكلِّمين بالبصرة في زمانه." وقال شيخ الإسلام عنه: «وابن كلاب كان أقرب إلى السلف زمنا وطريقة» والكلابية هم أسلاف ومشايخ الأشعرية، وقد اندمجوا فيهم حتي وصل الأمر- بعد انتشار مذهب الأشعرية- الى أن يطلق اسم الطائفتين على الأخرى، وإن كان الأغلب في التسمية الأشعرية، وقد كان للمعتزلة أثر مباشر أو غير مباشر على منهج الكلابية الكلامي والعقلي، وهؤلاء-هم-والأشاعرة وإن ردوا على المعتزلة وبينوا فساد أقوالهم إلا أنهم لم يخرجوا سالمين من المعركة، ومن أعلام الكلابية: الحارث المحاسبي، والقلانسي، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل من أشد الناس على عبد الله بن سعيد بن كلاب، وعلى أصحابه مثل الحارث وغيره. انفردت الكلابية كما يذكر أبو مُحَمَّد اليمني بأن قالوا: ليس له كلام مسموع، وإنما هو إلهام من غير كلام، ينظر:الفهرست لابن النديم (ص ٤٣٨٩)، عقائد الثلاث والسبعين فرقة، لأبي مُحَمَّد اليمني (٢٧٩/١)، الاستقامة (١٠٥/١)، سير أعلام النبلاء (١٧٤/١١) وما بعدها، و طبقات الشافعية (٢٢٤/٢)، هدية العارفين (٤٤٠/١)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود (١/ ٤٣٨).

(٣) ينظر: الاستقامة (١/ ١٠٦-١٠٧).



بما هو أعظم من ذلك كالقول بالحلول، والاتحاد[١] كالحلاج[٢] فهم ليسوا كلهم على معتقد واحد.

أقول: لقد خالف أئمة ومشايخ التصوف من أهل الكلام والمتفلسفة؛ معتقد أهل السنة والجماعة والذي مثله صوفية أهل الحديث بالجملة، فيما يتعلق بموقفهم من عصمة الأولياء، واعتقدوا فيهم اعتقادًا مخالفًا، حيث زعموا أن الأولياء تكون فيهم العصمة مخالفين ما دلت عليه الأدلة الشرعية والعقلية في بطلان ذلك كما سيأتي[٣]، وسيظهر لنا مدى التناقض والاضطراب في أقوال عدد من أعلامهم، شأنهم كشأن سمات أهل البدع[٤] فقد يشير أحدهم أو يصرح بالعصمة ثم ينفي ذلك أو يأتي بكلام يخالف ما قاله.

أما عن موقف صوفية أهل الكلام من العصمة، فأبدأ بَعَلم من أعلام هذه المدرسة؛ وهو الحارث المحاسبي[٥] علمًا أن المحاسبى هذا كان أحد أتباع هذه المدرسة، والذين كونوا مدرسة كبرى ربطت بين الكلام والتصوف فيما بعد[٦].

---

(١) الاتحاد عند الصوفية هو: شهود وجود واحد مطلق من حيث أن جميع الأشياء موجودة بوجود ذلك الواحد معدومة في أنفسها، المعجم الفلسفي جميل صليبا (٣٥/١) وينظر: معجم اصطلاحات الصوفية، للكاشاني (ص: ٤٩) وقد ذكر الجرجاني في تعريفاته تعاريف كثيرة، ينظر: التعريفات (ص ٢٢).

(٢) سئل شيخ الإسلام -رحمه الله- عن حكم من يعتقد ما يعتقده الحلاج من المقالات التي قتل الحلاج عليها فقال: «الحمد لله، من اعْتقَد ما يعتقده الْحَلَّاج من المقالات الّتِي قتل الْحَلَّاج عليها فهو كافر مرتد باتِّفاق المسلمين؛ فَإِنَّ المسلمين إنَّما قتلوه على الحلول والاتِّحاد ونحو ذلك من مقالات أَهل الزَّندقة والإِلحاد كقوله: أَنا اللَّهُ وقوله: إِلَهٌ في السَّمَاء وَإِلَهٌ في الْأَرْض» مجموع الفتاوى (٤٨٠/٢).

(٣) وذلك عند الرد عليهم في الفصل الرابع من خلال أقوال أهل السنة والجماعة، (ص: ١٨٣)، والرد عليهم من خلال أقوال أئمتهم، (ص: ٢٠٦).

(٤) أشار إلى هذا التناقض والاضطراب؛ ناصر العقل، وجعله من سمات أهل الاهواء والبدع والافتراق، وأنه سمة عامة في أغلبهم، ينظر: مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع (ص ٧٩-٨٠).

(٥) هو: الحارث بن أسد الْمُحَاسِبِيُّ البغدادي، يصفه الذهبي بأنه: صدوق في نفسه، وأنهم نقموا عليه بعض تصوفه وتصانيفه، وللحارث تصانيف كثيرة فِي الزهد، ككتاب: الرِّعَايَة لحقوق الله، وكذلك في أصول الديانات، وَالرد على المخالفين، اشتهر أن الحارث المحاسبي تكلم في شيء من الكلام فهجره أَحْمد بن حنبل، فاختفى فِي دار ببغداد ومات فيها، إلا أن الذهبي يذكر أن هذه الحادثة منقطعة، وقد ورد: أَنَّ الإمام أَحمد أَثْنى على حال الحارث من وجه، وحذَّر منه توفي سنة ٢٤٣ هـ، ينظر: طبقات الصوفية (ص ٥٦)، وحلية الأولياء(٧٣/١٠)، و تاريخ بغداد (٢٠٨/٨ ٢١١)، و الرسالة القشيرية (٥١/١)، و وفيات الأعيان (٧٥/٢)، و سير أعلام النبلاء (١١٠/١٢)، وميزان الاعتدال (٤٣٠/١)، وطبقات الشافعية (٢٧٨/٢)، و تهذيب التهذيب (١٣٤/٢)، و تقريب التهذيب لابن حجر (ص: ١٤٥).

(٦) ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٤٥٦/١).

أما عن تصوفه فلم يكن كتصوف غيره في الغلو والانحراف، بل كان كثيرًا ما يشير إلى وجوب الالتزام بالكتاب والسنة ومتابعة الشرع[١] في عدد من كتبه ومنها كتابه الأشهر (آداب النفوس) جاء فيه: «فقم يا أخي بفرائضه، والزم شرائعه، ووافق سنة نبيه -ﷺ-، واتبع آثار أصحاب نبيه والزم سيرتهم، وتأدب بآدابهم واسلك طريقهم واهتد بهداهم»[٢].

ولذلك شنع المحاسبي على بعض متصوفة عصره وانحرافاتهم، فذكر أنواعا من غرورهم بما عندهم وعدم مطابقة أقوالهم[٣] فقال بعد أن أطال الكلام عن من تعبد لله ويرى أنه من النساك العاملين لله: «وإنما أطلت الوصف في هذه الفرقة لأنها عظيمة غرتها، قد غلب ذلك على كثير ممن يتعبد ويرى أنه من النساك العاملين لله عز وجل»[٤].

إلا أن أبانعيم في الحلية أورد قصة له مع الجنيد حينما قَدَّم الطعام لحارث، فقال الحارث: ولكن بيني وبين الله علامة إذا لم يكن الطعام عند الله مرضيًا ارتفع، إلى أنفى زمنه فورة فلم تقبله نفسي فقد رميت بتلك اللقمة في دهليزكم وخرجت. [٥] ووصف المحاسبي لنفسه بأن بينه وبين الله علامة تمنعه من أكل الطعام غير المرضي؛ فيها إشارة للعصمة.

وكذلك ماورد عن ذي النون المصري من نصوص فيها تصريح بالعصمة، ومنها ماكان على سبيل الإشارة.

فقد جاء عنه مصرحاً بعصمة الأولياء قوله: «اللَّهمَّ اجعلنا من الَّذين تراسلت عليهم ستور عصمة الأوْلياء.»[٦].

أما ما كان على سبيل الإشارة، فقد جاء عنه: «لا يكون المريد مريدًا إلا بعد أن يكون امتثاله لكلام شيخه أكثر من امتثاله لكلام الله تعالى»[٧] تعالى الله وتنزه.

---

(١) المرجع السابق: (٤٥٧/١).

(٢) آداب النفوس (ص ٣٨).

(٣) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٤٥٨/١).

(٤) الرعاية لحقوق الله (ص ٤٥٥).

(٥) ينظر: حلية الاولياء (٧٤/١٠-٧٥).

(٦) المصدر السابق (٣٣٥/٩)

(٧) تذكرة الأولياء ، للعطار (ص: ١٨٣).

والصوفي الآخر هو المتكلم -صاحب الرسالة-؛ أبو القاسم القشيري، الذي كان موقفه في أمر العصمة مضطربًا وغامضًا فله كلام طويل عن العصمة -أنقله بطوله- وإن كان قوله بالعصمة هو الأشهر فيما عُرف عنه ونُقل[١].

فقد أورد في رسالته فصلًا قال فيه: «فصل ولا ينبغي للمريد أَن يعتقد فِي المشايخ العصمة بل الواجب أَن يذرهم وأحوالهم فيحسن بهم الظن»[٢].

وبالمقابل يُورد في تعريف له للولي بأنه محفوظ والنبي معصوم ويفرق بين المعنيين[٣] ولا فرق فيقول:

«الوليّ على وزن فعيل مبالغة من الفاعل، وهو من توالت طاعاته، من غير أن يتخللها عصيان، ويجوز أن يكون فعيل بمعنى مفعول؛كجريح وقتيل بمعنى مجروح ومقتول فيكون الولىّ من يتوالى عليه إحسان الله وأفضاله، ويكون بمعنى كونه محفوظًا فى عامة أحواله من المحن، وأشدّ المحن ارتكاب المعاصي فيعصمه الحقّ - سبحانه - على دوام أوقاته من الزّلات.

وكما أن النبيّ لا يكون إلا معصومًا فالولىّ لا يكون إلا محفوظًا.

والفرق بين المحفوظ والمعصوم أن المعصوم لا يلمّ بذنب البتّة، والمحفوظ قد تحصل منه هنات، وقد يكون له -في الندرة- زلّات، ولكن لا يكون له إصرار.

ثم يقول: ولا يكون وليًّا إلا إذا كان موفّقا لجميع ما يلزمه من الطاعات، معصومًا بكل وجه عن جميع الزلات. وكل خصلة حميدة يمكن أن يعتبر بها فيقال: هي صفة الأولياء. ويقال الولي من فيه هذه الخصلة»[٤].

---

(١) وقد أشار إلى هذا الغموض والاضطراب الباحث المعاصر في التصوف؛ مُحَمَّد الجليند عند إشارته لما كتبه الكلاباذي، والسرَّاج الطوسي، والسلمي في طبقاته، حيث يرى أن القارئ لهذه الكتب، وهي أقدم مراجع التصوف، يجد اللفظ ونقيضه حول الموضوع الواحد، وقد يجد لدى الصوفي الواحد أقوالًا يخالف بعضها بعضًا في القضية الواحدة. ينظر: من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة (ص٣-٤).

(٢) الرسالة القشيرية (٥٧٩/٢).

(٣) كما سيأتي بيانه -بإذن الله- في أنه لا فرق بين العصمة والحفظ، وذلك في الفصل الثالث في مسالك الصوفية في تقرير عصمة الأولياء، (ص ١٤٧)، وفي الفصل الرابع عند الرد على عقيدة عصمة الأولياء عند الصوفية، (ص ١٨٢).

(٤) لطائف الإشارات (١٠٤/٢-١٠٥).

والتناقض والتعارض في قوله ظاهر في موضع واحد[١] بين القول بالعصمة مطلقًا وبين القول بها لا على سبيل الإطلاق.

وفي موضع آخر له؛ يثبت العصمة للأولياء فيقول: «واعلم أَن أجل الكرامات الَّتي تكون للأولياء: دوام التوفيق للطاعات، والعصمة عن المعاصي والمخالفات»[٢].

وقال في موضع آخر؛ مؤكدًا ذلك: «فالعصمة للأنبياء عليهم السلام ثم للأولياء»[٣].

ومرة أخرى في رسالته يقول بالعصمة إشارة دون تصريح، وذلك عند كلامه عن آداب المريد مع شيخه، ومبينًا الشرط في ذلك، ومبينًا التحذير من مخالفته حيث يقول: «... وأن لا يخالف شيخه في كل ما يشير عليه، لأن الخلاف للمريد في ابتداء أمره عظيم الضرر، لأن ابتداء حاله دليل على جميع عمره ومن شرطه أَن لا يكون له بقلبه اعتراض على شيخه»[٤].

ويرى أحد الباحثين المعاصرين أن القشيري رغم قوله بعصمة الأولياء إلا أنه لا يرى لهم العصمة المطلقة، لأنه يرى – أي القشيري – أن الولي مهما كانت رتبته ومكانته، فأنه يقام عليه الحد إذا خالف حدود الله، ولايسقط الحد لصلاحه[٥].

ويُورد نصًّا للقشيري في تفسيره قال فيه: «لو أنّ وليًّا من الأولياء سرق نصابًا من جرد، ووجد فيه استحقاق القطع، أقيم عليه الحدّ كما يقام على المتهتك، ولا يسقط الحدّ لصلاحه»[٦].

ويشابه ما ذكره القشيري من تعريف للولي – والذي فيه ذكر للعصمة – ما قال به الصوفي الآخر الهجويري، عند حديثه عن الولاية حيث قال:

«أما ولي فجائز أن تكون فعيل بمعنى مفعول. كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٦] لأن الله تعالى لا يدع عبده لأفعاله و أوصافه، ويحفظه في كنف حفظه. وجائز أن

---

(١) وقد نبه –كذلك– إلى هذا التناقض؛ محمد عابد الجابري وأن هذا التمييز الذي يُلح عليه القشيري أي القول بعصمة الأولياء سرعان ما يتخطاه ويقفز عليه، كما يصفه الجابري، ينظر: العقل الأخلاقي العربي (ص ٤٥٩).

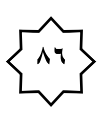
(٢) الرسالة القشيرية (٥٢٦/٢).

(٣) لطائف الإشارات (٦٣٨/٢).

(٤) الرسالة القشيرية (٥٧٤/٢).

(٥) آراء القشيري الكلامية والصوفية عرض ونقد، كوياتي محمود موري (ص ٤٢٢).

(٦) لطائف الإشارات (٤٢٢/١).



تكون فعيل بمعنى المبالغة في الفاعل، لأن العبد يتولى طاعته ويداوم على رعاية حقوقه، ويعرض عن غيره فهذا مُريد، وذك مراد وجميع هذه المعاني جائزة من الحق إلى العبد»[(١)].

إلى أن قال مصرحًا بلفظ العصمة: «ويجوز أيضًا أن يمنح واحدًا الولاية بإقامته على طاعته، ويحفظه في حفظه وعصمته ليقيم على طاعته، ويتجنب مخالفته.»[(٢)].

وممن أشار إلى العصمة الغزالي[(٣)] الذي «بقدر اشتهاره بأشعريته –والذي يعد أحد أعلامها المدافعين عنها– اشتهر كذلك بتصوفه، ولذلك فهو يمثل مرحلة خطيرة من مراحل امتزاج التصوف بالمذهب الأشعري حتى كاد أن يكون جزءًا منه»[(٤)] وقد كان أبوه قبل وفاته قد أوصّى به وبأخيه أَحْمد إلى صديق له متصوف[(٥)].

يقول أبو حامد كما جاء في الإحياء – و«الذي وضعه على مذاهب الصوفية»[(٦)] – وذلك عند كلامه عن حاجة المريد إلى شيخ وأستاذ يقتدي به حيث يذكر الواجب على المريد تجاه شيخه بقوله: «معتصم المريد شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد، بحيث يفوض أمره إليه بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبقى في متابعته شيئًا

---

(١) كشف المحجوب (٢/٤٤٣-٤٤٤).

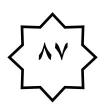
(٢) المصدر السابق (٢/٤٤٤).

(٣) هو: مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي الطوسي الفقيه الشافعي، الملقب بحجة الإسلام، قال عنه ابن خِلكان: «لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله."، لازم إمام الحرمين وتتلمذ عليه، حتى وفاته، فبرع في الفقْه، وَ فِي علم الكَلاَمِ وَالجَدَل والمنطق والفلسفة، سلك طريق التزهد والانقطاع، ألزم بتدريس النظامية، واتخذ خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالْعلم، له تصانيف كثيرة متنوعة منها: إحياء علوم الدين، وفضائح الباطنية والْمُسْتَصْفى فِي أصول الْفِقْه، يقول عنه شيخ الإسلام مبينًا حاله قبل موته: «وهذا أبو حامد الغَزَالِي مع فرط ذكائه وتَأَلُّهِه ومعرفته بالكلام والفلسفة وسلوكه طريق الزُّهْد والرِّيَاضة والتَّصَوُّف ينتهِي في هذه الْمسائل إلى الْوقْف والْحَيْرة ويحيل في آخر أَمره على طريقة أَهْل الْكَشْف وإِنْ كان بعد ذلك رجع إلى طرِيقة أَهل الحديث وصَنَّف إلجام العوام عن علم الكلام." توفي أبو حامد الغزالي بطوس سنة ٥٠٥ هـ، ينظر: تبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص ٥٣-٥٦) وفيات الأعيان (٤/٢١٦)، مجموع الفتاوى (٤/٧٢)، سير أعلام النبلاء (١٩/٣٢٣-٣٤٣)، الوافي بالوفيات (١/٢١١)، طبقات الشافعية (٦/١٩٣-٢٠١)، شذرات الذهب (٦/١٨) هدية العارفين (٢/٧٩-٨٠).

(٤) ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/٦٢٦-٦٣٥)، يذكر ابن الجوزي في حق الغزالي أن: «أبا حامد كان أفقه، غير أن دخوله في التصوف أوجب عليه نُصرة ما دخل فيه» تلبيس إبليس (٣/١٠٥٣).

(٥) طبقات الشافعية الكبرى (٦ /١٩٣) قال الغزالي مادحًا طريقة التصوف: «ثم إني لما فرغت من هذه العلوم أقبلت بهمتي على طريق الصوفية وعلمت أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل، وكان حاصل علومهم قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله، إلى أن قال: فعلمت يقينًا أنهم أرباب الأحوال، لا أصحاب الأقوال " المنقذ من الضلال (ص ١٧٠-١٧٢).

(٦) قاله: أبو المظفر سبط أبو حامد، نقل ذلك الصفدي في الوافي بالوفيات (١/٢١١).



ولا يذر، وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ؛ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب، فإذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على مُعتصمه أن يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق»[١].

والتناقض في كلام الغزَّالي ظاهر؛ حيث يأمر المريد ابتداء بالتمسك بشيخه تمسك الأعمى وتفويض الأمر له كلية، ثم يُجيز بعد ذلك الخطأ على الشيخ، وأن نفع المريد في خطأ شيخه أكثر من نفعه في صواب نفسه.

وقد نقل الشعراني[٢] في أنواره؛ قولاً عن السبكي تاج الدين[٣] قولاً فيه إشارة للعصمة، وتحذيرًا بسوء خاتمة لمن أنكر على الأولياء، حيث يقول: «مارأينا أحدًا مُبتلَى بالإنكار، إلا وكانت خاتمه سوء»[٤].

ويَستبعد كذلك السبكي؛ وجود ألفاظ يُقدح بها في حال الشيخ، وأنه من الواجب التسليم لحاله، وأن الله تعالى قد نزه ألفاظهم عن الأباطيل، وما لهم كلمة إلا ولها محمل حسن[٥].

---

(١) إحياء علوم الدين (٧٦/٣) وينظر: آداب المريدين، أبو النجيب السهروردي (ص ١١١).

(٢) هو: عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبه إلى مُحَّد ابن الحنفية، المصري الشعراني، أبو مُحَّد: من علماء المتصوفين، ونشأ بساقية أبي شعرة من قرى المنوفية بمصر، وإليها نسبته: الشعراني، ويقال الشعراوي، له تصانيف منها: الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية، و الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر، و لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، يُعرف بطبقات الشعراني الكبرى، قال عنه: عبدالرحمن عبدالخالق بأنه جمع في كتابه-الطبقات الكبرى-كل فسق الصوفية وخرافاتها وزندقتها فيجعل كل المجانين والمجاذيب واللوطية والشاذين جنسيًا، هذا ما ذكره عبدالرحمن عبدالخالق، توفي في القاهرة سنة ٩٧٣ هـ-، ينظر: هدية العارفين (٦٤١/١) الأعلام (١٨٠/٤)، فضائح الصوفية، عبدالرحمن عبدالخالق (ص ٣٥).

(٣) هو: عبد الوهّاب بن علي بن عبد الكافي السّبكي، الشافعي الْفَقِيه الْمُحدث النَّحْوِيّ النَّاظِم المتكلم، أبو نصر، قدم مع والده إلى دمشق من مصر، وقرأ على الحافظ المزّي، ولازم الذهبي، ودأب، وأجيز بالإفتاء والتدريس، وأفتى ودرس، وصنّف، وولي الخطابة ثم عزل، وانتهت إِلَيْهِ رِيَاسَة الْقَضَاء والمناصب بِالشَّام وحصل له فتنة شديدة، وسجن بالقلعة نحوَ ثمانين يومًا، ثم عاد إلى القضاء ودرس بمدارس كثيرة، اتهم بالكفر واستحلال شرب الخمر، من تصانيفه "طبقات الشافعية الكبرى، التي اشتهر بها، والذي جرده للدفاع عن الأشاعرة، وكذلك الطبقات الوسطى، والصغرى و معيد النعم ومبيد النقم وغيرها، توفي بالطاعون سنة ٧٧١ هـ ينظر: الوافي بالوفيات (٢١٠/١٩)، الدر الكامنة (٢٣٣/٣)، شذرات الذهب (٦٦/١-٦٧)، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (٣٨/١٠)، الأعلام (١٨٤/٤-١٨٥)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٨١٤/٢).

(٤) الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية (ص: ٧٤).

(٥) ينظر: معيد النعم ومبيد النقم (ص: ١٢٤).

أما الجامي[١] -وهو من متأخرة الصوفية-؛ فقد جاء عنه في تعريفه للولي، ما فيه إشارة للعصمة، حيث يُعرف الولي بأنه:

«الفاني[٢] فيه والباقي به» أي بالله.

وقال في موضع آخر: عند كلامه عن مراتب طبقات الرجال، إنهم على ثلاث أقسام، فالقسم الأول: في مرتبة الواصلين الكاملين فهذه الطبقة العليا، ثم قال: فأهل الوصول طائفتان الأولى مشايخ الصوفية، فهذه الطائفة هم الكُمَّل المكَّملون لأن الفضل والعناية الأزلية الإلهية، أخرجتها بعد الاستغراق في عين الجمع والتوحيد من بطن حوت الفناء إلى ساحل التفرقة وميدان البقاء[٣]، حتى يَدُلُوا الخلق على النجاة والدرجات[٤].

وفي وصفه للمشايخ بأنهم كاملون مكمَّلون غير ناقصون إشارة للعصمة، ويلاحظ تكرار ربطه للولاية بالفناء كما مرَّ بالنص الذي قبله. والفناء الذي يريده – هنا – والله أعلم هو فناء

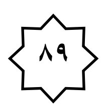
---

(١) هو: عبد الرحمن بن أحْمَد الغلامى الجامى الأديب الصوفى، ولد بجام من خُرَاسَان، كان حنفي المذهب أشعري العقيدة، صحب مشايخ الصوفِيَّة، وَكَانَ لَه شهرة بالعلم فِي خراسان وغيرها من الديار، له تصانيف عديدة ومتنوعة منها: اعتقاد نامة شرح فيها العقيدة وفق مذهب الأشاعرة، تَفْسِير الْقُرْآن، ديوَان شعره، ونفحات الأنس وهو الأشهر وأصله بالفارسيَّة واعتمد بهذا الكتاب على طبقات السلمي وأضاف عليه ما أهمله السلمي، توفى بهرأة سنة ٨٩٨ هـ ينظر: كشف الظنون، حاجي خليفة (٣٠٩/١)، شذرات الذهب (٥٤٣/٩)، البدر الطالع (٣٢٧/١-٣٢٨)، هدية العارفين (٣٣٤/١)، مقدمة تحقيق كتاب نفحات الأنس.

(٢) من الفناء، والفناء: كما جاء في المعجم الفلسفي هو: فناء الشيء زوال وجوده، والفناء عند الصوفية هو: عدم شعور الشخص بنفسه، أو بشيء من لوازم نفسه، وقيل: الفناء تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية وقيل غير ذلك، ينظر: المعجم الفلسفي (١٦٧/٢) وقد ذكر شيخ الإسلام أن الفناء على ثلاثة أقسام، الأول: وهو الفناء الديني الشرعي، الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، هو أن يفنى عما لم يأمر الله به بفعل ما أمر الله به، وأما الثاني: وهو الذي يذكره بعض الصوفية، وهو أن يفنى عن شهود ما سوى الله تعالى، فيفنى بمعبوده عن عبادته، وبمذكوره عن ذكره، وبمعروفه عن معرفته، بحيث قد يغيب عن شعوره بنفسه وبما سوى الله-فهذا حال ناقص، قد يعرض لبعض السالكين، وأما الثالث-فهو الفناء عن وجود السوى بحيث يرى أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق، وأن الوجود واحد بالعين، فهذا قول أهل الإلحاد والاتحاد، ينظر: التدمرية (ص ٢٢١-٢٢٢).

(٣) البقاء في المصطلح الصوفي هو: «دوام اتصاف العبد بالأوصاف الحميدة، ومجانبته اللائمة لكل ماهو مذموم في الكتاب والسنة» وقد تجاوز المعنى الصوفي للبقاء هذه الحد عند بعضهم، وأخذ بمعان لادليل عليها، وفيها تجاوز شديد، ينظر: المعجم الصوفي، محمود عبدالرازق (٤٦٧/١-٤٦٩).

(٤) نفحات الأنس (ص:١٥-١٦).



شهود السوى، لا الفناء الفلسفي؛ فناء وجود السوى والذي هو قولٌ لأهل الإلحاد والاتحاد. ويشهد لذلك وقوف الجامي ضد الفلسفة ونقده لها[١].

أما متفلسفة الصوفية – اللذين ضل سعيهم باتخاذ الفلسفة دون علوم الشريعة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، فإن منهم من قال بالعصمة تصريحًا أو قال بها بغير تصريح تَلقفتها من بعدهم واعتقدتها فرقًا صوفية، تنوعت وتعددت، نَتج عن ذلك آثارًا كثيرة عظيمة وخطيرة التزموها مع وضوح بطلانها[٢].

وممن قال بها عن طريق الإشارة أبو يزيد البَسْطَامي[٣] فقد ذَكر أن: «حظوظ الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء وقيام كل فريق منهم باسم منها وهو الأَوَّل، والآخر، والظاهر، والباطن، فمتى فَنِيَّ عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام»[٤] وكلام البسطامي – هنا – يتوافق مع قوله الذي اشتهر عنه وهو القول بالفناء الفلسفي.

وقد أورد الهجويري في كشفه قصة ينسبها للبسطامي عبر فيها البسطامي عن العصمة بالحفظ –كذلك– حيث ذكر أن البسطامي قال: «قيل لي: بالبلد الفلاني ولي من أولياء الله –عز وجل–، فنهضت وقصدت زيارته، فلما بلغت مسجده خرج من الدار، وبصق على الأرض في المسجد، فرجعت من هناك ولم أسلم عليه، وقلت: يجب على الولي أن يحفظ

---

(١) ينظر: مقدمة تحقيق كتاب نفحات الأنس، الشؤون الفنية لمكتب شيخ الأزهر.

(٢) سيأتي الكلام –بإذن الله تعالى– عن هذه الآثار عند الكلام عن أثر القول بالعصمة في المبحث الثالث من الفصل الرابع، عند الرد على عقيدة عصمة الأولياء عند الصوفية، وبيان أثرها (ص ٢٢٢).

(٣) هو: طيفور بن عيسى بن سروشان البَسطامي، الزّاهد المشهورَ، من قدماء مشايخ الصوفية، ويحكى عنه في الشطح أشياء ظاهرها إلحاد، منها ما لا يصحّ ويكون مقولًا عليه، وقال عنه شيخ الإسلام: "وفيه أَشياء حسنة من كلام أَبي يزيد وكل أَحد من النَّاس يؤْخذ من قوله ويُتْرك إِلَّا رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلم " وقال عنه الإمام الذهبي في الميزان: " وأبو يزيد فُمسَّلم حاله له، والله يتولى السرائر، ونتبرأ إلى الله من كل من تعمد مخالفة الكتاب والسنة" البسطامي في بسطام سنة ٢٦١هـ ينظر: طبقات الصوفية (ص ٦٧–٢٢٨)، الرسالة القشيرية (٥٧/١)، وفيات الأعيان (٥٣١/٢) تذكرة الأولياء (ص ١٨٤) مجموع الفتاوى (٤٦١/٢) (٢٥٧/١٣)، سير أعلام النبلاء(٨٨/١٣)، ميزان الاعتدال (٣٤٦/٢–٢٤٧) نفحات الأنس(ص ٢٣٥)، الروض المعطار (ص ١١٤)، شذرات الذهب (٢٦٩/٣)، الأعلام (٢٣٥/٣).

(٤) الرسالة القشيرية (٤١٩/٢).

الشريعة على نفسه، أو يحفظها الحق عليه، فلو كان هذا الرجل وليًا، لما بصق على أرض المسجد، حفظًا لحرمته، أو لحفظه الحق، لصحة كرامته، وفي تلك الليلة رأيت النبي –عليه السلام–، في النوم فقال لي: يا أبا يزيد لقد حلت بك بركات ما فعلت، وفي اليوم التالي بلغت هذه الدرجة التي ترونها»(١).

وابن عربي الطائي(٢) –كذلك–، والذي لقبه أتباعه بالشيخ الأكبر ! وهو من «الذين جمعوا الآراء الفلسفية الفاسدة والخيالات الصوفية الكاسدة» كما يصفه بذلك شيخ الإسلام(٣) فإنه قد قال بالعصمة للولي وصرح بها، بل وجعلها شرطًا ! فقد قال في فتوحاته:

«فإن من شرط الإمام الباطن أن يكون معصومًا، وليس الظاهر إن كان غيره يكون له مقام العصمة»(٤).

وفي هذا النقل يُصرح بعصمة الأولياء، وفي موضع آخر يسمي العصمة حفظًا – ولافرق–، وهذا من التخبطات والتناقضات ومن إظهار مذهب في موضع وإخفائه في آخر وفي ذلك يقول:

---

(١) كشف المحجوب (٤٥٣/٢).

(٢) مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الطائي الأندلسي محي الدين أبو بكر، المعروف بابن عربي نزيل دمشق، قال الإمام ابن كثير عنه: «وأَقام بمكة مدة، وصَنَّف فيها كتابه المسمَّى بالفتوحات الْمكية، فيها ما يعقل وما لا يُعقل، وما يُنكر وما لا يُنكر»، وله الكتاب المسمى ب " فُصُوص الحكم " فِيه أَشياء كثيرة ظاهرها كفر صرِيح» وقال–أيضًا–الذهبي عن الفصوص: «فَإِن كان لا كفر فيه، فما في الدُّنيا كفرٌ، نسأَل الله العفو والنَّجاة، فواغوثاه بالله قلت: إن كان محيي الدِّين رجع عن مقالاته تلك قبل الموت، فقد فاز، وما ذلك على الله بعزيز." له الكثير من المصنفات في تصوف الفلاسفة وأهل الوحدة، وله كلام طويل على طريق التَّصوف، قال الشَّيخ عز الدّين ابن عبد السَّلام هذا شيخ سوء كذَّاب يقول بقدم العالم ولا يحرم فَرجًا وكان ظاهريّ المذهب في العبادات، باطنيّ النظر في الاعتقادات وقد عظَّمه جماعة، وتكلَّفوا لِما صدر منه ببعيد الاحتمالات، توفي بدمشق سنة ٦٣٨ هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٨/٢٣)، الوافي بالوفيات (١٢٥/٤)، البداية والنهاية لابن كثير (١٨٢/١٣)، طبقات الأولياء (ص ٤٦٩)، لسان الميزان (٣١٢/٥) تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي (ص ١٩٢)، نفح الطيب للمقري (١٦٤/٢)، شذرات الذهب (٣٣٢/٧)، هدية العارفين (١١٤/٢–١١٧).

(٣) شرح حديث النزول ضمن مجموع الفتاوى (٤٩١/٥).

(٤) الفتوحات المكية (١٣٦/٣) وقد جعل الشيبي ذي النزعة الشيعية؛ قول ابن عربي هذا أمرًا متأكدًا عنده في الصلة بين التصوف والتشيع، ينظر: الصلة بين التصوف والتشيع (ص ٤١٦).

«إذا حصلت للإنسان حالًا مشاهدة عين فقد كمل، وكملت معرفته وعصمته، فلم يكن للشيطان عليه من سبيل وتسمى هذه العصمة في حق الولي حفظًا، كما تسمى في النبي والرسول عصمة»[١].

والسبب في هذا التفريق كما يزعم ابن عربي: «ليقع الفرق بين الولي والنبي أدبًا منهم مع الأنبياء، والرسل عليهم الصلاة والسلام ليختصوا باسم العصمة»[٢].

وأي أدب مع مقام النبوة والرسالة وقد جعلها ابن عربي دون الولاية في بيت شعره الشهير عندما قال[٣]:

سمـــــاء النبـــــوة في بـــــــرزخ   دُوَيـــــنَ الـــــولي وفـــــوقَ الرســـــول

وفي فُصوصه يقول: «فإذا رأيت النبي يتكلَّم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو وليّ عارف، ولهذا مقامه من حيث هو عارف أتمّ وأكمل من حيث هو رسول أو ذو تشريع وشرع»[٤] وهنا تصريح آخر بفضل الولاية على النبوة، وأنها أتم وأكمل.

ومرة ابن عربي يَجمع بين التعبير بالعصمة والحفظ في آن واحد مما يعني أنه لا فرق بين المعنيين عنده، ففي تعريفه للتصوف يقول: «فالتخلق بأخلاق الله هو التصوف»[٥] – وهذا يشابه ما عُرفت به الفلسفة بأنها: «التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية؛ لتحصيل السعادة الأبدية»[٦]، ثم يشرح ابن عربي زعمه هذا بأن التصوف هو التخلق بأخلاق الله – زاعمًا–،

(١) الفتوحات المكية (٦٢٨/١).

(٢) المصدر السابق (١/ ٦٢٨).

(٣) وذلك في كتابه: تنزل الأملاك في حركات الأفلاك، المعروف ب: لطائف الأسرار (ص: ٣٥)، هذا وقد عقد الطوسي بابًا في كتابه اللمع؛ سماه باب: في ذكر من غلط في النبوة والولاية، رد فيها على ضلال من فضل الولاية على النبوة، وردَّ فيها على أدلتهم، ومنها الدليل الأشهر (قصة موسى والخضر عليهما السلام) وبين أن الولي لا ينال الكرامة إلا بحسن اتباعه للنبي، فكيف يجوز أن يفضل التابع على المتبوع؟ ينظر: اللمع (ص ٥٣٥ وما بعدها).

(٤) فصوص الحكم لابن عربي، فصّ حكمة قدرية في كلمة عزيرية (١٣٥/١).

(٥) الفتوحات المكية (٢٦٤/٢).

(٦) التعريفات (ص ٢٠٦)، والصوفية قد دخلت عليهم الفلسفة من باب (التشبه بالإله على قدر الطاقة) فحاولوا إثبات تشبه العبد بالرب في الذات والصفات والأفعال، كما فعل الغزالي ومن تبعه. ينظر: دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية (ص ٥٧).

بأن العلماء قد بينوا التخلق بأسماء الله الحسنى وبينوا مواضعها، وكيف تُنسب إلى الخلق ولا تحصى كثرة، وأن أحسن ما تُصرف فيه مع الله خاصة، فمن يفطن وصرفها مع الله، أحاط علمًا بتصريفها مع الموجودات، فذلك هو المعصوم الذي لا يخطىء أبدًا، والمحفوظ من أن يتَحرك أو يَسكن سُدى[١].

ولمفهوم الولاية عند ابن عربي مفهوم آخر، فهي مغلفة بفلسفته في وحدة الوجود[٢] حيث يعتبرها مرتبة من مراتب القرب الإلهي، يتولى فيها الحق عبده، والعبد ربه، فالولاية مشتركة بين الله وبين المؤمنين»[٣].

وكما جعل الولاية مشتركة بين الله وبين المؤمنين، فكذلك سَوَّى بين الأنبياء والأولياء بالعصمة، وفي ذلك يقول: «وأما صور تلقيات الموحدين الخطابية، فهو أن تَنبعث اللطفية الإنسانية مجردة عن الفكر طالبة ما لا تعلم منه إلا نسبة الوجود إليه بتقييدها به، فإذا نزل هذا العقل بحضرة من الحضرات نزل إليه بحكم التدلي أو برز له أو ظهر له اسم من الأسماء الحسنى بما فيه من الأسرار، فيهبه بحسب تجريده وصحة قصده وعصمته في طريقه فيرجع إلى عالم كونه عالمِا بما ألقي من علم ربه بربه، أو من علم ربه بضرب من كونه ثم ينزل نزولًا آخر هكذا أبدًا﴾ ﴿مَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأحقاف:٩] وهو خير البشر وأكثرهم عقلًا وأصحهم فكرة ورواية فأين الفكر؟ هنا هيهات تلف أصحاب الأفكار والقائلون باكتساب النبوة والولاية، كيف لهم ذلك والنبوة والولاية مقامان وراء طور العقل ليس للعقل فيهما كسب، بل اختصاصان من الله تعالى لمن شاء»[٤].

---

(١) ينظر: الفتوحات المكية (٢/٢٦٤).

(٢) وحدة الوجود: هو مذهب الذين يوحدون الله والعالم، ويزعمون أنَّ كل شيء هو الله وهو مذهب قديم أخذت به البراههمانية، والرواقية والأفلاطونية الجديدة، والصوفية، ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا (٢/٥٦٩) وقد استعمل ابن عربي لفظ (الوجود) للدلالة على تعين الأشخاص في الوجود الخارجي مقابل عالم الثبوت، ينظر: المعجم الصوفي سعاد الحكيم (ص ١١٣١).

(٣) المعجم الصوفي محمود عبدالرازق (٣/١٠٦٦).

(٤) التراجم، لابن عربي ضمن رسائله (ص ٢٧٧).

وقد أطلت في الكلام عن الهالك ابن عربي لما في أفكاره من أثر في الصوفية المعاصرة، حيث لا زال ذكره حيًا عند الصوفية المعاصرة، ممثلًا بأفكاره الفاسدة والباطلة، كما كانت –قبل ذلك– ماثلة ومُتبناة عند عدد من الصوفية الأقدمين.[١]

وأما ابن سبعين[٢] – الذي هو من كبار فلاسفة الصوفية–، فقد أشار إلى العصمة – دون تصريح – عند كلامه عن أهمية الشيخ بالنسبة للمريد، وأن أمر أهمية الشيخ متعلق بالآخرة: وفي هذا يقول: «وحبيبك من يدبر أمر آخرتك، ويعينك عليها، ويذكرك بها، ويهجرك ويصلك من أجلها»[٣].

أما الحبيب الوارد في النص السابق فهو الذي: «تتعلق به الإرادة و وتنصرف إليه همة المحب، وتميل إلى محبته تأكيدًا أو الحبيب: غلبت صفاته على قلب المحب»[٤].

جاء في شرح رسالته: «معناه الذي تحتاج أن تتخذه حبيبًا، وتعتمد عليه وتتبعه هو المدبر للآخرة، ومُدبر الدنيا لاتعتمد عليه ولا تتبعه ولا تلازمه بالجملة»[٥] وغلو ابن سبعين –هنا– في الشيخ ظاهر.

---

(١) ينظر: الإنسان الكامل، لخوجة (ص: ١٣١–وما بعدها) حيث أفاض المؤلف فيه الكلام في موقف الصوفية المعاصرة من ابن عربي، وبين أنه ليس كل من سعى لنشر تراث الصوفية؛ كابن عربي وغيره، أن يكون حلوليًا اتحاديًا وحدويًا؛ فإن بعضهم يفعل ذلك لمجرد البحث العلمي ونشر التراث بغض النظر عن مضمونه، فلا تجد في كلامهم انتصارًا للرأي، بل يكتفون بالعرض، لكن هذا لا ينفي إسهامهم في نشر الفكرة.

(٢) هو: عبد الحقّ بن إبراهيم بن مُحَمَّد الإشبيلي المرسي، قال الإمام الذهبي: «كان صوفيًّا على قاعدة زُهد الفلاسفة وتَصَوُّفهم. »، من القائلين بوحدة الوجود، واشتهر عنه مقالة ردته وهي قوله لقد كذب ابن أبي كبشة على نفسه حيث قال لا نبي بعدي»، له أَتباع ومريدون يعرفون بالسبعينية، ذكر عن ابن دقيق العيد أنه قال: جلست معه من ضحوة إلى قريب الظهر وهو يسرد كلاما تعقل مفرداته ولا تعقل مركّباته، والله أعلم بسريرة حاله، صنف في ذلك تصانيف أشهرها أتباعه منها: الْبُدِّ، والإحاطة، وله عدة رسائل منها: رسالة العهد، توفي في مكة سنة ٦٦٧ هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/١٨٣)، تاريخ الإسلام (١٥/١٦٨)، الوافي بالوفيات (١٨/٣٧)، فوات الوفيات (٢/٢٥٤–٢٥٥)، البداية والنهاية (١٣/٣٠٣)، طبقات الأولياء (ص ٨٠٤)، لسان الميزان (٣/٣٩٢)، شذرات الذهب (٧/٥٧٥).

(٣) عهد ابن سبعين لتلاميذه (ص: ٤٤).

(٤) شرح رسالة العهد، ضمن رسائل ابن سبعين (ص: ١٣٤).

(٥) المصدر السابق: (ص ١٢٦).

وجاء في موضع آخر: «فالله سبحانه قد أمرك بمخالفة الأب الجسماني الذي لا يحض على الآخرة، وأمرك باتباع الشيخ الذي يدبر الآخرة ويحض على الله وعلى معرفته، فاعلم ذلك، ولا يخدعك وهم الظاهر»[١].

وهو كذلك «الذي يدبر سعادة الإنسان في الآخرة، ويتم جوهره، ويخرج ذاته الروحانية من القوة إلى الفعل، حتى يبلغ غايته، ويعطيه كماله وحقيقته، والذي يفعل لهم ذلك هو الذي يتخذونه محبوبًا وقدوة ووالدًا، إفادة ودليلًا إلى الله ووسيلة إليه؛ هذا هو الشيخ»[٢].

جاء في بيانه لأهمية الشيخ (المرشد) وتقرير ذلك، في سبيل تحقيق السعادة، ونيل رضوان الله، وتحصيل الكمال الإنساني والنعيم الدائم، وما أشبه ذلك، وأن هذا كله لا ينال إلا بالقصد الصحيح، والمرشد المعلم الناصح الخبير بالطريق، إذ الطرق كثيرة، ولكن القاصد منها القريب المسافة الآمن من الآفات، هو الذي يطلبه السعيد، فلابد من المرشد ضرورة والدليل لابد للماشي خلفه من تبعيته، وتقليده وتسليم أموره كلها إليه، وترك كل شيء من أجله، والعزم والجد في المشي وراءه والتبعية، حتى يبلغ التابع إلى مقصوده[٣] وزعم الكمال - هنا - في الشيخ ظاهر، والإشارة إلى العصمة في هذا النص في السلامة من الآفات، وتسليم الأمور كلها للشيخ حتى يبلغ المريد المقصود واضح.

بل زعم ابن سبعين بأن الكمال هو طلبنا ومطلوبنا وهو إكسير[٤] الكمال، وهذا الكمال هو إكسير الفتح الدائم وهذا الدائم هو إكسير الخلافة في عالم الإنسان[٥].

وقال في موضع آخر في سياق كلامه عن آداب التلميذ (المريد):

«ويفعل الشيخ مع أتباعه بحيث يكون الكلام مع من يحترم ولايراجع»[٦].

---

(١) المصدر السابق: (ص ١٢٦).

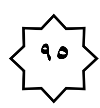
(٢) المصدر السابق: (ص ١٢٨).

(٣) ينظر: شرح رسالة العهد: (ص: ١١٦).

(٤) إكسير: يوناني من كسيرون، وهو: مادَّة مركَّبة كان الأقدمون يعتقدون أنّها تحوِّل المعدن الرخيص إلى ذهب، وقيل: شرابٌ- في زعمهم- يطيل الحياة إكسير الحياة. ينظر: معجم لغة الفقهاء، قلعجي و قنيبي (ص ١٩) و معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد عمر وآخرون (١٠٧/١).

(٥) ينظر: رسالة الألواح المباركة، ضمن رسائل ابن سبعين (ص ٢٧٩).

(٦) رسائل ابن سبعين (ص ٢٨٩).



بل جعل الخير في طاعته، وأنها من طاعة رسوله الله ﷺ؛وذلك عند كلامه عن استقامة المريد في البدايات ومن هو المريد حيث يقول: «فإن الخير في بيده – أي ربه وطاعة رسوله، وشيخه، ومن يدبره ويجهزه ويزوده لله وينبهه على مصالحه ويحاسبه ويعرِّفه بحسناته وسيئاته، خليق أن يقال له مريد»[١].

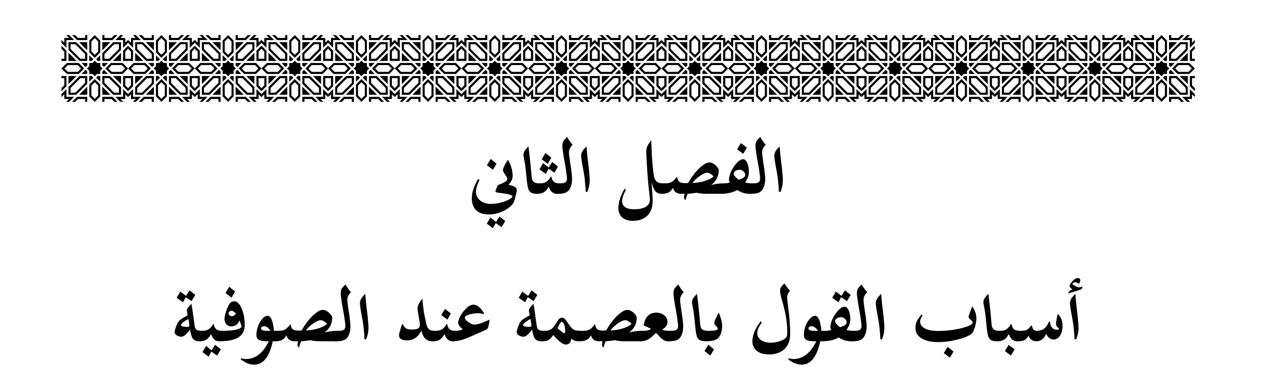
وممن أشار إلى العصمة من فلاسفة الصوفية –كذلك– جلال الدين الرومي[٢] شاعر الصوفية الأول، والملقب بمولانا «فقد أضاف العصمة إلى الحلاج، المقتول بناء على أن قلب الصوفي محل أمر الله، وأنه لا يشاء إلا أن يشاء الله»[٣] تعالى الله عن ذلك.

---

(١) وصية ابن سبعين لأصحابه، ضمن رسائل ابن سبعين (ص ٣١٣)،

(٢) هو: مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحسين البلخي الرُّومي جلال الدين، شاعر الصوفية الأول، والملقب بمولانا، تنسب له طريقة تسمى بالمولوية، ترك التدريس والتصنيف والدنيا وتصوّف، ونظم كتابه المثنوي، وهو منظومة صوفية فلسفية، و أسرار نامة في التصوف، وغيرهما، استمر يتكاثر مريدوه وتابعوا طريقته إلى أن توفي، وجلال الدين مثل ابن عربي يرى وحدة الأديان، نُقل عنه قوله: مسلم أنا ولكني نصراني وبرهمي و زرادشتي، توفي جلال الدين سنة ٦٧٢هـ بقونية، وهو مُبجل عند الصوفية قديمًا وحديثًا ينظر: هدية العارفين (٢/١٣٠)، الأعلام (٧/٣٠)، ظهر الإسلام (٢/٦٣-٦٤)، وحدة الأديان، لطف الله خوجة (ص ٧٦).

(٣) مناقب العارفين في أخبار جلال الدين الرومي (ص ٢٨٥) نقلًا عن الصلة بين التصوف والتشيع، للشيبي (ص٤١٩).



الفصل الثاني

أسباب القول بالعصمة عند الصوفية

المبحث الأول: أسباب من خارِج التصوف.

المبحث الثاني: أسباب من داخل التصوف.

المبحث الأول

أسباب من خارج التصوف

لا يخفى انَّ لكل دين يُدان به أو عقيدة تعتقد، سواء كانت قولًا وافق الحق أم خالفه، سبب للقول به، وهذا السبب قد يكون من الداخل أو من الخارج، والتصوف مثله مثل غيره، فعقائده -والتي منها العصمة-، لم تأت من داخل التصوف فقط أو من خارجه - بل هي نتاج مجموعة من الأسباب الكثيرة، والتي يمكن تقسيمها على النحو الآتي.

السبب الخارجي:

نجد أن الصوفية قد تأثروا بغيرهم بأفكار أو معتقدات، فكان من نتيجة هذا التأثر أن قالوا بالعصمة، كقول مخالف مبتدع قال به من سبقهم من أصحاب ديانات أو مذاهب منحرفة، ومن تلكم الأسباب والمؤثرات:

السبب البوذي:

الكلام هنا حول أوجه التشابه بين التصوف والديانة البوذية(١)، سيكون فيما يتعلق بالشيخ والذي اعتقدت فيه العصمة، والتي عليها مدار البحث.

فقبل الفتح الإسلامي للهند(٢)، في القرن الرابع الهجري، كان للبوذية أثر ملحوظ في فارس الشرقية وفيما وراء النهر(٣).

---

(١) البوذية: ديانة وضعية، أسسها بوذا، نشأت في الهند لتكون بمثابة الثورة ضد الديانة البرهمية، ذات النظام الطبقي، كان ذلك في القرن السادس قبل الميلاد، فانتشرت بين الطبقات المضطهدة في الهند، وقد كان بوذا ملحدًا ومات على ذلك، راجت حوله الكثير من الأساطير، وبوذا لم يؤلف كتابًا، بل كان يلقي الخطب والمواعظ على تلاميذه، وهو من وراء الدعاة والمرشدين يرشد ويوجه، كان للفتح الإسلامي أثر كبير في تضييق نشاطها بالهند، لها وجود في سيلان وبورما وغيرهما، ينظر: الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة، إبراهيم مُحَمَّد إبراهيم (ص ١٣٤-وما بعدها)، فصول في أديان الهند للأعظمي (ص: ١٣٣-١٣٩)، معتقدات آسيوية، كامل سعفان (ص ٢١١-٢١٦).

(٢) الهند: بلاد واسعة كثيرة العجائب، وهي أكثر أرض الله جبالًا وأنهارًا، وقد اختصت بكريم النبات وعجيب الحيوان، وهم أهل ملل: منهم من يقول بالخالق دون النبي، وهم البراهمة، ومنهم من لا يقول بهما، ومنهم من يعبد الصنم، ومنهم من يعبد القمر، ومنهم من يعبد النار.ينظر:آثار البلاد وأخبار العباد(ص ١٢٧).

(٣) ماوراء النهر يراد به: ما وراء نهر جيحون بخراسان، وما وراء النهر من أنزه الأقاليم وأخصبها وأكثرها خيرًا، وليس بها موضع خال عن العمارة من مدينة أو قرى أو مزارع أو مراع، ومن بلادها بخارى وسمرقند. ينظر:معجم البلدان (٤٥/٥)، آثار البلاد واخبار العباد (ص ٥٥٧).

فنحن نسمع عن صوامع[١] بوذية مزدهرة قامت في بلخ، وبلخ مدينة اشتهرت بعدد من الصوفية، اتخذوها مقامًا لهم[٢] على أنها سادت بخراسان قبل الفتح الإسلامي بألفي عام، ومن هنا كان لابد أن تؤثر – أي البوذية–، في نمو الصوفية في هذه الأصقاع[٣].

بل إنه وكما يؤكد – العالم بأمر الصوفية – إحسان إلهي ظهير أن «هجر الأهل والأولاد، والخروج إلى الغارات والجبال والجلوس في البراري والحفرات والسراديب، فليست منقولة إلا من الديانات الهندية التي عرفت واشتهرت بمثل هذه الأمور»[٤] ومنها البوذية.

ولايخفى أن من العادات الصوفية عادة اتخاذ الشيخ، وقد أشار أحد الباحثين في التصوف أن هذه العادة «لها علاقة بالبوذية، فإن أول ما يجب على مريد الطريق الصوفي هو أن يتخذ شيخًا معينًا له ليدله على الطريق»[٥].

وقد مر سابقًا[٦] كلام الغزالي عن حاجة المريد إلى شيخ وأستاذ يقتدي به حيث ذكر أن: «معتصم المريد شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطىء النهر بالقائد، بحيث يفوض أمره إليه بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبقى في متابعته شيئًا ولا يذر، وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ؛ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب»[٧].

بل رتبوا على ذلك عدم الفلاح للمريد كما قرر ذلك القشيري ونقله عن البسطامي: «ثم يجب على المريد أَن يتأدب بشيخ فإِن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبدا، هذا أَبو يزيد يقول: من لم يكن له أستاذ فإمامه الشَّيطان»[٨].

---

(١) الصَوْمَعَة هي: منار الراهب ومتعبده، والجمع صوامع، من فَوْعَلَةٌ لأَنَّها دقيقة الرأس، وهي عند النصارى؛بيت الْعِبَادَة ومتعبد الناسك، ينظر:مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٤٦/٢)، مختار الصحاح (ص ١٧٩)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٣٤٧/١)، تاج العروس (٥٣٨/٢)، المعجم الوسيط (ص ٥٢٣).

(٢) ينظر: الصوفية في الإسلام (ص ٢٧).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص ٢٩).

(٤) التصوف المنشأ و المصادر (ص ١٠٢).

(٥) البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها ، عبدالله نومسوك (ص ٤٩٦).

(٦) وذلك عند الكلام عن موقف المنتسبين للتصوف من أهل الكلام والمتفلسفة من العصمة، في المبحث الثاني من الفصل الأول، (ص: ٩٠).

(٧) إحياء علوم الدين (٧٦/٣).

(٨) الرسالة القشيرية (٥٧٣/٢-٥٧٤).

حتى إن الصوفية شابهوا البوذية في أديرتهم[(١)] ومن حيث إقرار المريد البوذي بذنبه ومخالفته بين يدي شيخه وجماعة الرهبان، ثم يستسلم لما يحكم به عليه شيخه[(٢)].

وقد ذكر الأعظمي أن تعظيم البوذيين للرهبان هو؛ لاعتقادهم أن النجاة لا تحصل بمطالعة الكتب والتدبر فيها؛ بل لابد من الأخذ عن الراهب الكامل الذي يبلغ درجة بوذا عن الشهوات والرغبات، وأنه الوحيد الذي يتولى كشف الأسرار، وأنه في المرحلة الثانية يقوم هذا العابد مقام المعبود، والمعتقِد مقام المعتقَد، والمخلوق مقام الخالق، فلم يبق بينه وبين خالقه أدنى فرق[(٣)].

ثم عقد -أي الأعظمي-، مقارنة بين هذه العقيدة وعقيدة تصور الشيخ عند الصوفية فقال:

«قارن بين هذه العقيدة عند البوذيين، وبين عقيدة تصور الشيخ الصوفية، فإن السالك[(٤)] في التصوف يتصور شيخه غائبًا أو ميتًا، ويرسم صورته على قلبه، فلا يعمل شيئًا إلا بإذنه، فكأنه يعيش معه»[(٥)] وهنا التسليم التام للشيخ وعدم الاعتراض، لاعتقاده عدم وقوع الخطأ منه.

وأختم هذا السبب بأن الخلاف بين الصوفية والبوذية فيما يتعلق بالشيخ؛ «أن البوذية تُجيز للبوذيين اتخاذ شيخ أو شيخين أو أكثر حسب رغبتهم، بخلاف الصوفية الذين أوجبوا على المريد أن يتخذ شيخًا واحدًا لا يحيد ولا يلتفت إلى غيره»[(٦)].

السبب النصراني:

وقد كان ميول الزهد والتأمل -ابتداء- على وفاق مع الفكرة النصرانية، كما يشير إلى ذلك نيكلسون، فكثير من نصوص الإنجيل، ومن الأقوال المنسوبة إلى المسيح، مقتبس في أقدم تراجم

---

(١) الدير هو: دَار الرهبان والراهبات وَيُقَال لرئيس الْقَوْم ومقدمهم هُوَ رَأس الدَّيْر، ويجمع على أديار ودُيورة، ينظر: المعجم الوسيط (ص ٣٠٦).

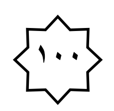
(٢) ينظر: البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها (ص ٤٩٨).

(٣) ينظر: فصول في أديان الهند-الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية وعلاقة التصوف بها (ص ١٤٨).

(٤) السالك عند الصوفية هو: «الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه وتصوره، فكان العلم الحاصل له عينًا يأبى من ورود الشبهة المضلة له." التعريفات (ص ١٥٤).

(٥) فصول في أديان الهند-الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية وعلاقة التصوف بها (ص ١٤٨).

(٦) المرجع السابق: (ص ٤٩٩).



الصوفية، والرهبان النصارى كثيرًا ما يظهرون في مقام المعلمين يولون النصح والتسديد، لزهاد مسلمين متنقلين[١].

من ذلك ما أورده أبو طالب المكي في القوت:

أنه «روي عنه –أي المسيح عليه السلام– أنّه مرّ على طائفة من العباد قد احترقوا من العبادة كأنهم الشِنان[٢] البالية فقال: ما أنتم؟ فقالوا: نحن عبّاد قال: لأي شيء تعبدتم؟ قالوا: خوّفنا الله من النار فخفنا منها فقال: وحق على الله أن يؤمنكم ما خفتم، ثم جاوزهم فمرّ بآخرين أشدّ عبادة منهم فقال: لأي شيء تعبدتم؟ قالوا: شوّقنا الله إلى الجنان وما أعدّ فيها لأوليائه فنحن نرجو ذلك، فقال: حق على الله أن يعطيكم ما رجوتم، ثم جاوزهم، فمرّ بآخرين يتعبدّون فقال: ما أنتم؟ قالوا: نحن المحبون لله، لم نعبده خوفًا من ناره ولا شوقًا إلى جنة ولكن حبًّا له وتعظيمًا لجلاله فقال: أنتم أولياء الله حقًّا»[٣].

أما ما يتعلق بالعصمة، فيظهر ذلك بقول النصارى بعصمة المسيح –عليه السلام–، وقد أشار إلى ذلك أحد من كتب عن الشيعة وهو؛ المستشرق رونلدسن[٤] وذلك عند كلامه عن العصمة عند الشيعة، حيث كتب:

«لو فحصنا العهد الجديد[٥] ظهر لنا رأسًا أن الذين كتبوا الأناجيل والرسائل، لاينسبون صفة العصمة إلا ليسوع وحده، وقد اتخذه الذين آمنوا به لأول مرة المسيح المنتظر، فنسبوا تلك الصفة له باعتباره مسيحًا لا نبيًا»[٦].

---

(١) ينظر: الصوفية في الإسلام (ص ١٩).

(٢) (شَنَّ) الشِّين والنُّون أَصل واحد يدل على إِخْلَاقٍ وَيُبْسٍ. من ذلك الشَّنُّ، وهو الجلد اليابس الْخَلَقُ الْبَالِي، والجمع شِنَانٌ، معجم مقاييس اللغة (١٧٦/٣).

(٣) قوت القلوب (٩٢/٢–٩٣).

(٤) رونلدسن، ويقال له: دوايت دونالدسون، باحث ومستشرق وقسيس أمريكي، قضى ستة عشر عامًا في مشهد الإمام الرضا؛ ينقب عن عقائد الشيعة، وتقاليدهم الاجتماعية، من آثاره: دين الشيعة، وعقيدة الشيعة في الإمامة، وقصيدة صوفية. ساهم في تحرير مجلة العالم الإسلامي الأمريكية، توفي سنة ١٣٧٨ هـ، ينظر: المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، محمد البهي (ص ١٩)، المستشرقون، نجيب العقيقي (٥٢٨/٢)، نضرة المستشرقين والرحالة إلى الروضة الحسينية، محمد صادق الكرباسي، (ص ١٣٥).

(٥) العهد الجديد: «يطلق على الأسفار المقدسة للديانة النصرانية اسم العهد الجديد، ومن أهم أسفار العهد؛ مجموعة تسمى الأناجيل، ويراد بكلمة العهد ما يرادف معنى الميثاق». ينظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، علي وافي (ص: ٣).

(٦) عقيدة الشيعة (ص ٣٢٤).

وبعد ذلك يشير بأن الذين كتبوا الأناجيل والرسائل لم يظهر في كتاباتهم مايشير إلى التبشير بفكرة عصمة الأنبياء[1].

إلا أنه في كلامه عن وقوع هذا القول – وهو القول بالعصمة – فيمن جاء بعد المسيح – عليه السلام – من رسل وتلاميذ يشير به إلى أن كتب العهد الجديد لم تذكر بأنهم كانوا معصومين، أو أنهم لايخطئون[2].

إلا أنه مع نسبة هذا الاعتقاد إلى كتب العهد الجديد، فقد وقع النصارى بما يُسمى بالعصمة، وذلك مع أحبارهم[3] ورهبانهم[4] فيما يتعلق بالتحليل والتحريم، وقد أشار إلى ذلك من لا ينطق عن الهوى وهو الرسول -ﷺ- عند تفسيره للآية الكريمة: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، حيث جاء ذلك في حواره مع الصحابي الجليل عدي بن حاتم والذي كان على النصرانية بيانٌ لحال النصارى مع المسيح وأحبارهم ورهبانهم، في ضوء الآية الكريمة.

حيث جاء في الحديث: «فقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدُهم فقال: أليس يحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرِّمونه، ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه؟ قال: قلت: بلى قال: فتلك عبادتهم»[5]، وعدم المخالفة هنا تعني العصمة.

---

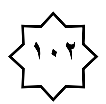
(١) المرجع السابق (ص ٣٢٤).

(٢) ينظر: المرجع السابق: (ص ٣٢٤).

(٣) الحَبْرُ: العالم من علماء أهل الدين، وجمعه أحبار، ذِمِّيًا كان أو مسلمًا بعد أن يكون من أهل الكتاب، و (الْحِبْرُ): بالكسر والفتح واحد (أَحْبَارِ) اليهود، ينظر: كتاب العين للخليل بن أحمد (٢١٨/٣). مختار الصحاح (ص ٦٥).

(٤) الرهبان جمع مفرده راهب والتَّرَهُّبُ: التَّعَبُّدُ في صَوْمَعةٍ، والراهب: المتعبد فِي صومعة من النصارى، يتخلى عن أشغال الدنيا وملاذها زاهدا فيها معتزلًا أَهلها، ثمَّ صارت اسْمًا لما فضل عن المقدار وأَفرَط فيه، ينظر: كتاب العين (٤٧/٤) تهذيب اللغة، للأزهري (١٥٦/٦) المعجم الوسيط (ص ٣٧٦).

(٥)أخرجه الترمذي باب: ومن سورة التَّوبة (١٢٩/٥) رقم (٣٠٩٥)، وقال عنه: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلاَّ من حديث عبد السَّلام بن حرب، وغطيف بن أَعين ليس بمعروف في الحدِيث، ورواه الطبراني في الكبير (٩٢/١٧) رقم (٢١٨)، ورواه بنحوه رقم (٢١٩)، والبيهقي في الكبرى، كتاب آداب القاضي، باب مايقضي به القاضي ويفتي به المفتي(١٩٨/١٠) رقم (٢٠٣٥٠)، أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٧ /١٠٦)، وصححه الألباني كما في الصحيحة (٨٦٢/٧).



ولذلك: «فالجهلة من الأَحبار والرُّهبان ومشايخ الضَّلال يدخلون في هذا الذَّمِّ والتَّوْبيخ، بخلاف الرُّسل وأَتباعهم من العلماء العاملين فإنهم إنما يأمرون بما يأمر الله به، وبلغتهم إياه رسله الكرام، وإنما ينهونهم عمَّا نهاهم الله عنه وبلَّغتهم إيَّاه رسله الكرام»(١).

وقد أشار إلى تلك العصمة شيخ الإسلام -ابن تيمية- في رده لزعم النصارى عصمة الحواريين المترجمين للإنجيل، وبين أن الزعم كذب بين، أن دعوى العصمة في كل واحد من الحواريين وأنهم رسل الله بمنزلة إبراهيم وموسى -عليهما السلام- دعوى ممنوعة وهي باطلة(٢).

وقد سمى شيخ الإسلام هذه الطاعة العمياء بشرك الطاعة، حيث يقول:

«وكثيرٌ من المتفقِّهة وأَجناد الملوك وأَتباع القضاة والعامَّة الْمتَّبعة لهؤُلاءِ يشركون شرك الطَّاعة وقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ لَمَّا قَرَأَ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [التوبة:٣١]، فقال: يا رسول الله ما عبدوهم؟ فقال: ما عبدوهم ولكن أَحلُّوا لهم الحرام فأَطاعوهم وَحَرَّموا عَليهم الحلال فأَطاعوهم. فتجد أَحد المنحرفين يجعل الواجب ما أَوجبه متبوعه والحرام ما حرَّمه والحلال ما حلَّله والدِّين ما شرعه إمَّا دينًا وإمَّا دنيًا وإمَّا دنيًا ودينًا. ثُمَّ يُخَوِّف من امتنع من هذا الشِّرك، وهو لا يخاف أَنَّه أَشرك به شيئًا في طاعته بغير سلطان من الله»(٣).

وقد تكلَّم عن هذه المشابهة بين المتصوفة والنصارى - شيخ الإسلام - وذلك بعد ذكره لحديث الولاية الشهير حيث يقول:

«وكثيرٌ من المخطئين الَّذين اتَّبعوا أَشْياخًا في الزُّهْد والعبادة وقعوا في بعض ما وقع فيه النَّصارى: من دعوى المحبَّة لله مع مخالفة شريعته وترك المجاهدة في سبيله ونحو ذلك، ويتمسَّكون في الدِّين الَّذي يتقرَّبون به إلى الله بنحو ما تمسَّك به النَّصَارَى من الكلام المتشابه والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها، ولو صدق لم يكن قائلها معصومًا فيجعلون متبوعيهم شارعين لهم دينًا كما جعل النَّصارى قسِّيسيهم ورهبانهم شارعين لهم دينًا ثم إنَّهم ينتقصون العبوديَّة ويدَّعون

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٥٧).
(٢) الجواب الصحيح (٢/٨٠-٨٣).
(٣) مجموع الفتاوى (١/٩٨).

أَنَّ الخاصَّة يتعدَّونها كَمَا يدَّعي النَّصارى في المسيح، ويثبتون للخاصَّة من المشاركة في الله من جنس ما تثبته النَّصارى في المسيح وأمِّه»(١).

وقال في موضع آخر: «وهؤلاء مشابهون للنصارى الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وفي المسند وصححه الترمذي عن عدي بن حاتم في تفسيره هذه الآية لما سأل النبي ﷺ عنها فقال: ما عبدوهم: فقال النبي ﷺ: أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم وكانت هذه عبادتهم إياهم، ولهذا قيل في مثل هؤلاء إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول، فإن أصل الأصول تحقيق الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم»(٢).

وقد أشار إلى هذا التأثر بالنصارى أحد الصوفية المعاصرين وهو؛ سعيد حوى(٣) في معرض رده عليهم في زعمهم عصمة المشايخ:

«انطلق كثير من الناس بلا ميزان، ويتصور أن قلوب الشيوخ معصومة فضلوا وأضلوا. قال لي بعضهم على لسان كبير من الصوفية: (بقرآني بآياتي لو أمرني الشيخ أن أسجد للات لسجدت) فيا ويلاه من مثل. هل يجوز لمسلم أن يعتقد أن ما أمره الشيخ به يجوز له تنفيذه ولو كان كفرًا؟ أليس هذا هو عين ما فعله النصارى؟ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وذلك كما فسرها رسول الله ﷺ بأن أحلوا لهم الحرام، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم»(٤).

السبب الشيعي:

---

(١) التحفة العراقية في الأعمال القلبية ، ضمن الفتاوى (٢١٢/١٠-٢١٣).

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، (ص ٦٧).

(٣) هو: سعيد بن مُحَّد حوى، تعلم بكلية الشريعة بدمشق، وجاهد ضد الفرنسيين، وتتلمذ على يد شيخ حماة؛ مُحَّد الحامد و غيره، عمل مع الصوفية،، وألف عددًا من الكتب الكثيرة منها: تربيتنا الروحية وهو الأشهر، مذكرات في منازل الصديقين والربانيين، كلاهما في التصوف، الرسول ﷺ، هذه تجربتي وهذه شهادتي، توفي في عمَّان بالأردن سنة ١٤٠٩ هـ، ينظر: ذيل الأعلام (٩٣/١)، و من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة للعقيل (ص ٢٧٦ وما بعدها).

(٤) تربيتنا الروحية (ص ١٧١).

ويأتي من الأسباب الخارجية والتي أدت بالقول بالعصمة؛ السبب الشيعي، وهذا سبب بارز فيمن تتبع كلام المتصوفة، وبرز عند من تكلم عن أوجه الصلة والشبه بين التشيع والتصوف -كما سيأتي- حيث أن العصمة عند الشيعة من معتقدات مذهبهم الفاسد، كما نص على ذلك من كتب عن الشيعة عقيدة ومذهبًا، وتتبعها في أصولهم ومراجعهم قديمها وحديثها.

ويَحسن أن يُذكر بأن هذه العقيدة الشيعية المبتدعة في أئمتهم غريبة حقًا على الإسلام، فلم تعرف في عهد النبي ﷺ، ولا صدر الإسلام[١].

وإنما وجد القول بالعصمة من غلاة الشيعة أولًا[٢].

لقد حَفلت كتب الشيعة ومصادرهم الأصلية؛ بنصوص كثيرة تقوم على تعظيم الإمام وما أدى ذلك إلى القول بعصمته.

وقد حُكِي الاتفاق عندهم على عصمة الأئمة من الذنوب -صغيرها وكبيرها-، فلا يقع منهم ذنب أصلًا لا عمدًا ولا نسيانًا ولا لخطإ في التأويل ولا للإسهاء من الله سبحانه[٣].

ويعللون لهذا المعتقد الفاسد بأن «الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي»[٤] ﷺ.

وقد أوجبوا ذلك فقالوا: و«يجب أن تكون الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه نبيًا كان أو إمامًا معصومًا»[٥].

والدليل ـ بزعمهم ـ على اعتقادهم عصمة الأئمة هو: «الدليل نفسه الذي اقتضاهم على أن يعتقدوا بعصمة الأنبياء بلافرق[٦].

فالإمامة استمرار للنبوة[٧] ونتيجة لهذا المعتقد تنتفي حكمة الله في ختم النبوة[٨].

---

(١) ينظر: ضحى الإسلام، أحمد أمين (٢٢٧/٣).
(٢) المرجع السابق: (٢٣٤/٣).
(٣) ذكر ذلك المجلسي في بحار الأنوار (٢١١/٢٥) في باب عصمتهم ولزوم عصمة الإمام عليه السلام.
(٤) عقائد الإمامية، مُحَمَّد رضا المظفر (ص: ٥٦).
(٥) حق اليقين في معرفة أصول الدين (١٣٥/١).
(٦) ينظر: المصدر السابق (ص ٥٦).
(٧) ينظر: المصدر السابق (٥٥).
(٨) ينظر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، ناصر القفاري (٣٢٣/١).

وجعلوا ذلك شرطًا للإمامة، حتى لا تزول الثقة به. جاء في كتاب أصل الشيعة وأصولها: «ويشترطون أن يكون معصومًا كالنبي عن الخطأ والخطيئة، وإلا لزالت الثقة به»[(١)].

وأمْر تأثر الصوفية بالشيعة، وأخذهم لهذه العقيدة الفاسدة من الشيعة، أمر أكَّده عدد ممن كتب عن الصوفية والمتصوفة والعلاقة بين هذين المذهبين، كابن خلدون[(٢)]، كإحسان إلهي ظهير[(٣)]، والشيبي[(٤)]، وأحمد أمين[(٥)(٦)]، وفلاح إسماعيل[(٧)]، وعلي الكاش[(٨)]، وزياد الحمام[(٩)]، وخالد عَلال[(١٠)(١١)].

وقد تكلم عن هذه العلاقة وهذا الأثر -ابن خلدون- عند كلامه عن الإمام والقطب[(١٢)]في تاريخه حيث يقول:

«والّذي يظهر أنّ المتصوّفة بالعراق، لما ظهرت الإسماعيليّة[(١٣)] من الشيعة، وظهر كلامهم في الإمامة وما يرجع إليها ما هو معروف، فاقتبسوا من ذلك الموازنة بين الظاهر والباطن وجعلوا

---

(١) أصل الشيعة وأصولها ، مُحَمَّد آل كاشف الغطاء (ص ٢١٢).

(٢) تاريخ ابن خلدون (ص ٦٢٠-٦٢١).

(٣) التصوف المنشأ والمصادر (ص ٢٠٢).

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع (ص ٤١٤).

(٥) ضحى الإسلام (٣/٢٣٥).

(٦) هو: أحمد أمين، ابن الشيخ إبراهيم الطباخ: عالم بالأدب، غزير الاطلاع على التاريخ، اشتهر باسمه (أحمد أمين) قرأ مدة قصيرة في الأزهر، وتولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية، عيُن مديرا للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، وكان من أعضاء المجمع العلمي العربيّ بدمشق ومجمع اللغة بالقاهرة والمجمع العلمي العراقي ببغداد، ومن تآليفه المطبوعات: فجر الإسلام، ضحى الإسلام، ظهر الإسلام، يوم الإسلام، مبادئ الفلسفة، توفي بالقاهرة سنة ١٣٧٣ هـ-، ينظر: الأعلام (١/١٠١).

(٧) العلاقة بين التشيع والتصوف (ص ٣٠٥).

(٨) الصفوية والصوفية خصائص وأهداف مشتركة، علي الكاش (ص ٧١).

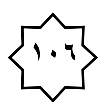
(٩) العلاقة بين الصوفية و الإمامية (ص ٢٩٩).

(١٠) باحث معاصر.

(١١) نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف (ص ٨٧٦).

(١٢) القطب -كما يزعم الصوفية-: «وقد يسمى غوثا باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله في كل زمان أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق، فهو يفيض روح الحياة، على الكون الأعلى والأسفل التعريفات (: ٢٢٧-٢٢٨).

(١٣) الإسماعيلية، وأشهر ألقابهم: الباطنية، وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنًا، ولكل تنزيل تأويلا، وهم يقولون: نحن الإسماعيلية لأنا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم، قالوا بإثبات الإمامة بعد جعفر الصادق؛ لإسماعيل بن جعفر، قالوا: لن تخلو الأرض قط من إمام حي قائم، إما ظاهر مكشوف، وإما باطن مستور، يتبرؤون =



الإمامة لسياسة الخلف في الانقياد إلى الشرع، وأفردوه بذلك أن لا يقع اختلاف كما تقرّر في الشّرع. ثمّ جعلوا القطب لتعليم المعرفة بالله لأنّه رأس العارفين، وأفردوه بذلك تشبيها بالإمام في الظاهر وأن يكون على وزانه في الباطن وسمّوه قطبا لمدار المعرفة عليه، وجعلوا الأبدال كالنقباء[١] مبالغة في التشبيه فتأمّل ذلك»[٢].

ثم قال: «يشهد لذلك من كلام هؤلاء المتصوّفة في أمر الفاطميّ، وما شحنوا كتبهم في ذلك ممّا ليس لسلف المتصوّفة فيه كلام بنفي أو إثبات، وإنّما هو مأخوذ من كلام الشّيعة والرّافضة ومذاهبهم في كتبهم»[٣].

وقال في موضع آخر:

«وظهر منهم أيضا القول بالقطب، والأبدال[٤] وكأنّه يحاكي مذهب الرّافضة في الإمام والنّقباء. وأشربوا أقوال الشّيعة وتوغّلوا في الدّيانة بمذاهبهم[٥].

=

ويتولون وَيَقُولُونَ بِكفْر من خَالف عليا، قال الغزالي في فضائح الباطنية عن مذهبهم: «أما الجملة فهو أَنه مذهب ظاهره الرَّفْض وباطنه الكفْر الْمحض، ومفتتحه حصر مدارك العلوم فِي قول الإِمام المعصوم وعزل الْعُقُول عن أَن تكون مدركة للحق، هذا مبدأ دعوتهم ثمَّ إنهم بالآخرة يظهرون ما يُنَاقض الشَّرْع وكَأَنَّه غاية مقصدهم» التنبيه والرد للمَلَطي (ص ٣٢)، فضائح الباطنية (ص ٣٧) الملل والنحل (١/١١٩-١٩٢)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص ٥٤).

(١) النقباء هم: «الذين تحققوا بالاسم الباطن، فأشرفوا على بواطن الناس فاستخرجوا خفايا الضمائر؛ لانكشاف الستائر لهم عن وجوه السرائر» التعريفات (ص ٣١٤).

(٢) تاريخ ابن خلدون (٦٢٠-٦٢١).

(٣) تاريخ ابن خلدون (٦٢٠).

(٤) الأبدال أو البدلاء عند الصوفية: «هم سبعة رجال، من سافر من موضع ترك جسدًا على صورته حيًّا بحياته، ظاهرًا بأعمال أصله، بحيث لا يعرف أحدٌ أنه فقد، وذلك هو البدل لا غير، وهو في تلبسه بالأجساد والصور على صورته، لكل إقليم فيه ولايته منهم." التعريفات (ص ٦٢-٦٣). قال ابن القيم عن آحاديث الأبدال وما شابههم مما تدعيه الصوفية: «ومن ذلك أحاديث الأبدال والأقطاب والأغواث والنقباء والنجباء والأوتاد كلها باطلة على رسول الله ﷺ، وأقرب ما فيها: لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم البدلاء كلما مات رجل منهم أبدل الله مكانه رجلا آخر ذكره أحمد ولا يصح أيضا فإنه منقطع». المنار المنيف (ص ١٣٦).

(٥) تاريخ ابن خلدون (ص ٤٠٢-٤٠٣).

ويقرر شيخ الإسلام أن هذه المصطلحات و «الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذي يكون بمكة والأوتاد الأربعة[(١)]، والأقطاب السبعة، والأبدال الأربعين، والنجباء الثلاثمئة[(٢)]، فهذه الأسماء ليست موجودة في كتاب الله، ولا هي أيضًا مأثورة عن النبي ﷺ لا بإسناد صحيح، ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب، ولا هي مأثورة على هذا الترتيب والمعاني عن المشايخ المقبولين عند الأمة قبولًا عامًا وإنما توجد على هذه الصورة عن بعض المتوسطين من المشايخ وقد قالها إما أثرًا لها عن غيره أو ذكرًا»[(٣)].

وقال في موضع آخر مبينًا الأثر الشيعي، وأن المتصوفة استقوها منهم:

«وهذا من جنس دعوى الرافضة؛ أنه لا بد في كل زمان من إمام معصوم، يكون حجة الله على المكلفين لا يتم الإيمان إلا به»[(٤)].

وقال في موضع آخر موضحًا بين الصلة بين التصوف والتشيع فيما يتعلق بالعصمة:

«وكثير من الغلاة في المشايخ يعتقد أحدهم في شيخه نحو ذلك. ويقولون الشيخ محفوظ، ويأمرون باتباع الشيخ في كل ما يفعل، لا يخالف في شيء أصلًا. وهذا من جنس غلو الرافضة والنصارى والإسماعيلية: تدعي في أئمتها أنهم كانوا معصومين وأصحاب ابن تومرت[(٥)] الذي ادعى أنه المهدي يقولون: إنه معصوم، ويقولون في خطبة الجمعة: الإمام المعصوم والمهدي المعلوم، ويقال: إنهم قتلوا بعض من أنكر أن يكون معصومًا»[(٦)].

---

(١) الأوتاد –كما يزعم الصوفية–: «أربعة رجال، منازلهم على منازل الأربعة الأركان من العالم، شرق، وغرب، وشمال، وجنوب» التعريفات (ص ٥٨).

(٢) النجباء –كما يزعم الصوفية– هم: «الأربعون، وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق» التعريفات (ص ٣٠٨).

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل (٤٦/١).

(٤) المصدر السابق (٤٨/١).

(٥) هو: محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي، من بلاد المغرب، كان حصل جانبًا من الفروع والأصول، وكان يظهر التعبد والورع، وقد حسنت ظنون الناس فيه، عظم شأنه وارتفع أمره، وقويت شوكته، وتسمى بالمهدي، وسَمى جيشه الموحدين، قال بنفي الصفات على طريقة المعتزلة، كانت له وقعات مع جيوش صاحب مراكش، صَنَّف: كنز العلوم و أعز ما يطلب، والمرشدة في التوحيد، توفي سنة ٥٢٤، هـ بمراكش، بعد أن قرر القواعد ومهدها، ينظر: الكامل في التاريخ (٦٥٤/٨) وما بعدها، وفيات الأعيان (٤٥/٥) وما بعدها، البداية و النهاية (٣٢٠/١٢) وما بعدها، شذرات الذهب (١١٩/٦)، الأعلام (٢٢٨/٦) وما بعدها، معجم المؤلفين (٢٠٦/١٠).

(٦) منهاج السنة النبوية (١٨٩/٦).

وفي ذلك يقول الغزالي – عند بيانه لمعتقد الإسماعيلية في الْإمامة: «وقد اتَّفقوا على أنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحقِّ يرجع إليه في تأْويل الظَّواهر، وحل الإشكالات في الْقُرْآن والأخبار والمعقولات»[(١)].

وقد أكَّد –كذلك– إحسان إلهي ظهير في كتابه التصوف المنشأ والمصادر هذه الصلة، بعد أن ذكر عقيدة الشيعة في العصمة فقال:

«وبمثل ذلك قال المتصوفة في كبرائهم وأوليائهم»[(٢)].

ويرى الشيبي أن القول بالعصمة من الأمور التي لم يلتفت إليها الباحثون، والتي توافق فيها المتصوفة والشيعة في إسباغ العصمة على الأولياء والأئمة[(٣)].

وأن المتصوفة قد قالوا بذلك ولكن؛ على صورة غير مباشرة، وكان غرضهم من ذلك إخفاء التوافق الواضح بينهم وبين التشيع بعد أن جهدوا – كما يرى الشيبي–، في ستر هذه الصلات ذلك الزمن الطويل[(٤)].

وقد جعل الشيبي زعم ابن عربي في فتوحاته أن «من شرط الإمام الباطن أن يكون معصومًا»[(٥)]؛ دليلًا على اطلاع ابن عربي على مذاهب الشيعة اطلاعًا عميقًا، جعله يناقش جوهر مذاهبهم، فكأنه بذلك قد صب آراءه الصوفية في قوالب كانت شيعية الأصل[(٦)].

وأكد – أي الشيبي – بعد نقله لكلام ابن عربي السابق هذا النقل بقوله: «فأي دليل بعد ذلك أنصع من هذا الدليل على دخول العصمة من التصوف إلى التشيع»[(٧)].

---

(١) فضائح الباطنية (ص ٤٢).

(٢) التصوف المنشأ والمصادر (ص ٢٠٢).

(٣) ينظر: الصلة بين التصوف والتشيع (ص ٤١٤).

(٤) ينظر: المرجع السابق (ص ٤١٤).

(٥) الفتوحات المكية (١٣٦/٣).

(٦) ينظر: الصلة بين التصوف والتشيع (ص ٤٠٦–٤٠٧). ويشير ابن خلدون إلى تلك الآراء الشيعية عند ابن عربي بقوله: «وأكثر من تكلم من هؤلاء المتصوفة المتأخرين في شأن الفاطمي؛ ابن العربي، الحاتمي في كتاب (عنقاء مغرب)، وابن قسي في كتاب (خلع النعلين)، وعبد الحق بن سبعين وابن أبي واصل تلميذه في شرحه لكتاب (خلع النعلين). وأكثر كلماتهم في شأنه ألغاز وأمثال وربما يصرحون في الأقل أو يصرح مفسرو كلامهم» تاريخ ابن خلدون (ص ٤٠٣).

(٧) المرجع السابق: (ص ٤١٦).

وأورد هنا نصًا ذكره ابن عربي يظهر مدى التشابه والتقارب بين الشيعة والمتصوفة، فيما يتعلق بالقول بالعصمة، وأن المتصوفة قالوا بها تأثرًا بمن سبقهم بالقول به وهم الشيعة، يقول ابن عربي: «ومن هذا الباب يحكم المحمدي الذي لم يتقدم له علم بالشريعة بوساطة النقل، وقراءة الفقه والحديث ومعرفة الأحكام الشرعية فينطق صاحب هذا المقام بعلم الحكم المشروع على ما هو عليه في الشرع المنزل، من هذه الحضرة وليس من الرسل وإنما هو تعريف إلهي وعصمة يعطيها هذا المقام ليس للرسالة فيه مدخل فهذا معنى قوله ما لم تحط به خبرا»(١).

ويعني بالمحمدي هنا إمام شيعي(٢).

«وكان التصوف يسير في موازاة التشيع من حيث الأصول، والجذور، وتفصيلات الروحانيات، وأوصاف الإمامة، والصلة بين الشيخ والمريد، وغير ذلك»(٣).

وقد أشار إلى هذا التأثر أحمد أمين في سياق كلامه عن ضرر العصمة على الأمة الإسلامية حيث يقول:

«لقد دخل على المسلمين من جراء العصمة والمبالغة في الشفاعة ضرر كبير، ولم يقتصر الضرر على الشيعة، إذ تسربت تعاليمهم إلى غيرهم من الفرق الأخرى الإسلامية»(٤).

وكذا قال فلاح إسماعيل أن الصوفية وافقوا الشيعة في هذه العقيدة المنحرفة، ولكنهم كما هي عادتهم، يحاولون إخفاء التوافق بينهم وبين الشيعة؛ سترًا لعلاقتهم بهم، وترويجًا لمذاهبهم في أوساط اهل السنة والجماعة، لذلك لجأ كثير من علمائهم ومؤلفيهم إلى تسمية العصمة حفظًا(٥).

وصرح بهذا التأثر أبو العلا عفيفي(٦) حيث قال: «عن طريق الشيعة دخلت الفكرة إلى الأوساط الصوفية، ثم توسع فيها المتأخرون»(٧).

---

(١) الفتوحات المكية (٢٦٤/١).

(٢) ينظر: الصلة بين التصوف والتشيع (ص ٤١٦).

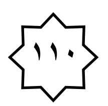
(٣) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ، للشيبي (ص: ٧١).

(٤) ضحى الإسلام (٢٣٥/٣).

(٥) العلاقة بين التشيع والتصوف (ص: ٣٠٥).

(٦) باحث صوفي معاصر.

(٧) التصوف الثورة الروحية في الإسلام (ص: ٢٨٩).



ومن النصوص التي حفلت بها كتبهم في ذكر العصمة ما ذكره القشيري في تفسيره عن معاني الولي حيث يقول: «ويكون بمعنى كونه محفوظًا في عامة أحواله من المحن، وأشدّ المحن ارتكاب المعاصي فيعصمه الحقّ - سبحانه-، على دوام أوقاته من الزّلات، وكما أن النبيّ لا يكون إلا معصوما فالوليّ لا يكون إلا محفوظا»[١].

وكذا صرَّح الكلاباذي بالعصمة عندما قال: «ولطائف الله تعالى في عصمة أنبيائه، وحفظ أوليائه من الفتنة أكثر من أَن تقع تحت الإحصاء والعد»[٢].

وقد جعل علي الكاش هذه العقيدة دليل على الروابط العميقة بينهما.[٣].

أما صاحب كتاب العلاقة بين الصوفية والإمامية - عند كلامه عن أوجه العلاقة والتشابه بين الصوفية والشيعة-، فقد أورد نصوصًا كثيرة عن أئمة الشيعة ومشايخ الصوفية تبين اعتقادهم بالعصمة، ومسالك الصوفية التي سلكوها في إثبات العصمة وتقريرها[٤].

وعندما عقد خالد عَلال[٥] مقارنة بين التصوف وغيره من عقائد أهل الأهواء والضلال نجده يقول:

«والمقارنة الرابعة: تتعلق بالتشابه بين الصوفية، والشيعة الإمامية في نقضهم لختم نبوة نبينا محمَّد - عليه الصلاة والسلام - فالصوفية نقضوا ختم النبوة عندما أثبتوا لشيوخهم العصمة، وعلم الغيب والتلقي عن الله كالأنبياء»[٦].

---

(١) لطائف الإشارات (٢/١٠٤-١٠٥).

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص ١٣٠).

(٣) ينظر: الصفوية والصوفية خصائص وأهداف مشتركة (ص ٧١).

(٤) ينظر: العلاقة بين الصوفية والإمامية (٢٩٩-ومابعدها).

(٥) باحث معاصر.

(٦) نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف (ص ٨٧٦).

المبحث الثاني

أسباب من داخل التصوف

إن المتتبع لما تم كتابته عن الصوفية -وبالأخص قولهم بالعصمة- عند الكلام عن أوجه الشبه والأسباب الخارجية التي أدت للقول بالعصمة؛ يجد أنهم ركزوا على الجانب المتعلق بالسبب الخارجي، دون التركيز أو التصريح بالسبب الداخلي -فيما وقفت عليه[(١)] مع أن السبب الداخلي له من الأهمية بمكان- حيث أنه يبرز كسبب من داخل المذهب- ومن خلال الاستقراء والتتبع لما تم القول به من خلال كتب الصوفية، أو من كتب عنهم، يتضح أن هناك أمورًا يمكن جعلها أسبابًا داخلية ترتب عليها القول بالعصمة ومن هذه الأسباب ما يلي:

أولًا - المصطلحات المتداولة عند الصوفية والتي ترتب على القول بها القول بالعصمة ومن ذلك:

هناك عدد من المصطلحات التي يتم تداولها على لسان المتصوفة، وصارت تحوي معانٍ باطلة -حسب فهمهم-، وقد يكون أصلها شرعيًا لكنها حُرفت عن معناها الشرعي الصحيح، صارت سببًا للقول بالعصمة، ومن تلك المصطلحات مايلي:

الولاية:

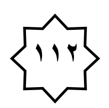
حَفلت كتب التصوف ببيان لمنزلة الولي والولاية، ومكانتها في الفكر الصوفي، وما تبع ذلك من التصريح بالعصمة أو عدم التصريح بها، كأثر لهذا الفهم الخاطىء.

وقد جَعل الصوفية الولاية قاعدة وأساسًا لطريقتهم؛ كما جاء ذلك في أحد أصولهم ومراجعهم المعتمدة، ككشف المحجوب وفيه «اعلم أن قاعدة وأساس طريقة التصوف والمعرفة جملة يقوم على الولاية وإثباتها، لأن جميع المشايخ متفقون في حكم إثباتها، غير أن كلا منهم بيّن هذا بعبارة مختلفة»[(٢)].

---

(١) إلا ما كان من لطف الله خوجة في كتابه الإنسان الكامل، فقد تطرق لسببين أو طريقين تولَّدت منها عقيدة العصمة هما: الولاية والبقاء، ينظر: الإنسان الكامل (ص، ٣٦٩ ومابعدها).

(٢) كشف المحجوب (٢/٤٤٢-٤٤٣).



وقد كان قاعدة كلام الحكيم الترمذي، وطريقه على الولاية[١] وهو الذي ابتدع القول بنظرية ختم الولاية[٢].

وعندما سئل الشعراني هل بين الولاية والرسالة مرتبة أجاب:

«نعم بينهما مقام النبوة مع أن الولاية أيضًا منطوية مع كل نبوة»[٣].

ثم قرر: «أن الولاية لما كان لها الدوام في الدارين، كانت أعم من الرسالة لانقطاع أحكامها منها بزوال الدنيا والكلام في النبي مع نبوته في نفسه لا مع نبوته و ولاية غيره، فإياكم والغلط فإن هذه مسألة زلت فيها أقدام قوم»[٤].

ويرى المستشرق والباحث في التصوف؛ نيكلسون - وذلك عند كلامه عن الأولياء والكرامات - بأن الصوفية قد اصطنعتها -أي كلمة الولي-، وجعلتها علمًا شائعًا على من أدنوه منهم حيث يقول: «والكلمة رغم ملابساتها الغامضة قد اصطنعتها الصوفية، وأضحت عَلَمًا شائعًا، على فريق أدْنتهم ربانيتهم من الله[٥].

ويؤكد الهجويري أن الولي اسم يطلق على كاملي الولاية - عند ذكره لتعريف الصوفية للصوفي-، فهو: «اسم يطلقونه على كاملي الولاية ومحققي الأولياء، وهم يسمون أهل الكمال منهم بالصوفي»[٦].

هذا وقد مرَّ معنا سابقًا[٧] -بإسهاب-، ذكر تعاريف كُثُر للولي والولاية، سواء أهل التصوف أنفسهم أو من مخالفيهم ومن تلك التعاريف التي تبين الصلة بين الولاية، والعصمة والتي وردت على لسان أهل التصوف الآتي:

---

(١) ينظر: كشف المحجوب (٢/٤٤٢).

(٢) يبين شيخ الإسلام؛ بأن مرتبة خاتم الأولياء صار مرتبة موهومة لا حقيقة له، وصار يدعيها لنفسه أو لشيخه طوائف، وقد ادعاها غير واحد ولم يدعها إلا من في كلامه من الباطل ما لم تقله اليهود ولا النصارى. ينظر: مجموع الفتاوى (٢/٢٢٨).

(٣) كشف الحجاب والران عن أسئلة الجان (ص ٨٧).

(٤) المصدر السابق: (ص ٨٨).

(٥) الصوفية في الإسلام (ص ١١٩).

(٦) كشف المحجوب (١/٢٣٠-٢٣١).

(٧) انظر: (ص ١٨) من البحث.

قول القشيري بأن الولي هو: «الذي يتولى الحق سبحانه حفظه، وحراسته على الإدامة والتوالي؛ فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان، وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة»[١].

وقد ذكر القشيري أن من علامات الولاية أن يكون العبد محفوظًا فقال: «ومن علامات الولاية؛أن يكون العبد محفوظًا عليه وقته في أوان البلاء»[٢].

الكرامة:

لقد قال الصوفية بالكرامة للولي، وهذا أمر مشتهر عندهم لا يخفى قد امتلأت به كتبهم من تلك الكرامات مما لا يقبله العقل وينافيه.

من ذلك ما ذكره الشعراني في طبقاته – فقد ذكر في الطبقات؛ حكايات تخالف النقل والعقل ولذلك يجدر بسط الكلام حولها.

ويجدر بنا في هذا المقام أن نبين بأن الكرامة من جملة الخوارق التي إذا ثبتت تقاس بميزان الشرع.

وقد عَدَّ الكلاباذي القول بثبوت الكرامة للولي؛ أمرًا مجمعًا عليه عندهم لا خلاف فيه، وفي ذلك يقول:

«أجمعوا على إثبات كرامات الأولياء»[٣].

وقد بوَّب السلمي في الأربعين بابًا أسماه؛ بابٌ في جواز الكرامات للأولياء[٤].

وقد حَكى الطوسي في اللمع عن سهل التستري قوله: «الآيات لله، والمعجزات للأنبياء، والكرامات للأولياء، ولخيار المسلمين»[٥].

---

(١) الرسالة القشيرية (٢/٥٢٣).

(٢) لطائف الإشارات (٢/٥١٤).

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص ٧١) وقد ساق الطوسي أدلة كثيرة في إثبات الكرامة للولي، وعلة قول من قال لا يكون ذلك إلا للأنبياء عليهم السلام ، ينظر: اللمع (ص ٣٩٦) ومابعدها.

(٤) الأربعون في التصوف (ص ٣).

(٥) اللمع (ص ٣٩٠).

لقد عُرفت الكرامة بأنها: «ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونًا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجًا. وما يكون مقرونًا بدعوى النبوة يكون معجزة»[١].

ويشير القشيري إلى ارتباط الكرامة بالعصمة فيذكر أن من «أجل الكرامات التي تكون للأولياء: دوام التوفيق للطاعات والعصمة عن المعاصي، والمخالفات»[٢] ثم يسوق بعد ذلك شواهد في إظهار الله للكرامة للأولياء من القرآن الكريم.

ويظهر أن هنالك تسلسلًا تدريجيًا في عقيدة العصمة عند الصوفية حيث أنه متى ظهرت كرامة على يد شخص فهو ولي ومتى ما كان وليًا فهو معصوم، ومتى كان معصومًا فقد وجبت طاعته. فالقول إذن بوجوب الطاعة العمياء للشيوخ مبني على اعتقاد عصمتهم والتسوية بين الأولياء والأنبياء في ذلك[٣].

وقد قرر شيخ الإسلام بأن هذه «الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وتكون لأهل البدع وتكون من الشياطين، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن وبحقائق الايمان الباطنة وشرائع الاسلام الظاهرة»[٤].

فـ«إنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة»[٥].

وها هو أحد الصوفية المعاصرون وهو؛ سعيد حوى يذكر اعتقاد الصوفية بالكرامة واعتبارها دليلًا للولاية، المستلزمة للعصمة مقررًا بطلان، وفي ذلك فيقول: «فمتى ظهرت كرامة على يد شيخ اعتبروا ذلك علامة على العصمة، وإن أعطوا العصمة هنا اسم الحفظ، ثم بنوا على ذلك

---

(١) التعريفات (ص ٢٣٥-٢٣٦).

(٢) الرسالة القشيرية (٥٢٦/٢).

(٣) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (٢٢٧/١).

(٤) الفرقان بين أولياء الرحمن واولياء الشيطان (ص ٧٩).

(٥) المرجع السابق (ص ١٨٧).

وجوب الالتزام بالشيخ، ووجوب استشارته في كل شيء، ووجوب الالتزام بكل ما قاله، ويأخذون عنه الفتوى والسلوك في كل أمر»[١].

وسبقه إلى عدم الاعتداد بالكرامة كشرط للاستقامة؛ ابن عطاء الله السكندري[٢] في حكمه فقد قال: «ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة»[٣].

ويعلق ابن زورق على مقولة ابن عطاء الله، تلك وذلك في شرحه للحكم: بأن الكرامة «تدل على اختصاص صاحبها لا على استقامته، فلا يغترر بها إلا مخدوع، ولا يهمل فضل الله فيها إلا مغرور، فلزم التحقق والتحقيق»[٤].

وحتى لا يَظن العارف أن ظهور الكرامة على يد الشيخ؛ علامة على أنه قد كمل، فالكمال لا يتناهى[٥].

وحتى لو ظهرت على يد ولي، فإن عليه أن لا يُظهرها - كما قال الجيلاني - ويجعلها بينه وبين الله تعالى ولا يقوم بطلبها حتى لا تضره، لأن من شرط الولاية كتمان الكرامات[٦].

مما سبق ظهر أن من الصوفية قديما - كان - أم حديثًا؛ من يرفض الكرامة كسبب للعصمة أو الاستقامة، ويرى أن من شرط الولاية كتمان الكرامات، وأنها تكون بين الولي وبين ربه، فلا يظهرها الولي، خشية الضرر والهلاك.

---

(١) تربيتنا الروحية ، سعيد حوى (ص ١٨٠).

(٢) هو: أحمد بن مُحَمَّد بن عبدالكريم بن عطاء المالكي الإسكندري، الشاذلي طريقة، له تصانيف عديدة منها: الحكم العطائية، ولطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس، وشيخه أبي الحسن، و عنوان التوفيق وهو شرح لقصيدة أبي مدين الغوث، كان من أشد خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية، توفي سنة ٧٠٩ هـ بالقاهرة، ولازال قبره يزار يتوسل به، ينظر: الطبقات الكبرى، للشعراني (٤١/٢)، كشف الظنون (١٥٥٤/٢)، طبقات الشاذلية (٩٤-وما بعدها)، الأعلام (٢٢٢/١).

(٣) حكم ابن عطاء الله، شرح ابن زورق (ص ٢١٥).

(٤) المصدر السابق (ص ٢١٥).

(٥) مذكرات في منازل الصديقين والربانيين من خلال النصوص وحكم ابن عطاء الله، سعيد حوى (ص ٤٥٩).

(٦) ينظر: الغنية (٢٧٧/٢-٢٧٨).

الفناء:

يبرز مصطلح الفناء كلفظ متداول على ألسنة المتصوفة سواء كانوا من الأوائل أو حتى من الأواخر -كما سيأتي- علمًا أن لفظ الفناء، لم يرد في الكتاب ولا في السنة، ولا في كلام الصحابة والتابعين سواء كان مدحًا أم ذمًا[(١)]، إذن هو لفظ حادث.

وقد رأى بعض من كتب عن الصوفية أن نهاية التصوف هو الفناء، وليس ما يظن أن التصوف هو الزهد والفقر[(٢)] ولذلك يحسن الإطالة في الكلام عنه، وبيان علاقته بالعصمة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن «الفناء الذي تكلم عنه الصوفية هو وليد طبيعي لمذهبهم في المحبة والمعرفة»[(٣)].

مما يذكر هنا في تعريف الولي وعلاقته بالفناء ما جاء عن أحد الصوفية وهو أبو علي الجوزجاني قوله: «الفاني في حاله الباقي في مشاهدة الحق سبحانه، تولى اللَّه سياسته فتوالت عليه أنوار التولي لم يكن له عن نفسه إخبار ولا مع غير اللَّه قرار»[(٤)] والإشارة للعصمة بسبب الفناء ظاهرة بقوله: «لم يكن له عن نفسه إخبار، ولا مع غير الله قرار» إذن فكيف يقع بالذنب والمعصية؟.

---

(١) ينظر: مدارج السالكين (٣/٣٥١).

(٢) ممن قال بذلك: نيكلسون، في كتابه الصوفية في الإسلام (ص: ١٣٨) و لطف الله خوجة، في الإنسان الكامل (ص ١٠١) وخالد علال في نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف (ص ٥٥١)، وكذلك عبد الله نومسوك، في البوذية وعلاقة الصوفية بها، (ص ٤٠٧) وأوردوا نصوصًا وحكايات لايسع المجال لذكرها.

(٣) من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة (ص: ١٣٠).

(٤) الرسالة القشيرية (٢/٤١٩) وقد ذكر شيخ الإسلام أن الفناء على ثلاثة أقسام، الأول:وهو الفناء الديني الشرعي، الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، هو أن يفنى عما لم يأمر الله به بفعل ما أمر الله به، وأما الثاني: وهو الذي يذكره بعض الصوفية؛ وهو أن يفنى عن شهود ما سوى الله تعالى، فيفنى بمعبوده عن عبادته، وبمذكوره عن ذكره، وبمعروفه عن معرفته، بحيث قد يغيب عن شعوره بنفسه وبما سوى الله-فهذا حال ناقص، قد يعرض لبعض السالكين، وأما الثالث-فهو الفناء عن وجود السوى، بحيث يرى أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق، وأن الوجود واحد بالعين، فهذا قول أهل الإلحاد والاتحاد، ينظر: التدمرية (ص: ٢٢١-٢٢٢).

وبالفناء «تختفي صفات الصوفي وتنمحي وتضمحل وتزول تدريجيًا حتى يفقد إحساسه بالخلق وبنفسه، وهنا يكون قد فَني عن نفسه وعن الخلق وبقي بالحق –الله–، أي فني فيه حسب زعم الصوفية»[(١)].

ورد عن أبي يزيد البسطامي –والذي ذُكر أنه أول من قال بالفناء من المتصوفة–، قول له يفهم علاقة العصمة بالفناء وذلك عندما قال: «حظوظ الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء وقيام كل فريق منهم باسم منها وهو الأَوَّل، والآخر، والظاهر والباطن، فمتى فَنى عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام»[(٢)] فبعد الفناء يكون الصوفي كاملًا تامًا.

وقد جعل الهجويري الفناء تعريفًا للصوفي، وفي هذا يقول عن الصوفي أنه هو: «الفاني عن نفسه والباقي بالحق، قد تحرر من قبضة الطبائع، واتصل بحقيقة الحقائق»[(٣)].

ويقصد في هذه العبارة بزعمهم:

«إن الصوفي الحقيقي هو: من تخلى عن صفات البشرية، وتجرد من علائقه الدنيوية، فلما فني عن ذلك: تهيأ له الاتصال بالحقيقة الإلهية، ووجد البقاء بالله»[(٤)].

وهذا النوع من الفناء هو: الفناء عن شهود السوى، وقد أشار إلى هذا النوع من الفناء –شيخ الإسلام–، عند ذكره لأنواع الفناء، وبين أن هذا حال ناقص، قد يعرض لبعض السالكين، وليس هو من لوازم طريق الله[(٥)].

---

(١) نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف، خالد علال (ص: ٤٧٧) يجعل بعض الباحثين الفناء الصوفي أنه: امتداد للنرفانا التي هي من عقائد الأديان الوضعية السابقة كالبوذية، وأنه تغير للاسم فقط، وهو كذلك من أوجه التشابه بين الصوفية وغيرها من الديانات، إلا أن نيكلسون يفرق بين النرفانا والفناء؛ بأن النرفانا زوال للشخصية لاغير، والفناء هو: تلاشي الصوفي عن وجوده الحسي، ينظر الصوفية في الإسلام (ص ١٣٨)، وبعضهم قالوا إن الفرق في النهاية فقط، فنهاية الفناء الوصول إلى حضرة الربوبية، أما النرفانا فهي الفراغ من كل شيء، ينظر: البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها (ص ٤٢٠).

(٢) المصدر السابق (٤١٩/٢).

(٣) كشف المحجوب (٢٣١/١).

(٤) المصدر السابق (٢٣١/١) حاشية (١)، وهو قول لإسعاد قنديل في دراستها وتعليقها لكشف المحجوب.

(٥) ينظر: التدمرية (ص ٢٢٢).

ومما يدل على ارتباط الفناء بالولاية والولي؛ ما جاء عن الصوفية في تعريفهم للولاية بأنه: «هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه»[(١)].

وقد أبان الكلاباذي الكلام عن الفناء مبينًا ما هو، وكيف يكون سبيلًا للعصمة – مُصرحًا بذلك–، وبفهم خاطئ لنص شرعي حيث يقول: «فالفناء هو أن يَفنى عنه الحظوظ فلا يكون له في شيْء من ذلك حظ ويسقط عنه التَّمييز فناء عن الأشياء كلها شغلًا بما فنى به.

والحق يتولَّى تصريفه فيصرفه في وظائفه، وموافقاته فيكون مَحْفُوظًا فيما لله عليه مأخوذًا عمَّا له، وعن جميع المخالفات فلا يكون له إليها سبيل وهو العصمة، وذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (كنت له سمعًا وبصرًا)»[(٢)][(٣)].

البقاء:

أما عن منزلة ومكانة البقاء عند الصوفية، فيبرز كمصطلح مرتبط بالفناء، ويأتي بعده.

يوضح ابن عربي تلكم العلاقة والارتباط بقوله: «اعلم أن نسبة البقاء عندنا، أشرف في هذا الطريق من نسبة الفناء، لأن الفناء عن الأدنى في المنزلة أبدًا عند الفاني، والبقاء بالأعلى في المنزلة أبدا عند الباقي»[(٤)].

عرف الكلاباذي البقاء بعد كلامه عن مرحلة الفناء، وبأنه مرحلة تعقب الفناء بقوله: «والبقاء الَّذي يعقبه هو أَن يفنى عمَّا له ويبقى بما لله»[(٥)].

«وكل أئمة التصوف، يعقبون ذكرهم الفناء بالبقاء»[(٦)].

ويُعقب الكلاباذي على تعريفه السابق للبقاء بقوله: أن بعض الكبار – ويقصد هنا كبار الصوفية – قالوا: الْبقاء مقام النَّبيين أُلبسوا السكينة، لا يمنعهم ما حل بهم عن فرضه، ولا عن فضله[(٧)].

---

(١) التعريفات (ص ٣٢٩).

(٢) جزء من حديث الولاية الشهير، وقد سبق تخريجه (ص ٢٦).

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص ١٢٣).

(٤) الفتوحات المكية (٢/٥٠٤).

(٥) المصدر السابق (ص ١٢٣).

(٦) الإنسان الكامل في الفكر الصوفي (ص ٣٧٣).

(٧) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (ص ١٢٣).

ويشير أبو طالب المكي إلى هذا الارتباط بقوله: «وهذا يشبه قول من قال: إن حقيقة الزهد في الفناء هو الزهد في البقاء لأن العبد ربما زهد في الفناء، فلم يزهد في البقاء فيكون فيه بقية من الرغبة، فإذا زهد في البقاء فهو حقيقة الزهد في الفناء إذ كان الفناء يراد للبقاء»[١].

وكون البقاء سببًا بالقول بالعصمة، قد أشار إليه الكلاباذي عند تفسيره للباقي بقوله:

«والباقي هو أَن تصير الأشياء كلها له شيئًا واحدًا فتكون كل حركاته فِي موافقات الحق دون مخالفاته، فيكون فانيًا عن المخالفات باقيًا فِي الموافقات، وليس معنى أن تصير الأشياء كلها له شيْئًا واحدًا أَن تصير المخالفات له موافقات فيكون ما نهى عنه كما أَمر به، ولكن على معنى أَن لا يجْري عليه إِلَّا ما أَمر به، وما يرضاه الله تعالى دون ما يكرهه ويفعل ما يفعل لله لا لحظ له فيه في عاجل أَو آجل، وهذا معنى قولهم يكون فانيًا عن أَوصافه باقيًا بأوصاف الْحق»[٢].

فإن قيل: إن الكلاباذي قد استدرك، حتى لا يفهم من كلامه هذا العصمة، عندما قال: «وليس معنى أن تصير الأشياء كلها له شيْئًا واحدًا، أَن تصير المخالفات له موافقات».

قلنا: نعم، لكنه أتبع استدراكه بقوله: «أَن لا يجْري عليه إِلَّا ما أَمر به، وما يرضاه الله تعالى دون ما يكرهه» وهل العصمة إلا هذا[٣].

الإنسان الكامل:

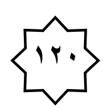
مصطلح الإنسان الكامل لم يرد لا في كتاب، ولاسنة بل هو لفظ حادث، أحدثه المتصوفة وتتابعوا عليه.

ويعتبر ابن عربي «أول من استعمل هذا التعبير في تاريخ الإسلام»[٤].

وقد جعل ابن عربي معرفة الإنسان الكامل، أمرًا واجبًا في معرفة الله، أو ما يعبرون عنه بالحق، يقول ابن عربي: «ولا يعرف قدر الحق إلا من عرف الإنسان الكامل، الذي خلقه الله على صورته، وهي الخلافة»[٥].

---

(١) قوت القلوب (١/٤٤٤).
(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: ١٢٣-١٢٤).
(٣) ينظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي (ص ٣٧٤).
(٤) المرجع السابق (ص ١٣١).
(٥) الفتوحات المكية (٤/١٣٥).



والكمال -كما يزعم- ابن سبعين هو إكسير الخلافة في عالم الإنسان[١].

يعرف الهجويري الإنسان الكامل عند المتصوفة بأنه: «اسم يطلقونه على كاملي الولاية، ومحققي الأولياء»[٢] مما يدل على ارتباط الكمال بالولاية والولي.

أما الإنسان الكامل فيعرفه الجيلي[٣] في كتابه الذي أسماه بذلك - وذكر أن «جميع الكتاب من أوله إلى آخره شرح لهذا الباب»[٤] بقوله: «اعلم - حفظك الله - أن الإنسان الكامل هو القطب، الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى الآبدين، ثم له تنوع في ملابس ويظهر في كنائس، فيسمى به باعتبار لباس، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر؛ فاسمه الأصلي الذي هو له مُحَمَّد، وكنيته أبو القاسم، ووصفه عبدالله»[٥].

إذن فالإنسان الكامل ليس خاص بالرسول ﷺ، الذي هو الاسم الأصلي له، بل يشمل غيره ممن أسماه القطب.

ويراد بالإنسان الكامل - أيضًا - عند الصوفيه بأنه: الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية؛ الكلية والجزئية وهو كتاب جامع للكتب الإلهية والكونية، فمن حيث روحه وعقله: كتابٌ عقلي مسمًّى بأم الكتاب، ومن حيث قلبه: كتاب اللوح المحفوظ ومن حيث نفسه: كتاب المحو والإثبات، فهو الصحف المكرمة، المرفوعة المطهرة، التي لا يمسها ولا يدرك أسرارها إلا المطهرون من الحجب الظلمانية»[٦].

---

(١) ينظر: رسالة الألواح المباركة، ضمن رسائله (ص ٢٧٩).

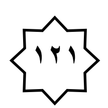
(٢) كشف المحجوب (١/٢٣٠).

(٣) هو: عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني، له تصانيف كثيرة، منها: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، وهو: كتاب على اصطلاح الصوفية، و الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم، و شرح مشكلات الفتوحات المكية، توفي سنة ٨٣٢ هـ، ينظر: الأعلام (٤/٥٠)، وكشف الظنون (١/١٨١).

(٤) الإنسان الكامل (ص ٢٠٧).

(٥) المصدر السابق (ص ٢١٠).

(٦) التعريفات (ص ٥٦).



ويدخل في ذلك الأولياء – كما شملهم بذلك الجيلي – فانطبق عليهم وصف الكمال، فلا يتصور منهم الوقوع بالذنب فيكونوا معصومين ، وفي ذلك يقرر أن كل نوع نسخة للآخر إلا بحدوث عارض: «إن أفراد هذا النوع كل واحد منهم نسخة للآخر بكماله، لا يفقد في أحد منهم مما في الآخر شيء إلا بحسب العارض، ومتى لم يحصل العارض فهم كمرآتين متقابلتين يوجد في كل واحد منهما ما يوجد في الأخرى، ولكن منهم من تكون الأشياء فيه بالقوة، ومنهم من تكون فيه بالفعل وهو الكُمَّل من الأنبياء والأولياء، ثم إنهم متفاوتون في الكمال فمنهم الكامل والأكمل، ولم يتعين أحد منهم بما تعين به مُحَمَّد ﷺ في هذا الوجود من الكمال الذي قطع له بانفراده فيه»(١).

إذن فالكمال ليس شيئًا واحدًا، بل فيه تفاوت فهناك الكامل وهناك الأكمل.

وعند ابن الدباغ(٢) – بزعمه – أن من وصل إلى مرتبة الكمال، فقد وصل إلى آخر رتب الإنسانية فمن «كان أكثر أخذًا لما جاءت به الأنبياء – عليهم السلام–، كان أوفر نصيبًا من هذه الرحمة الإلهية المبثوثة في العالم بواسطتهم. والكامل في الوراثة النبوية هو القطب، والغوث وهو خليفة الله تعالى في هذا العالم. وهذه الرتبة كما قلنا آخر رتب الإنسانية وأول رتب الملائكة»(٣).

والشيخ الكامل يخرج المريد من تعبه، وينقله إلى راحة شهود الرب كما زعم ابن عجيبة.

يقول ابن عجيبة في إيقاظ الهمم: «ولا بد من شيخ كامل يخرجك من تعب نفسك إلى راحتك بشهود ربك فالشيخ الكامل هو الذي يريحك من التعب لا الذي يدلك على التعب»(٤).

---

(١) الإنسان الكامل (ص ٢٠٧).

(٢) هو: عبد العزيز بن مسعود الدباغ، كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، ولأتباعه مبالغة في الثناء عليه ونقل الخوارق عنه. وصنف تلميذه أحمد بن مبارك السجلماسي؛ الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز في شمائله وما دار بينهما من محاورات، وهو مطبوع في جزأين أطال في ذكر ما أسماه كرامات مما لا يخطر على بال، توفي بفاس سنة ١١٣١ هـ،ينظر:الإبريز (ص ٢٢) طبقات الشاذلية الكبرى، للفاسي (ص ١٤١) (الأعلام ٤/٢٨).

(٣) مشارق أنوار القلوب (ص ١٠٣).

(٤) إيقاظ الهمم في شرح الحكم (ص ١٣).

وفي موضع آخر يجعل ابن عجيبة اعتقاد كمال الشيخ أول الآداب الباطنية للمريد مع شيخه وفي ذلك يقول:

«وأما الآداب الباطنية فأولها: اعتقاد كماله، وأنه أهل للشيخوخة والتربية لجمعه بين شريعة وحقيقة، وبين جذب[١] وسلوك، وأنه على قدم النبي ﷺ»[٢].

ووصل الأمر عند الكمشخانوي[٣] عند تعريفه للإنسان الكامل بأن جعله يصل لمرتبة الإلهية - تعالى الله وتقدَّس - فيعرفه بأنه: «الجامع لكل المراتب الإلهية والكونية من العقول والنفوس الكلية والجزئية، ومراتب الطبيعة إلى آخر تنزلات الوجود وتسمى بالمرتبة العمائية أيضًا، فهي مضاهية لمرتبة الإلهية ولا فرق بينهما بالربوبية، والمربوبية ولذلك صار خليفة الله»[٤].

ويقصد بالإنسان الكامل؛ الشيخ كما قال في موضع آخر: «الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة البالغ إلى حد التكميل فيها، لعلمه بآفات النفوس وأمراضها، وأدوائها، ومعرفته بدوائها وقدرته على شفائها والقيام بهداها إن استعدت ووفقت لاهتدائها»[٥].

ثانيًا - الفهم الخاطئ للنصوص الشرعية:

قد علم بالاستقراء بأن من قال بالعصمة من الصوفية، قد وقع في فهم للنصوص الشرعية يخالف ما عليه السلف الصالح، من فهم مربوط بالضوابط الشرعية[٦] - فيما يتعلق بالنصوص

---

(١) الجذب في الاصطلاح الصوفي هو: «عبارة عن جذب الله تعالى العبد إلى حضرته. والمجذوب من جذبه الحق إلى حضرته، وأولاه من المواهب بلا كلفة، ولا مجاهدة ولا رياضة» المعجم الفلسفي (١/ ٣٩٦).

(٢) إيقاظ الهمم في شرح الحكم (ص ١٣٥).

(٣) هو: أحمد بن مصطفى الكُمُشْخَانَوي الصوفي، عالم بالحديث، تركي الأصل والمنشأ، أقام ثلاث سنين في مصر، أنشأ ثلاث مكتبات لمطالعة الجمهور في بلاده. له نحو خمسين كتابا، منها: جامع الأصول في الأولياء وشرحه لوامع العقول، و العابر في الأنصاريّ والمهاجر توفي سنة ١٣١١ هـ في كمشخانه بتركيا، ينظر: الأعلام (١/٢٥٨).

(٤) جامع الأصول في الأولياء (ص ٢٢٤).

(٥) المصدر السابق (ص ١٥٣).

(٦) يعرف شيخ الإسلام النص بأنه: «يراد به تارة ألفاظ الكتاب والسنة، سواء كان اللفظ دلالته قطعية أو ظاهرة، وهذا هو المراد من قول من قال: النصوص تتناول أَحكام أَفعال المكلَّفين» الفتاوى (١٩/٢٨٨).

الواردة بالولي والولاية-، كانت من الأسباب التي ترتب عليها القول بالعصمة، سواء كان هذا الفهم الخاطئ لآيات أو أحاديث.

فلذلك كانت «صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبد عطاء بعد الإسلام أَفضل ولا أَجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما باين العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم وطريق الضآلين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم»[١].

ونجد شيخ الإسلام يذكر: «أن المطلوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به»[٢].

كما بيّن في موضع آخر: أن «كل من كان للقرآن أفهم، ولمعانيه أعرف كان أشد تعظيمًا له من الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني»[٣].

وبالمقابل فـ«معرفة مراد الرسول، ومراد الصحابة هو أصل العلم، وينبوع الهدى[٤].

ويأتي على رأس هذه النصوص الشرعية، التي ساء فهمها عند بعض المتصوفة:

أ- النصوص الشرعية من القرآن:

استدل المتصوفة بنصوص شرعية من القرآن ساء فهمهم لها ومنها:

الأولى: وأشهرها آية يونس، والتي جاءت في بيان منزلة الولي عند الله تعالى وهي قول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] حيث عَمد من قال بالعصمة من المتصوفة إلى فهمها فهمًا يوافق القول بعصمتهم ومن ذلك:

تفسير القشيري لمعنى الولي في الآية السالفة، فيتضح من كلامه عدم وقوع الولي بالمعصية فيفَسر قائلًا:

«الولي على وزن فعيل مبالغة من الفاعل، وهو من توالت طاعاته، من غير أن يتخللها عصيان»[٥].

---

(١) إعلام الموقعين لابن القيم (١٦٤/٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٥٥/٢٣).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٣٣٣/٨).

(٤) شرح حديث النزول (ص ٦٥).

(٥) لطائف الإشارات (١٠٤/٢) وينظر: الرسالة القشيرية (٤١٦/٢).

وتفسيره هذا يخالف ما جاء في تفسير الآية الصحيح وهو:

«ألا إن أنصار الله لا خوف عليهم في الآخرة من عقاب الله؛ لأن الله رضي عنهم فآمنهم من عقابه، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا»(١).

وهم: «أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لأنهم هم الذين حبب إليهم الإيمان وكَرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان وأولئك هم الراشدون»(٢).

الثانية: قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

جاء عند الجيلاني معنًا آخر غير المعنى المراد بالآية، يوافق القول بالعصمة، ففي هذه الآية يقول:

«فالله تعالى تولى إخراجهم من الظلمات، وهو عز وجل أطلعهم على ما أضمرت قلوب العباد، وانطوت عليه النيات، إذ جعلهم ربي جواسيس القلوب والأمناء على السرائر والخفيات، وحرسهم من الأعداء في الخلوات والجلوات، لا شيطان مضل ولا هوى متبع يميل بهم إلى الضلالات»(٣).

والمعنى المراد والموافق للحق؛ هو أن الله: «نصيرهم وظهيرهم، يتولاهم بعونه وتوفيقه ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] يعني بذلك: يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وإنما عنى بالظلمات في هذا الموضع الكفر، فأخبر تعالى ذكره عباده أنه ولي المؤمنين ومبصرهم حقيقة الإيمان وسبله، وشرائعه، وحججه، وهاديهم، فموفقهم لأدلته المزيلة عنهم الشكوك بكشفه عنهم دواعي الكفر، وظلم سواتر أبصار القلوب»(٤).

---

(١) تفسير الطبري (١٢/٢٠٨).

(٢) التصوف المنشأ والمصادر (ص ١٤).

(٣) الغنية (٢/٢٧٣).

(٤) تفسير الطبري (٤/٥٦٣).

الثالثة: قول الله تعالى:﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾[النساء: ٦٥].

وهذه الآية – العظيمة – التي نزلت في حق الرسول ﷺ، جعلها من قال بالعصمة من المتصوفة في حق الشيخ وطاعته العمياء، فقالوا:

من الواجب على المريد اعتقاد أن كل تصريف أو أمر أشكل عليه، عند الشيخ منه بيان وبرهان، إذ تسليم المريد له تسليم لله ورسوله قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ فالشيخ – بزعمه–، باب فتح الله تعالى للمريد إلى جانب كرمه منه يدخل وإليه يرجع فلينزل به سوانحه ومهماته الدينية والدنيوية، إذ هو الوسيلة بينه وبين ربه، وللشيخ باب مفتوح من المكالمة والمحادثة في النوم واليقظة، فلا يتصرف في المريد بهواه، إذ هو أمانة الله عنده، يستغيث الله لحوائجه، كما يستغيث لحوائج نفسه ومهمات دينه ودنياه، ثم لا يبقى في نفسه مقدار لشيء إلا لشيخه خاصة(١).

ولا يخفى أن المعنى المراد من الآية هو ما خص به الرسول ﷺ وهو:

«أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا، ولهذا قال ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما، أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة»(٢).

فانظر كيف أدى الفهم الخاطئ عند هذا المتصوف فجعل ما هو خاصًا بالمعصوم صلى الله عليه وسلم؛ وهو التسليم أمرًا يدخل فيه حتى المشايخ، فلا يعترض عليهم، لأن الشيخ بزعمه فتح الله تعالى للمريد فيجب على المريد اعتقاد ان كل تصريف أو أمر أشكل عليه، عند الشيخ منه بيان وبرهان.

---

(١) ينظر: جنة المريد دون المريد (٢/٤٧٣ ٤٧٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٣٠٦).

الرابعة: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

ونجد من الصوفية الذين أخلوا بفهم هذه الآية على المعنى الذي يوافق القول بالعصمة؛ الهجويري عند حديثه عن الولاية حيث قال: «أما ولي فجائز أن تكون فعيل بمعنى مفعول. كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ لأن الله تعالى لا يدع عبده لأفعاله، و أوصافه ويحفظه في كنف حفظه. وجائز أن تكون فعيل بمعنى المبالغة في الفاعل، لأن العبد يتولى طاعته ويداوم على رعاية حقوقه ويعرض عن غيره، فهذا مُريد وذاك مراد وجميع هذه المعاني جائزة من الحق إلى العبد»[١].

الخامسة: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ [الكهف:٦٦-٧٠].

وهذه الآيات الكريمات تدور - وكما لايخفى- عن قصة موسى -عليه السلام-، مع الخضر والذي للصوفية فيه اعتقاد خالفوا فيها الجماعة.

والمتصوفة يقررون: أن على المريد الذي يلازم الشيخ للأخذ منه التسليم المطلق، وترك الاعتراض عليه في كل مايقوله أو يفعله ولو كان مخالفًا للشرع، لأن له خواطر ترد قلبه بصفائه من الأكدار، وخلوه من عن الأغيار، فتتجلى عليه العلوم الإلهية فيقف على الأسرار، ويعمل بمقتضاها والتي ربما تكون في الظاهر حرامًا، يقابل بالإنكار كما حدث لموسى مع الخضر»[٢].

فالقشيري في تفسيره يقرر بأنه: «ليس للمريد أن يقول: لا لشيخه، ولا التلميذ لأستاذه، ولا العاميّ، للعالم المفتي فيما يفتي ويحكم»[٣] ويستدل بقصة موسى -عليه السلام - مع الخضر، في ترك خلاف المشايخ وحفظ قلوبهم[٤].

---

(١) كشف المحجوب (٢/٤٤٣-٤٤٤).

(٢) سياحة في التصوف الحضرمي، أكرم عصبان (ص ٨١).

(٣) لطائف الإشارات (٢/٤٠٩).

(٤) الرسالة القشيرية (٢/٥٠١).

وقد بوَّب – القشيري – في الحفظ بابًا – وذلك في رسالته – قال فيه: «باب حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم قال الله تعالى في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدًا﴾ [الكهف: ٦٦]»(١).

وتبعه في ذلك الكمشخاوي عندما قال في جامعه باب:حفظ حرمة المشايخ، والتعظيم لهم وترك المخالفة فقال فيه:

«وأما حفظ حرمة المشايخ، والتعظيم لهم وترك المخالفة، فقال الله تعالى في قصة موسى مع الخضر ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ﴾ لما أراد الصحبة حفظ شروط الأدب فاستأذن فيها أولًا، فشرط عليه الخضر أن لا يعارضه في شيء بقوله: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ﴾، ولما خالفه تجاوز عنه في المرة الأولى، والثانية فلما انتهى إلى الثالثة، وهي أول مراتب الكثرة سامه الفرقة بقوله: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ﴾ [الكهف:٧٨](٢).

وقد عَقد ابن الزيات(٣) في التشوف؛ بابًا أسماه: في حفظ قلوبهم، وترك النكير عليهم، أورد فيه مثل ما أورد سلفه قصة موسى –عليه السلام–، مع الخضر(٤).

ولذلك عندهم أنه متى تيقن المريد خطأ الشيخ، فليمض لما أمر به اقتداء بما وقع في قضية الكليم مع الخضر(٥).

«وكل تصاريف الشيخ محمولة على السداد والصواب، إذ لا تخلو عن نية صالحة فيها، فيجب عليه أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل، فلا يخطر عليه خاطر اعتراض، ولو عاينه قد خالف ظاهر الشرع اعتبارًا بقصة موسى والخضر»(٦).

---

(١) المصدر السابق (٢/٥٠١).

(٢) جامع الأصول في الأولياء (ص ٢١٦).

(٣) هو: يوسف بن يحيى التادلي، المعروف بابن الزيات، المؤرخ الصوفي، من قضاة المالكية، من أهل تادلة بالمغرب صحب أبا العباس السبتي، له تصانيف منها: التشوف إلى رجال التصوف، نهاية المقامات في دراية المقامات وهو شرح للمقامات الحريرية، مناقب الشيخ أحمد السبتى، توفي بدقواق سنة ٦٢٧، ينظر: شجرة النور الزكية (١/٢٦٥) والأعلام (٢/٢٥٧).

(٤) ينظر: التشوف إلى رجال التصوف (ص ٤٦).

(٥) جُنة المريد دون المريد (٢/٤٧٠).

(٦) المصدر السابق (٢/٤٧٥).

وترتب على هذا الفهم الخاطىء لقصة موسى -عليه السلام-، مع الخضر أن تم تحذير المريد من مخالفة الولي، كما حذر الإربلي[(١)] المريد:

بأن «لا يعترض عليه فيما فعله ولو كان ظاهرة حرامًا، ولا يقول لم فعلت كذا؟ لأن من قال لشيخه لم؟ لا يفلح أبدًا فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر، وهي محمودة في الباطن، كما وقع للخضر مع موسى عليهما السلام»[(٢)].

فلا عجب إذاً من أن تمتلىء كتب الصوفية ككتب الطبقات، وغيرها ببعض الخرافات، والمخالفات الشرعية و المنسوبة لأوليائهم ولمشايخهم؛تخالف الفطرة فضلًا عن العقل والشرع، التي تقوم على عدم المخالفة، ومن تلكم القصص ما ذكره صاحب الإبريز منسوبًا لشيخه الدباغ، فيها استدلال بقصة موسى -عليه السلام-، مع الخضر.

كقوله «وسمعته -ﷺ- يقول: إن الولي صاحب التصرف يمد يديه إلى جيب من شاء، فيأخذ منه ما شاء من الدراهم، وذو الجيب لا يشعر، قلت: لأن اليد الذي يأخذ بها الولي باطنية لا ظاهرية»[(٣)].

ويُسَوغ شيخه الدباغ هذا المنكر بأن: «الفرق بين أخذ الولي صاحب التصرف متاع الناس وبين أخذ السارق واللص له الحجاب وعدمه، فالولي مشاهد لربه - عز وجل - مأمور من قبله بالأخذ قال تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ﴾ [الكهف: ٨٢]»[(٤)].

وما خُص الله به الخضر الذي «أعطاه الله من الإلهام والكرامة، ما به يحصل له الاطلاع على بواطن كثير من الأشياء التي خفيت، حتى على موسى -عليه السلام-»[(٥)] أدخل به المتصوفة به مشايخهم من التعظيم وترك المخالفة، حتى اعتقدوا فيه العصمة، فضلوا وأضلوا.

---

(١) هو: مُحَمَّد أمين بن فتح الله الإربلي الكردي، الصوفي الواعظ، من أهل إربل، تعلم بالأزهر، له تصانيف منها: هداية الطالبين لأحكام الدين في فقه المالكية، و إرشاد المحتاج إلى حقوق الأزواج، وتنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، توفي بالقاهرة سنة ١٣٣٢ هـ، ينظر: الأعلام (٦/٤٣).

(٢) تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب (ص ٥٨٠).

(٣) الإبريز من كلام سيدي عبدالعزيز الدباغ، أحمد السجلماسي (ص ٢٩٥).

(٤) المصدر السابق (ص ٢٩٧).

(٥) تفسير السعدي (ص ٦٢).

يقول مُحَمَّد الأمين الشنقيطي مبطلًا استدلالهم، وأن هذا الفهم الباطل ذريعة للانحلال والزندقة حيث يقول:

«وبذلك تعلم أن ما يدعيه كثير من الجهلة المدعين التصوف من أن لهم ولأشياخهم طرقًا باطنة توافق الحق عند الله ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع، كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى، زندقة وذريعة إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام، بدعوى أن الحق في أمور باطنة تخالف ظاهره»(١).

ولاريب أن قصة موسى –عليه السلام–، مع الخضر «دليل ضدهم؛ فإن موسى –عليه السلام – ما ترك النهي عن المنكر حتى تبين له أن الله هو الذي أراد ذلك وليس الخضر، لقول الخضر: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾(٢).

يقول مُحَمَّد حبيب الله الشنقيطي(٣) مفندًا ومبطلًا استدلال المتصوفة بقصة الخضر، بوجوب عدم الاعتراض على الشيخ وذلك من وجه آخر:

«وفي هذه القصة حُجة ظاهرة على صحة الاعتراض بالشرع على ما لا يسوغ فيه، ولو كان مستقيمًا في باطن الأمر على أنه ليس في شيء مما فعله الخضر –عليه السلام–، مناقضة للشرع عند التأمل»(٤).

مؤكداً ماقرره ابن حجر في الفتح حيث قال:«من استدل بقصة الخضر على أن الولي يجوز أن يطلع من خفايا الأمور على ما يخالف الشريعة، ويجوز له فعله فقد ضل، وليس ما تمسك به صحيحًا فإن الذي فعله الخضر ليس في شيء منه ما يناقض الشرع»(٥).

---

(١) أضواء البيان (٣/٣٢٤).

(٢) العصمة (ص ٣٧٤).

(٣) هو: مُحَمَّد حبيب الله بن عبد الله الجكني الشنقيطي، عالم بالحديث، انتقل إلى مراكش، فالمدينة المنورة، واستوطن مكة، ثم استقر بالقاهرة، مدرسًا في كلية أصول الدين بالأزهر، له تصانيف منها: زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، و إيقاظ الأعلام في رسم المصحف، و دليل السالك إلى موطأ مالك، توفي بالقاهرة سنة ١٣٦٣ هـ، ينظر: الأعلام (٦/٧٩).

(٤) زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم (١/١٨٤).

(٥) فتح الباري (١/٢٢٢)..

ب- النصوص الشرعية من السنة النبوية:

استدل المتصوفة بنصوص شرعية -كذلك- من السنة النبوية تنصر مذهبهم الفاسد بالقول بالعصمة من ذلك:

حديث الولاية، وهذا الحديث يعتبر أشهر حديث يعتمد عليه المتصوفة في بيان منزلة الولاية والولي؛ و هو في نفس الوقت أصح حديث ورد في بيان منزلة الولي والولاية في الإسلام.

وهو أصل في هذا المقام، كما صرح بذلك الجيلاني[(١)] ويقصد بالمقام هنا مقام الولاية.

و كما أن حديث الولاية صار منطلقًا مهمًا عند الصوفية في تنظيم طرقهم[(٢)] فيحسن هنا الإطالة في الحديث عن موقف الصوفية منه.

وقد أشار الإمام الشوكاني إلى تمسك المتصوفة بهذا الحديث ومكانته عند - من قال بالعصمة منهم-، وذلك في معرض رده عليهم باستدلالهم بهذا الحديث، حيث يقول:

«وقد تمسك بهذا الحديث بعض الجهلة من أهل النحل والرياضة فقالوا: القلب إذا كان محفوظًا مع الله كانت خواطره معصومة من الخطأ، وتعقب ذلك أهل التحقيق من أهل الطريق فقالوا: لا يلتفت إلى شيء من ذلك إلا إذا وافق الكتاب والسنة، والعصمة إنما هي للأنبياء»[(٣)].

لقد ساق الكلاباذي في التعرف نصا أورده عن أَبي سعيد الخراز[(٤)] يشير به للعصمة وهو قوله: «أوجدهم نفسه في أنفسهم بل أعدمهم وجودهم لأنفسهم عند وجودهم له معناه قوله كنت له سمعًا وبصرًا ويدًا، فَبِي يسمع وبي يبصر الخبر، وذلك أَنهم كانوا يتصرفون بأَنفسهم لا لأَنفسهم فصاروا متصرفين للحق بالحق»[(٥)].

---

(١) ينظر: الغنية، للجيلاني (٢/٢٧٤).

(٢) ينظر: التصوف منشؤه ومصطلحاته (ص ٢٢).

(٣) قطر الولي (ص ٤٥٥-٤٦٦).

(٤) هو: أَحمد بن عيسى الخراز البغدادي، ذهب إلى مصر أيام محنة الصوفية، وكان مجاورًا في مكة، وهو من أئمة القوم، قيل إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء، كان أحد المذكورين بالورع والمراقبة، قال السلمي: أَنكر أَهل مصر على أَبِي سعيد، توفي سنة ٢٨٦ هـ وهو الأشهر، ينظر: طبقات الصوفية (ص: ٢٢٨)، تاريخ بغداد (٥/ ٤٥٤)، الرسالة القشيرية (١/ ٩٨)، صفة الصفوة (١/٥٣٠)، تاريخ الإسلام (٦/٦٤٤)، سير أعلام النبلاء (١٣/٤١٩-٤٢٠)، نفحات الأنس (ص ٢٣٤-٢٣٥).

(٥) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص ١٢١).

فقوله: «فصاروا متصرفين للحق بالحق» فيه إشارة للعصمة.

ونجد الكلاباذي مرة يعبر بالعصمة، ومرة يعبر بالحفظ، عند بيانه لمعنى هذا حديث الولاية، وأن الحديث يراد به العصمة لا غير حيث يقول:

«والحق يتولَّى تصريفه فيصرفه في وظائفه وموافقاته فيكون محفوظًا فيما لله عليه مأخوذًا عمَّا له وعن جميع المخالفات فلا يكون له إليها سبيل وهو العصمة وذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت له سمعا وبصرا الخبر[(١)].

وأبو طالب المكي في القوت عند ذكره لمخاوف المحبين، ومقاماتهم في الخوف، وكيف يكون حديث الولاية سببًا في صعوبة وصف المحب حيث يقرر بقوله:

«وفيما ذكر من وصف المحبّ كفاية وغيبة عن وصف المحبوب وليس يمكننا وصف المحبوب إذ كان حاله يجلّ عن الوصف وكيف يوصف من يسمع ويبصر من يحبه ويبطش ويعقل عن محبوبه فيكون هو سمعه، وبصره، وقلبه، ويده، ومؤيده، كما جاء في الخبر: إذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، وقلبه الذي يعقل به، وإن سألني أعطيته وإن سكت ادّخرت له، لو قسم نوره على أهل الأرض لوسعهم؛ فهذا كله في مقام محبوب»[(٢)].

أما الجيلاني فعند كلامه عن من هو المتصوف ومن هو الصوفي؟ فقد قال عن الأولياء، وكيف أنهم محفوظون:

«فنقلوا من مراتبهم إلى مالك الملك، فرتب لهم ذلك بين يديه، فصار نجواهم كفاحًا يناجونه بقلوبهم وأسرارهم، فاشتغلوا به عمن سواه، ونهوا عن نفوسهم وعن كل شيء، هو رب كل شيء ومولاه، فصيرهم في قبضته، وقيدهم بعقولهم وجعلهم أمناء، فهم في قبضته وحصنه وحراسته، يتشممون روح القرب، ويعيشون في فسحة[(٣)] التوحيد والرحمة، فلا يشتغلون بشيء إلا بما أذن لهم من الأعمال، فإذا جاء وقت عمل أبدانهم دون قلوبهم، مضوا مع الحرس في تلك الأعمال، كيلا تضرهم شياطينهم ونفوسهم وأهويتهم، فتسلم أعمالهم من خط الشياطين،

---

(١) المصدر السابق (ص ١٢٣).

(٢) قوت القلوب (٢/ ١١٠).

(٣) في المطبوع من الغنية (فسخة) والصحيح ما أثبته فهو يوافق ما بعده.

وهنات النفوس من الرياء والنفاق والعجب وطلب الأعراض، والشرك بشيء من الأشياء، والحول والقوة، بل يرون جميع ذلك فضلًا من الله وتوفيقًا من الله خلقًاومنهم بتوفيقه كسبًا، كيلا يخرجوا بهذه العقيدة من سنن الهدى، ثم يردون بعد أداء تلك الأوامر، وفراغ تلك الأعمال إلى مراتبهم التي ألزموها، فوقفوا معها وحفظوها بالقلوب والضمائر، وقد ينقلون إلى حالة[1] بعد أن جعلوا الأمناء، وخوطب كل واحد منهم بالانفراد في حالته ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤] فلا يحتاجون فيها إلى إذْن، لأنهم صاروا كالمفوض إليهم أمرهم، فهم في قبضته حيثما ذهبوا في شيء من أمورهم يحققه قول النبي -ﷺ- فيما يحكيه عن جبريل عليه السلام، عن الله عز وجل أنه قال: «ما تقرب إلى عبدي بمثل أداء فرائضي، وإنه ليتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه، وبصره، ولسانه، ويده، ورجله، وفؤاده، فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يعقل وبي يبطش»[2].

وقول الجيلاني: «فلا يحتاجون فيها إلى إذن، لأنهم صاروا كالمفوض إليهم أمرهم، فهم في قبضته حيثما ذهبوا في شيء من أمورهم» فيه إشارة للعصمة.

وعندما بوَّب صاحب الرماح بابًا بعنوان: «في تحذيرهم وتنفيرهم عن الإنكار على واحد من ساداتنا الأولياء ومعاداتهم والإعلام بأنه هو عين الهلاك في الدنيا والعقبى»[3] استدل بحديث الولاية ثم قال: «دل الحديث الإلهي أن عدوَّ ولي الله عدو لله فمن عاداه كان كمن حاربه نعوذ بالله - تعالى-، من الإنكار والحرمان»[4] ويقصد بالإنكار هنا الإنكار والاعتراض على الأولياء، مما فيه إشارة للقول بعصمتهم.

ونجد أن الاتحادية من الصوفية؛ قد جعلوا هذا الحديث - كذلك-، دليلًا على انحرافهم، يقول شيخ الإسلام رادًا عليهم:

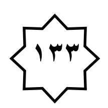
---

(١) هكذا جاء المطبوع من الغنية ن ولعلها (حماة) لاتساقها مع المعنى المراد.

(٢) الغنية (٢/٢٧٤).

(٣) رماح حزب الرحيم، للفوتي (١/ ٥١).

(٤) المصدر السابق (١/٥٢).



«والاتحادية يزعمون أن قرب النوافل: يوجب أن يكون عين الحق عين أعضائه وأن قرب الفرائض: يوجب أن يكون الحق عين وجوده كله، وهذا فاسد من وجوه كثيرة بل كفر صريح كما بيناه في غير هذا الموضع»(١).

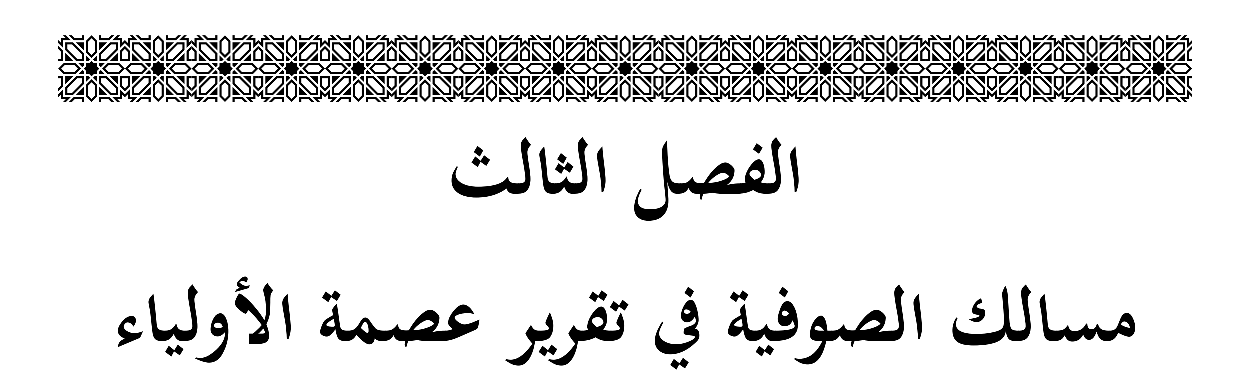
والمعنى الحق للحديث هو:

«أن يحب العبد ما يحبه الله، ويبغض ما يبغضه الله، ويرضى بما يرضي الله، ويغضب لما يغضب الله، ويأمر بما يأمر الله به، وينهى عما ينهى الله عنه، ويوالي من يواليه الله، ويعادي من يعاديه الله، ويحب لله، ويبغض لله، ويعطي لله، ويمنع لله بحيث يكون موافقا لربه تعالى. فهذا المعنى حق وهو حقيقة الإيمان وكماله»(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/٢٢٥). وقول الاتحادية-هذا-كما يقول الإمام الشوكاني عند سياق شرحه لحديث الولاية: «يقضي عل كل عاقل ببطلانه ولا يحتاج نصب الحجة معهم» وبين -رحمه الله- «أنَّ أصل الشبهة الداخلة عليهم:من قول الثنوية، فإنهم جعلوا إلهين اثنين إله الخير وإله الشر، وجعلوها أصل الموجودات كلها، فإذا غلب النور صار العبد نورانيًا، وإذا غلبت الظلمة صار العبد ظلمانيًا» ينظر: قطر الولي (ص ٤٣٨).

(٢) المصدر السابق (٢/٣٤٠).



الفصل الثالث

مسالك الصوفية في تقرير عصمة الأولياء

المبحث الأول: مسلك التصريح بالقول بالعصمة.

المبحث الثاني: مسلك القول بالعصمة وتسميتها حفظًا.

المبحث الثالث: مسلك الإشارة بالقول بالعصمة.

المبحث الأول

مسلك التصريح بالقول بالعصمة

لقد كان للمتصوفة في تقريرهم وقولهم بالعصمة للولي - فيمن قال بها-، مسالك متعددة، وطرق شتى، منها مسلك التصريح ومنها غيره إلا أن النصوص التي نقلت عن المتصوفة في القديم، والحديث المصرحة بلفظ (العصمة) يلاحظ قلتها، مقابلة بلفظ (الحفظ) لكن قد يجمع المتصوفة بين اللفظين في سياق وتعبير واحد، مما يوحي بعدم الفرق عندهم.

ومن أوائل من صرح بالقول بالعصمة - فيما وقفت عليه-، ذو النون المصري حيث جاء في دعاء له:

«اللَّهمَّ اجعلنا من الَّذين تراسلت عليهم ستور عصمة الأوْلياء، وحُصِّنت قلوبهم بطهارة الصَّفاء»(١).

وفي ذلك يقول أبو بكر الواسطي(٢) الناس على ثلاث طبقات:

«الطبقة الأولى من الله عليهم بأنوار الهداية فهم معصومون من الكفر والشرك والنفاق، والطبقة الثانية من الله عليهم بأنوار العِناية فهم معصومون عن الكبائر والصغائر، والطبقة الثالثة من الله عليهم بالكفاية فهم معصومون عن الخواطر الفاسدة وحركات أهل الغفلة»(٣).

ونَقل السلمي في الطبقات عند ترجمته لأبي بكر الدنيوري، عندما سئل عن علامة الصوفي تعريفًا له للصوفي بأنه الذي:

«يكون مشغولًا بكل ما هو أولى به من غيره، ويكون معصومًا عن المذمومات»(٤).

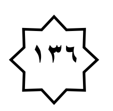
---

(١) حلية الأولياء (٩/٣٣٥).

(٢) هو: مُحَمَّد بن موسى، وأصله من فرغانة وكان يعرف بابن الفرغاني، من قدماء أصحاب الجنيد، وأبي الحسين النوري وهو من علماء مشايخ الصوفية لم يتكلم أحد في أصول التصوف مثل ما تكلم هو، انتقل إلى خراسان وسكن مرو، ذكر السلمي توفي بعد ال ٣٢٠ هـ، ينظر: (حلية الأولياء ١٠/٣٥٠)، وطبقات الصوفية (ص ٣٠٢).

(٣) حلية الاولياء (١٠/٣٥٠).

(٤) طبقات الصوفية (ص ٤٤٨).



مما سبق تبين أن القول بالعصمة تصريحًا كان متقدمًا، فكان أول نص في العصمة -فيما وقفت عليه-، كان لذي النون المتوفى سنة (٢٤٥ هـ) خلافًا لما يعتقده بعض الباحثين أنه بدأ متأخرًا، وعُبر عن العصمة بلفظ الحفظ.

وقد كان من الذين صرحوا بالعصمة للولي القشيري -صاحب الرسالة-، وأثبتها قائلًا: «واعلم أَن أجل الكرامات الَّتي تكون للأولياء: دوام التوفيق للطاعات، والعصمة عن المعاصي، والمخالفات»[١].

وأكدها في موضع آخر بقوله: «فالعصمة للأنبياء عليهم السلام، ثم للأولياء»[٢].

وقال في اللطائف: «ولا يكون وليًّا إلا إذا كان موفّقًا لجميع ما يلزمه من الطاعات، معصومًا بكل وجه عن جميع الزلات وكل خصلة حميدة يمكن أن يعتبر بها فيقال: هى صفة الأولياء. ويقال الولي من فيه هذه الخصلة»[٣].

يقول الهجويري في الكشف: «ويجوز أيضًا أن يمنح واحدًا الولاية بإقامته على طاعته، ويحفظه في حفظه وعصمته، ليقيم على طاعته، ويتجنب مخالفته، ويفر الشيطان من حُسنه»[٤].

فهنا الهجويري يجمع بين وصف الولي بالعصمة، والحفظ مؤكدًا ذلك.

وابن عربي صرح بها وجعلها شرطًا للولاية فيقول: «فإن من شرط الإمام الباطن أن يكون معصومًا، وليس الظاهر إن كان غيره يكون له مقام العصمة»[٥].

وعند شرح ابن عربي - زعمه - بأن التصوف هو؛ التخلق بأخلاق الله يصرح بالعصمة - زاعمًا-، بأن العلماء قد بينوا التخلق بأسماء الله الحسنى وبينوا مواضعها، وكيف تُنسب إلى الخلق ولا تحصى كثرة، وأن أحسن ما تُصرف فيه مع الله خاصة فمن يفطن وصرفها مع الله، أحاط علمًا بتصريفها مع الموجودات، فذلك هو المعصوم الذي لا يخطىء أبدًا، والمحفوظ من أن يتَحرك أو يَسكن سُدى»[٦]، وبمثل ذلك جاء التصريح التجاني[٧] في قوله:

---

(١) الرسالة القشيرية (٢/٥٢٦).

(٢) لطائف الإشارات (٢/٦٣٨).

(٣) المصدر السابق (٢/١٠٥).

(٤) كشف المحجوب (٢/٤٤٤).

(٥) الفتوحات المكية (٣/١٣٦).

(٦) ينظر: الفتوحات المكية (٢/٢٦٤).

(٧) هو: أحمد بن محمَّد بن المختار التجاني، أبو العباس شيخ الطائفة التجانية، كان فقيها مالكيًا،، ولبعض أصحابه كتب في سيرته منها: جواهر المعاني وبلوغ الأماني، لعلي حرازم، و النفحة القدسية في السيرة الأحمدية، والتجانية كفرقة لم تنتشر إلا بعد المئة والألف، إلا أن أصولها مستقاة من الصوفية القدماء كابن عربي وغيره، لهم انحرافات كبيرة في =

«ثم لتعلم أن من تجلى الله له بالسر المصون والغيب المكنون، عصم من المعاصي بكل وجه، وبكل اعتبار، فلا تتأتى منه المعصية التي هي مخالفة أمر الله تعالى صريحًا أو ضمنًا، وليس فيها إلى العصمة من مخالفة أمر الله تعالى-، ولذا ثبتت العصمة للنبيين وفي ضمنهم الأقطاب»[١].

ونَلحظ هنا الغلو الظاهر في وصف الولي بوصف فاق الأنبياء - عليهم السلام-، بالعصمة من المعاصي.

بل ترتب على هذا الغلو؛ بأن فَضَّل الحكيم الترمذي - في كتابه ختم الولاية-، الأولياء على الأنبياء[٢] فُشهِد عليه بالكفر؛ بسبب زعمه هذا الذي ذكره في كتابه ختم الولاَيَة.

وتبع الصوفية أحد أعلامهم وهو الشاذلي[٣]؛ عندما جعل العصمة من خواص القطب قائلًا: «إن من خواص القطب إمداد الله له بالرحمة والعصمة والخلافة والنيابة»[٤].

=

جانب العقيدة، ممن رد عليها؛ علي الدخيل الله في بحثه عن التجانية، توفي التجاني بفاس سنة ١٢٣٠هـ وقبره بفاس يتبرك به. ينظر: جواهر المعاني (٢٣/١) وما بعدها، شجرة النور الزكية (١/ ٥٤٢)، و الأعلام (٢٤٥/١)، والتجانية لعلي الدخيل الله (ص ٧-وما بعدها).

(١) جواهر المعاني، علي حرازم (٢٠٥/١).

(٢) العلاقة بين التشيع والتصوف (ص ٢٨٧).

(٣) هو: علي بن عبد الله المغربي الشاذلي شيخ الطريقة الشاذلية، وغالب الطرق المشهورة ترجع إلى طريقته، سكن " شاذلة " قرب تونس، فنسب إليها، كان ضريرًا ، سكن الإسكندرية، له كلام بالأخذ بالكتاب والسنة، وله الأوراد المسماة؛ حزب الشاذلي، توفي بصحراء عيذاب من صعيد مصر، قاصدًا الحج فدفن فيها سنة ٦٥٦ هـ وقبره هناك معروف متبرك به حتى الآن، وقد أفرد التّاج بن عطاء الله مؤلفا لترجمته وكلامه، ينظر: طبقات الأولياء (ص: ٤٥٩)، شذرات الذهب (٤٨١/٧)ومابعدها، شجرة النور الزكية (٢٦٨/١)، الأعلام (٣٠٥/٤)، وينظر: أبو الحسن الشاذلي حياته وتصوفه وتلاميذه وأولاده لمأمون غريب.

(٤) القصد للشاذلي، نقلًا عن الصلة بين التصوف والتشيع (ص: ٤١٧).

المبحث الثاني

مسلك القول بالعصمة وتسميتها حفظًا

سَلك المتصوفة -فيمن قال منهم بالعصمة- مسلكًا آخر وهو مسلك الحفظ، سواء كان ذلك في القديم أو الحديث عمدوا بذلك إلى إخفاء التصريح بالقول بالعصمة، والتعبير بلفظ آخر يخفون به تلك العقيدة وبالاستقراء للنصوص التي جاءت عنهم نجد أن التعبير بالحفظ قد كَثر على لسانهم مقارنة بلفظ التصريح.

وقد ذكر بعض الباحثين أن الصوفية لم يصرحوا بها ابتداء وهذا خلاف ما نُقل عن بعضهم عند الكلام عن المسلك الأول، وأن هناك من الصوفية من قال بها صراحة ابتداء.

وسواء قالوا – الصوفية – بهذا القول صراحة أم لا، فلا فرق في ذلك؛ لأن المعنى واحد والنتيجة لا تختلف.

ولما ننظر إلى التعريف اللغوي للعصمة، نجد أنها تدور حول معانٍ أربع هي: المنع والوقاية، والإمساك، والالتجاء، والحفظ.

فلا فرق إذن إن عبَّر المتصوفة بالعصمة صراحة بها أو عبروا بها بالحفظ.

يشير إلى ذلك شيخ الإسلام بقوله: «وإن كان طائفة تدعي أن الولي محفوظ، وهو نظير ما يثبت للأنبياء من العصمة»[١].

وهنا يبدوا سؤال مهم؛ وهو لماذا عبر من قال بالعصمة من المتصوفة بالحفظ دون القول بها صراحة؟.

التمس عدد من الباحثين السبب وربطوه بالعلاقة والصلة بينهم وبين الشيعة بالقول بهذه العقيدة الفاسدة، وتسترًا وتخفي حتى لا يعلم بها مخالفيهم.

يوضح ذلك الشيبي بأن: «غرضهم من ذلك إخفاء التوافق الواضح بينهم وبين التشيع، بعد أن جهدوا في ستر هذه الصلات ذلك الزمن الطويل»[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/٢٢٧).

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع (ص ٤١٤).

وكذلك «ترويجًا لمذاهبهم في أوساط أهل السنة والجماعة، لذلك لجأ كثير من علمائهم ومؤلفيهم إلى تسمية العصمة حفظًا»(١).

وقد أشار إلى هذا الرأي - وهو عدم التصريح، وأنه لا فرق بين التصريح من عدمه-، شيخ الإسلام في معرض حديثه عن الغالية في المشايخ، حيث يقول رحمه الله: «والغالية في المشايخ قد يقولون: إن الولي محفوظ، والنبي معصوم. وكثير منهم إن لم يقل ذلك بلسانه؛ فحاله حال من يرى أن الشيخ والولي لا يخطئ ولا يذنب»(٢).

وقال في موضع آخر:

«وكثير من الغلاة في المشايخ يعتقد أحدهم في شيخه نحو ذلك. ويقولون: الشيخ محفوظ، ويأمرون باتباع الشيخ في كل ما يفعل، لا يخالف في شيء أصلًا. وهذا من جنس غلو الرافضة والنصارى والإسماعيلية: تدعي في أئمتها أنهم كانوا معصومين.

وأصحاب ابن تومرت الذي ادعى أنه المهدي يقولون: إنه معصوم، ويقولون في خطبة الجمعة: الإمام المعصوم والمهدي المعلوم، ويقال: إنهم قتلوا بعض من أنكر أن يكون معصومًا»(٣).

وكونه لا فرق بين التعبير بالعصمة أو بالحفظ، أمر أقر به حتى المتأخرون الصوفية، يقول سعيد حوى -وهو صوفي معاصر- ما نصه: «فمتى ظهرت كرامة على يد شيخ اعتبروا ذلك علامة على العصمة، وإن أعطوا العصمة هنا اسم الحفظ، ثم بنوا على ذلك وجوب الالتزام بالشيخ، ووجوب استشارته في كل شيء، ووجوب الالتزام بكل ما قاله، ويأخذون عنه الفتوى والسلوك في كل أمر(٤).

---

(١) العلاقة بين التشيع والتصوف (ص ٣٠٥)، و قد أشار إلى هذا التستر والتخفي باستخدام هذا اللفظ؛ لطف الله خوجة، في الإنسان الكامل (ص ٣٧٢)، و مُحَمَّد لوح، في تقديس الأشخاص (ص ٢٢٢)، وإبراهيم هلال في مقدمة تحقيق كتاب قطر الولي للشوكاني (ص ٨٦).

(٢) الصوفية والفقراء، ضمن مجموع الفتاوى (١١/ ٦٧).

(٣) منهاج السنة النبوية (٦/١٨٩).

(٤) تربيتنا الروحية (ص ١٨٠).

وعندما ينظر إلى النصوص الواردة على لسان المتصوفة نجد كَثرة في التعبير بالحفظ، مقارنة بالتعبير صراحة بلفظ العصمة وهذا مما يَسند القول والرأي القائل بأنهم أرادوا بذلك الإخفاء والستر.

يقول مُحَّد الخضر الشنقيطي(١) بعد نقله لنصوص عدة في بيان حقيقة الولي:

«ولا يخفى أن هذا الكلام والذي قبله يدل على أن تخلل المعصية مناف للولاية، وهذا الذي يشير إليه كلام غير واحد من الفضلاء وليس في ذلك بالعصمة التي لم تثبت إلا للأنبياء – عليهم الصلاة والسلام–، بل قصارى ما فيه القول بالحفظ، وقد قيل الأولياء محفوظون. وفسر بعدم صدور الذنب مع إمكانه، والقيد لإخراج العصمة»(٢).

وحاول المتصوفة التفريق بين مصطلح العصمة والحفظ، جاهدين في عدم إسباغ وقوع المعصية للولي، فهذا الشعراني يسأل شيخه الخوَّاص(٣) عن الفرق بين العصمة والحفظ؟ ومتى يصح للعبد أن يستحق الحفظ من الوقوع فيما يليق؟، فكانت إجابة شيخه الخواص بأنه:

«متى صح للعبد سجود القلب لله – عز وجل – استحق العصمة إن كان نبيًا، والحفظ إن كان وليًا فقلت له كيف؟ فقال –رضي الله عنه– لأن المعاصي لاتعد إلا على من عنده بقية من الكبرياء، والفخر، والعظمة فيبتليه الله بالمعاصي، لينكس رأسه، ويرجع إلى مقام عبوديته من الذل والانكسار، وأما مَن مَنَّ الله تعالى، عليه بسجود قلبه بين يديه، فلم يبق عنده بقية كبر ولا فخر، ودام سجوده أبد الآبدين. وإنما خص العلماء لفظ العصمة بالأنبياء من أجل فعلهم المباح فأنهم لا يفعلونه إلا على جهة التشريع أنه مباح، فهو واجب عليهم فعله لوجوب التبليغ

---

(١) هو: مُحَّد الخضر بن عبد الله بن أحمد ابن ما ي أبي الجكني الشنقيطي، مفتي المالكية بالمدينة المنورة، ولد وتفقه في شنقيط، وهاجر إلى المدينة فتولى الإفتاء بها، له كتب، منها: استحالة المحبة بالذات في علم الكلام، و مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني، توفي سنة ١٣٥٣هـ–، ينظر: ا الأعلام (١١٣/٦).

(٢) مشتهى الخارف ، الجاني (ص ٤٦٦).

(٣) هو: على الخوّاص البرلسلي، أستاذ عبد الوهاب الشعراني الذي أكثر اعتماده في مؤلفاته على كلامه وطريقه، وكان يسمّى النسّابة لكونه أمّيًا لا يقرأ ولا يكتب، زعم الشعراني أن محل كشفه الوح المحفوظ وأنه له طبًا غريبًا يعالج به أهل الأمراض فيشفون وأنه له التصريف في ثلاث أرباع مصر توفي بالقاهرة سنة ٩٨٣ هـ، ينظر:الطبقات الكبرى للشعراني (٢٦٦/٢)، شذرات الذهب (٣٢٧/١٠–٣٢٨).

عليهم فلذلك لا يتصور منهم معصية قط، بخلاف غيرهم إذا فعلوا مباحًا لا يفعلونه إلا على أنه مباح، فهذا هو الفرق بين العصمة، والحفظ بالنظر للفظ لا للمعنى فافهم»[١].

وبعض المتصوفة -المعاصرون- وجَّه الحفظ لمعنى آخر غير صدور الذنب من الولي ! وأن المعنى يراد به؛ الحفظ من وساوس النفس وإلقائها فيما يرد على قلب الولي من الإلهام والتحديث والفراسة، [٢] وليس المقصود به الحفظ من المعصية[٣] إلى أنه قال في موضع آخر يخالف قوله ويبين أن لا فرق: «وإن كانت طائفة تدعي أن الولي محفوظ، وهو نظير ما يثبت للأنبياء من العصمة»[٤].

إلا أنه مما يرد به -كذلك- عليهم أن التعبير بالحفظ يظهر بارزًا في نصوص المتصوفة، ويظهر ذلك بارزًا في بيانهم لمعنى الولي وحديثهم عنه، وتفسيرهم لبعض النصوص الشرعية الواردة في حق الولي، وأنه لا فرق بين القول بالحفظ، أو التصريح بالعصمة بل إنهم قد يجمعوا بين العصمة والحفظ بنص واحد.

من ذلك ما عبر به الكلاباذي في حق الولي من أن: «الحق يتولَّى تصريفه فيصرفه في وظائفه، وموافقاته فيكون مَحْفُوظًا فيما لله عليه مأخوذًا عمَّا له وعن جميع المخالفات فلا يكون له إليها سبيل وهو العصمة، وذلك معنى قوله ﷺ كنت له سمعًا وبصرًا[٥].

ويظهر في نص الكلاباذي المنقول أنه عبر بالحفظ ابتداء، ثم اتبعه بالتصريح بالعصمة، مستشهدًا بنص شرعي فهمه على غير المراد.

وفي موضع آخر من التعرف يزعم أنَّ: «لطائف الله تعالى في عصمة أنبيائه، وحفظ أوليائه من الفتنة أكثر من أَن تقع تحت الإحصاء والعد»[٦].

---

(١) الجواهر والدرر على هامش كتاب الإبريز (ص ١٢٦-١٢٧).

(٢) تعريف الفراسة: في اللغة التثبت والنظر، وفي اصطلاح أهل التصوف: هي مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب.، ينظر: التعريفات (ص ٢١٢).

(٣) ينظر: التصوف بين الإفراط والتفريط، عمر كامل (ص ١٢٢).

(٤) المرجع السابق (ص ١٤٥).

(٥) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص ١٢٣).

(٦) المصدر السابق (ص ١٣٠).

والقشيري عبَّر في مواضع من كتبه بلفظ الحفظ، على أنه لا يعني ذلك أنه لم يقل بها تصريحًا -كما مر-[١] فيُعرف الولي بأنه: «الذي يتولى الحق سبحانه حفظه، وحراسته على الإدامة، والتوالي؛ فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان، وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة»[٢].

وفي موضع آخر يقول: «ويكون بمعنى كونه محفوظًا في عامة أحواله من المحن، وأشدّ المحن ارتكاب المعاصي فيعصمه الحقّ – سبحانه – على دوام أوقاته من الزّلّات، وكما أن النبيّ لا يكون إلا معصومًا فالوليّ لا يكون إلا محفوظًا»[٣].

ومرة يقول: «فإن قيل: فهل يكون الولي معصومًا؟ قيل: إما وجوبًا كما يقال في الأنبياء فلا، وإما أن يكون محفوظًا حتى لا يصر على الذنوب إن حصلت هنات، أو آفات، أو زلات فلا يمتنع ذلك في وصفهم»[٤].

وقد بوَّب في الحفظ بابًا – وذلك في رسالته – قال فيه: «باب حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم قال الله تعالى في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]»[٥].

ومثل ذلك فعل ابن الزيات في التشوف؛ حيث عقد بابًا أسماه: في حفظ قلوبهم وترك النكير عليهم، أورد فيه مثل ما أورد سلفه قصة موسى -عليه السلام-، مع الخضر[٦].

وتبعهما في ذلك الكمشخاوي في جامع الأصول، حيث عقد بابًا باسم: باب حفظ حرمة المشايخ والتعظيم لهم وترك المخالفة. أورد فيه – أيضًا – قصة موسى -عليه السلام-، مع الخضر[٧].

---

(١) عند الحديث عن المسلك الأول وهو التصريح بالقول بالعصمة من هذا الفصل، (ص: ١٤٩).

(٢) الرسالة القشيرية (٥٢٣/٢).

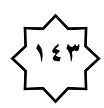
(٣) لطائف الإشارات (١٠٤/٢-١٠٥).

(٤) الرسالة القشيرية (٥٢٤/٢).

(٥) المصدر السابق (٥٠١/٢).

(٦) ينظر: التشوف إلى رجال التصوف (ص ٤٦).

(٧) ينظر: جامع الأصول في الأولياء (ص ٢١٦).



ويلحظ مما سبق ما للخضر من مكانة واعتقاد عند المتصوفة، حيث جعلوا قصته مع موسى -عليه السلام-، دليلًا يستدل به على معتقدهم بالعصمة.

ومن الذين عبروا -كذلك- بلفظ الحفظ؛ الهجويري حيث نص على أنه: «يجوز أيضًا أن يمنح واحدًا الولاية بإقامته على طاعته ، ويحفظه في حفظه، وعصمته ليقيم على طاعته، ويتجنب مخالفته، ويفر الشيطان من حُسنه»(١).

وقد أخل بفهم الآية - الكريمة - ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٦] عندما فسرها بقوله:

«أما ولي فجائز أن تكون فعيل بمعنى مفعول. كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ لأن الله تعالى لا يدع عبده لأفعاله، وأوصافه ويحفظه في كنف حفظه. وجائز أن تكون فعيل بمعنى المبالغة في الفاعل، لأن العبد يتولى طاعته ويداوم على رعاية حقوقه، ويعرض عن غيره، فهذا مُريد، وذاك مراد وجميع هذه المعاني جائزة من الحق إلى العبد»(٢).

وعند حديث ابن عجيبة عن النبوة والولاية نراه يعبر بالحفظ ومقررًا ذلك، حيث يقول: «إذا أراد الله أن يصافي عبده بخصوصية النبوة، أو الولاية، كلأه بعين الرعاية، وجذبه إليه بسابق العناية، فإذا امتحنه أيده بعصمته، وسابق حفظه ورعايته، ولا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية، فالشهوة في البشر أمر طبيعي، وبمجاهدتها ظهر شرفه، لكن النفس المطمئنة لا تحتاج في دفعها إلى كبير مجاهدة»(٣).

وهنا نجد ابن عجيبة «قد ساوى بين النبي والولي في الاصطفاء والعناية والحفظ، وعند الابتلاء تكون العصمة للولي كما أنها للنبي»(٤).

وقد زَعم الهجويري؛ العصمة للجنيد -رحمه الله- بعد أن إيراده قصة ينسب حدوثها للجنيد مع الشيطان، حيث يذكر أن الجنيد قال: «تمنيت وقتًا ما أن أرى إبليس -عليه اللعنة، وذات يوم كنت واقفًا بباب المسجد، فإذا بشيخ يقبل من بعيد متجهًا إلي، فلما رأيته

---

(١) كشف المحجوب (٢/٤٤٤).

(٢) المصدر السابق (٢/٤٤٣-٤٤٤).

(٣) البحر المديد (٢/٥٩٠).

(٤) الولاية عند غلاة الصوفية، عبدالحميد عرادة (ص ٤٥).

أحسست وحشة في قلبي، فلما اقترب مني قلت: من أنت أيها الشيخ، إذ لا طاقة لعيني برؤية وجهك من الوحشة، ولا طاقة لقلبي بالتفكير فيك من الهيبة قال: أنا الذي تتمنى مشاهدتي. قلت: يا ملعون ما منعك أن تسجد لآدم؟ قال: ياجنيد كيف تصور أني أسجد لغيره؟ قال الجنيد: فتحيرت في كلامه، فنوديت في سري أن قل له: كذبت، ولو كنت عبدًا لما خرجت عن أمره ونهيه. فسمع النداء من قلبي، فصاح وقال: أحرقتني بالله وغاب»[١].

قال الهجويري بعد إيراده لهذه القصة: «وفي هذه الحكاية دليل على حفظه وعصمته – أي الجنيد–، لأن الله – سبحانه وتعالى – يحفظ أولياءه في كل الأحوال من كيد الشيطان»[٢].

وهذه القصة إن ثبت حدوثها للجنيد، فلا تفيد ثبوت العصمة له، بل تفيد أنَّ من حَفظ الله وعَلم حدوده ونواهيه يوفقه الله للثبات أمام الفتن والشبهات.

وقد أورد –كذلك– الهجويري قصة ينسبها للبسطامي عبر فيها البسطامي عن العصمة بالحفظ —كذلك– حيث ذكر أن البسطامي قال: «قيل لي: بالبلد الفلاني ولي من أولياء الله – عز وجل–، فنهضت وقصدت زيارته، فلما بلغت مسجده خرج من الدار، وبصق على الأرض في المسجد، فرجعت من هناك ولم أسلم عليه، وقلت: يجب على الولي أن يحفظ الشريعة على نفسه، أو يحفظها الحق عليه، فلو كان هذا الرجل وليًا، لما بصق على أرض المسجد، حفظًا لحرمته، أو لحفظه الحق، لصحة كرامته، وفي تلك الليلة رأيت النبي –عليه السلام–، في النوم فقال لي: يا أبا يزيد: لقد حلت بك بركات ما فعلت. وفي اليوم التالي بلغت هذه الدرجة التي ترونها»[٣].

ومن أقدم النصوص التي جاءت عن المتصوفة وعُبر عن العصمة بالحفظ ما نقله القشيري عن أبي سعيد الخراز أنه قال:

«إذا أراد الله تعالى أن يوالي عبدًا من عبيده فتح عليه باب ذكره، فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه إلى مجلس الأنس به ثم أجلسه على كرسي التوحيد، ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية وكشف له عن الجلال والعظمة فإذا وقع بصره على الجلال

---

(١) كشف المحجوب (٣٤٢/١).

(٢) المصدر السابق (٣٤٢/١).

(٣) كشف المحجوب (٤٥٣/٢).

والعظمة بقى بلا هوى، فحينئذ صار العبد زمنًا فانيًا فوقع في حفظه سبحانه وبرئ من دعاوي نفسه»[١].

وروى القشيري قصة للشبلي[٢] أنه يومًا قال: «اعتقدت وقتًا أن لا آكل إلا من الحلال فكنت أدور في البراري فرأيت شجرة تين فمددت يدي إليها لآكل فنادتني الشجرة: احفظ عليك عقدك لا تأكل مني فإني ليهودي»[٣].

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام: «وإن كان طائفة تدعي أن الولي محفوظ وهو نظير ما يثبت للأنبياء من العصمة، والحكيم الترمذي قد أشار إلى هذا - فهذا باطل مخالف للسنة والإجماع»[٤].

وابن عربي -شيخ الصوفية الأكبر- يجعل هناك فرقًا بين العصمة والحفظ - ولا فرق-، فالأولى للنبي والثانية للولي، حيث يقول:

«إذا حصلت للإنسان حالًا مشاهدة عين فقد كمل، وكملت معرفته وعصمته، فلم يكن للشيطان عليه من سبيل وتسمى هذه العصمة في حق الولي حفظًا، كما تسمى في النبي والرسول عصمة»[٥].

ومرة ابن عربي يَجمع بين التعبير بالعصمة، والحفظ في آن واحد مما يعني أنه لا فرق بين المعنيين عنده، ففي تعريفه للتصوف أنه:

«التخلق بأخلاق الله هو التصوف»[٦].

---

(١) الرسالة القشيرية (٤١٩/٢).

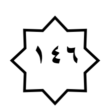
(٢) هو: دُلَف بْن جَعْفَر ويُقال دُلف بْن جَحدر، وقيل غير ذلك، وأكد السلمي أن اسمه جعفر بن يونس، الشهير بالشبلي، وهو خراساني الأصل بغدادي المنشأ والمولد، صحب الشبلي الجنيد وطبقته، وتفقه على مذهب مالك، وكتب الحديث عن طائفة، قال عنه الذهبي: «له ألفاظ وحكم وحال وتمكن، لكنه كان يحصل له جفاف دماغ وسكر، فيقول: أشياء يعتذر عنه، وله مجاهدات عجيبة انحرف منها مزاجه لا تكون قدوة» توفي في بغداد سنة ٣٣٤ هـ، ينظر: حلية الأولياء (٣٦٦/١٠)، طبقات الصوفية (٣٣٧)، تاريخ بغداد (٣٩١/١٤)، صفة الصفوة (٥٤٠-٥٤٢)، سير أعلام النبلاء (١٢٥/٣-٣٦٩)، (الطبقات الكبرى، للشعراني (١٨٨/١).

(٣) الرسالة القشيرية (٥٥٥/٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٢٧/٢).

(٥) الفتوحات المكية (٦٢٨/١).

(٦) المصدر السابق (٢٦٤/٢).



يشرح زعمه – هذا – بأن التصوف هو التخلق بأخلاق الله؛ بأن العلماء قد بينوا التخلق بأسماء الله الحسنى ماهو وبينوا مواضعها، وكيف تُنسب إلى الخلق ولا تحصى كثرة، وأن أحسن ما تُصرف فيه مع الله خاصة، فمن يفطن وصرفها مع الله، أحاط علمًا بتصريفها مع الموجودات، فذلك هو المعصوم الذي لا يخطىء أبدًا، والمحفوظ من أن يتَحرك أو يَسكن سُدى[1].

وابن الدباغ في المشارق جعل الحفظ شرطًا للولي حيث يقول: «ومن شرط هذا العارف الولي؛ أن يكون محفوظًا مما يخالف الشرع، كما أن شرط النبي؛ أن يكون معصومًا، فهذا وأمثاله بهم يرحم الله تعالى الخلق»[2].

و هو بشرطه هذا يوافق ابن عربي عندما قال: «فإن من شرط الإمام الباطن أن يكون معصومًا، وليس الظاهر إن كان غيره يكون له مقام العصمة»[3].

---

(١) ينظر: المصدر السابق (٢/٢٦٤).

(٢) مشارق أنوار القلوب (ص: ١٠٣).

(٣) الفتوحات المكية (٣/١٣٦).

المبحث الثالث

مسلك الإشارة بالقول بالعصمة

من المسالك التي سلكها -من قال بالعصمة-، من المتصوفة مسلك الإشارة بالعصمة دون تصريح، وهذا المسلك قد يخفى على المريد الصوفي، فضلًا عن غيره من مخالفي المتصوفة، وهذا المسلك من خلال الاستقراء والتتبع - فيما وقفت عليه - يقوم على ركائز وأسس أربع هي:

١- وجوب طاعة الأولياء، وترك الاعتراض عليهم.

٢- تأويل المعاصي الواقعة للأولياء.

٣- التخويف من مخالفة الأولياء، والاعتراض عليهم.

٤- وصف الأولياء بالكمال.

أولًا: وجوب طاعة الأولياء وترك الاعتراض عليهم:

ونأتي الآن على الكلام حول الركيزة الأولى التي قام عليها مسلك الإشارة بالقول بالعصمة ألا وهي: ما أسبغه المتصوفة على أوليائهم من وجوب طاعة الأولياء، وترك الاعتراض على كلامهم، حتى لو خالف الفطرة أو العقل فضلًا عن صحيح الكتاب والسنّة .

وقد جاء عنهم في تأكيد ذلك الاعتقاد؛ ما نقله الشعراني من قوله:

«الاعتقاد إن لم ينفع لا يضر والفقيه إذا لم يكن له إلمام بطريق القوم وملاحظهم واصطلاحهم ومؤاخذتهم فهو جاف»[١].

ويُلحظ من قول الشعراني -خلاف أمره بلزوم الاعتقاد بالشيخ عند المتصوفة-، تنبيهه إلى أن للمتصوفة وهم من عبر عنهم بالقوم - اصطلاحات تخصهم من لم يُلم بها فهو جاف وهذه الاصطلاحات ظاهرة -لا تخفى-، على من تتبع أقوالهم.

فعند كلام الطوسي عن شطحات[٢] الصوفية، نجده يؤكد بأنه: «ليس لأحد أن يبسط لسانه بالوقيعة في أوليائه ويقيس بفهمه ورأيه ما يسمع من ألفاظهم، وما يُشكل على فهمه من كلامهم، لأنهم في أوقاتهم متفاوتون».

---

(١) الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية (ص ٣٩).

(٢) عرف الطوسي الشطح بأنه: «عبارة مستغربة في وصف وَجد فاض بقوته، وهاج بشدة غليانه وغلبته» اللمع (ص ٤٥٣)، وعرفه الجرجاني بأنه: «عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى، تصدر من أهل المعرفة باضطرار واضطراب» التعريفات (ص ١٦٧).

إلى أن قال:

«فالسلامة له في رفع الإنكارعنهم، وأن يَكل أمورهم إلى الله تعالى، ويتهم نفسه بالغلط فيما ينسب إليه من الخطأ»[(١)].

جاء في جُنة المريد: «فعلى المريد الاعتصام بالشيخ، والاستمساك به تمسك الأعمى على شاطئ البحر بالقائد، بحيث يفوض أمره إليه بالكلية، فلا ينازعه في أمر، ولا يخالفه في ورد، ويعتقد أن نفعه في خطأ شيخه [إذ] لو أخطأ؛ أكثر من نفعه لنفسه لو أصاب»[(٢)].

ومن وصايا الشعراني للمريد: «أن يتأدب مع شيخه، ويعتقد فيه ما أمكن فإن ذلك نافعه إن شاء الله تعالى»[(٣)].

وقال بعض مشايخهم: «من لم يتأدب بأوامر الشيوخ وتأديبهم، لم يتأدب بكتاب ولا سنة»[(٤)].

فـ«من لم يكن له شيخ يقوده إلى طريق الهدى، قاده الشيطان لا محالة إلى طريق الردى»[(٥)] هكذا يقررون ويعلمون مريديهم.

«وأمر الطاعة وعدم الاعتراض هو أمر واجب عند كل الطوائف الصوفية فهي تحث على خدمة المريد لشيخه وعدم الاعتراض على الشيخ، وإن أخذ كل أموال مريده فلعله يمتحنه بذلك، فيسقط في هذا الامتحان وهو لا يدري»[(٦)] وهنا نَلحظ التخويف من مخالفة الشيخ، كما سيأتي قريبًا.

فالاعتراض كما يزعم صاحب جُنة المريد؛ سبب للانقراض[(٧)].

---

(١) اللمع (ص ٤٥٤).

(٢) جُنة المريد دون المريد (٢/ ٤٦٨).

(٣) الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية (ص ١٠٧).

(٤) جُنة المريد دون المريد (٢/ ٤٦٩).

(٥) المصدر السابق (٢/٤٦٨).

(٦) ينظر: النقشبندية، دمشقية (ص ٨١).

(٧) ينظر: جُنة المريد دون المريد، مُحَمَّد بن المختار الكنتي (٢/٤٧٣).

وقد أشار المستشرق ترمنجهام – عند كلامه عن السمات الرئيسة للفرق الصوفية – إلى أن هناك مبدأ أطلق عليه؛ المبدأ السلطوي وهو: «احترام وتقديس شيخ الطائفة وريث بركة الولاية والخضوع التام لسلطانه»[١].

وفي ضرورة صحبة الشيخ المربي قالوا:

إن المريد إذا «كان في حكم شيخ تحت كنف ولايته، حفظ الشيخ أحواله بقوة ولايته المستفادة من الحضرة النبوية»[٢].

فالسبب إذًا قوة الولاية المستفادة من الحضرة النبوية زعموا.

وجعل الصوفية هذه الطاعة العمياء والانقياد بين يدي الشيخ؛ من الآداب بين الشيخ والمريد حيث يكون المريد:

«مستسلمًا منقادًا راضيًا بتصرفات الشيخ يخدمه بالمال، والبدن لأن جوهر الإرادة والمحبة لا يتبين إلا بهذا الطريق»[٣].

ومنها: أن يسلب اختيار نفسه باختيار شيخه في جميع الأمور كلية، كانت أو جزئية، عبادة، أو عادة، ووصل الأمر بأن من علامة المريد الصادق أنه لو قال له شيخه: أدخل التنور دخل[٤].

«ومن أهم آداب الصحبة –كذلك– عندهم «أن تخلف حظوظك وراك ولا تكن همتك مصروفة إلا لامتثال أوامرهم فعند ذلك يشكر مسعاك»[٥].

«وعلى المريد أن لا يشير قط على شيخه برأي، بل يرد الأمر إلى شيخه اعتقادًا منه أنه أعلم منه بالأمور وغني عن استشارته»[٦].

ووضعوا لتلك الطاعة العمياء التي أوجبوها على المريد؛ أدلة من القرآن ينزلونها على مرادهم بفهمهم الخاطئ من ذلك قولهم «من الواجب على المريد اعتقاد أن كل تصريف أو أمر أشكل

---

(١) الفرق الصوفية في الإسلام (ص ١٦٥).

(٢) جُنة المريد دون المريد (٢/٤٦٧).

(٣) تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب للكردي (ص: ٥٨٠).

(٤) ينظر: المصدر السابق (ص ٥٨١).

(٥) عنوان التوفيق في آداب الطريق لابن عطاء الله السكندري (ص ٤).

(٦) ينظر: تنوير القلوب (ص ٥٨٢).

عليه، عند الشيخ منه بيان وبرهان، إذ تسليم المريد له تسليم لله ورسوله، قال تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]»[١].

وهي -أي الطاعة- «من جانب المريد: طاعة، وحب، وتفويض، وفناء في شخصية الشيخ المرشد[٢].

ويلاحظ من تلكم الآداب أنها تكرس لمفهوم الطاعة العمياء للولي، والشيخ على نحو يرفضه العقل قبل الشرع.

لأن التمسك - بزعمهم-، بأهل الله والخضوع لأوامرهم، وحبهم وخدمتهم بصدق وصفاء، يورث صاحبه رضا الله وفضله[٣].

وفي ذلك يقول أبو الغوث[٤] في رائيته الشهيرة:

وراقِب الشّيخَ في أحوَالِه فَعَسَى	يُرَى عَلَيكَ مِن استِحسَانِهِ أثَرًا
وقَدِّمِ الجِدَّ و انْهَضْ عِند خِدمَتِه	عَسَاه يَرْضَى و حَاذِر أن تَكُن ضَجِرًا
ففي رِضَاهُ رِضَا الْبَارِي وطاعَتُه	يَرضَى عَلَيكَ فَكُن مِن تَرْكِهَا حَذِرًا[٥]

ولابد كذلك من «سلب الإرادة للشيخ، ومحبته، والإتيان بما أمر به، والتخلي عما نهى عنه[٦].

(١) جُنة المريد دون المريد ٢/٤٧٣-٤٧٤).

(٢) التصوف الثورة الروحية في الإسلام (ص ٢٥٥).

(٣) شعر التصوف في المغرب (ص ١٣٣).

(٤) هو: شعيب بن حسين الأنصاري، المعروف بأبي مدين الغوث، الزاهد، أصله من الأندلس، شيخ أهل المغرب، جال، وساح، له تصانيف منها: أس التوحيد، مفاتيح الغيب، والقصيدة الرائية التي شرحها ابن عطاء الله بعنوان: عنوان التوفيق في آداب الطريق وقام بتخميسها ابن عربي، توفي بتلمسان سنة ٥٩٤ هـ، وزعم عبدالحليم محمود أنه من وفاته صار ولي تلمسان وحاميها، وقبره بها مشهور مزور. (سير أعلام النبلاء ٢١/٢١٩-٢٢٠)، شذرات الذهب (٦/٤٩٥-٤٩٦)، الأعلام (٣/١٦٦)، أبو مدين الغوث، عبدالحليم محمود (ص: ١٥٠).

(٥) أبو مدين الغوث حياته ومعراجه، عبدالحليم محمود (ص: ١٠٩).

(٦) المصدر السابق (١٣٤).

وأمر الطاعة المزعومة للولي ليس بجديد فقد أفرط ذو النون (ت ٢٤٥ هـ) في ذلك كثيرًا حيث زعم أن المريد «لايكون مريدًا إلا بعد أن يكون امتثاله لكلام شيخه أكثر من امتثاله لكلام الله تعالى»[١] تعالى الله وتنزه.

وعند كلام أبو حامد – في الإحياء–، عن حاجة المريد إلى شيخ وأستاذ يقتدي به أشار إلى ذلك قائلًا:

ف«معتصم المريد شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطىء النهر بالقائد، بحيث يفوض أمره إليه بالكلية ولا يخالفه في ورده، ولا صدره ولا يبقى في متابعته شيئًا، ولا يذر وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب، فإذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على مُعتصمه أن يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق»[٢].

ويؤكد أبو النجيب هذا الأمر –وذلك عند كلامه عن آدابهم في حال البداية–، حيث يقول: «فيسلم نفسه لخدمته –أي الشيخ–، ويعتقد ترك مخالفته»[٣].

وقال في موضع آخر: قال بعض المشايخ: من لم يتأدب بأوامر الشيوخ، وتأدبهم فلا يتأدب بكتاب، ولا سنة وقيل: علامة المريد السمع، والطاعة للدليل ، وترك التبصر عند الطبيب[٤] أي الشيخ.

وجاء عند السهروردي صاحب العوارف مانصه:

«وهكذا أدب المريد مع الشيخ أن يكون مسلوب الاختيار، لا يتصرف في نفسه وماله، إلا بمراجعة الشيخ وأمره»[٥].

---

(١) ذو النون تذكرة الأولياء، للعطار (ص ١٨٣).

(٢) إحياء علوم الدين (٧٦/٣) وينظر: آداب المريدين، أبو النجيب السهروردي (ص ١١١).

(٣) آداب المريدين (ص ٣١).

(٤) ينظر: المصدر السابق (ص ٤١).

(٥) عوارف المعارف (ص ٢٨١).

وتبعه في ذلك ابن سبعين مقررًا أهمية الشيخ (المرشد)، في سبيل تحقيق السعادة، ونيل رضوان الله، وتحصيل الكمال الإنساني والنعيم الدائم – في زعمه–، وأن هذا كله لا ينال إلا بالقصد الصحيح، والمرشد المعلم الناصح الخبير بالطريق، إذ الطرق كثيرة، ولكن القاصد منها القريب المسافة الآمن من الآفات، هو الذي يطلبه السعيد، فلابد من المرشد ضرورة، والدليل لابد للماشي خلفه من تبعيته، وتقليده وتسليم أموره كلها إليه، وترك كل شيء من أجله، والعزم والجد في المشي وراءه والتبعية، حتى يبلغ التابع إلى مقصوده(١).

ونص الكمشخانوي في جامعه على حفظ حرمة المشايخ، والتعظيم لهم، وترك المخالفة واستدل بقصة موسى –عليه السلام – مع الخضر(٢).

ويشير ابن عجيبة إلى بعض الآداب مع الشيخ ومنها:

خضوع وهيبة وصدق محبة ... وعند كمال فيه أنه جامع

فلا ترفعن صوتًا إذا كان حاضرًا ... ولا تضحكن فالضحك فيه فجائع

ولا تعترض أصلًا عليه فإنه ... بنور شهود للبصيرة تابع(٣)

ويعلق صاحب كتاب شعر التصوف في المغرب بـ«أن من أراد ولوج عالم التجربة الصوفية بخطى ثابتة لزمه الانتماء لشيخ عارف يرتوي من بحر علمه، ويلتمس منه الموعظة والنصيحة، إذ لا وصول إلى الله بعيدًا عنه»(٤).

وينقل الصوفي المعاصر؛ عبدالحليم محمود عن شيخه أحمد الدردير(٥) عددًا من الآداب التي تطلب من المريد في حق شيخه ومنها: عدم الاعتراض فيقول: «فالآداب التي تطلب من المريد

---

(١) ينظر: شرح رسالة العهد: (ص ١١٦).

(٢) ينظر: جامع الأصول في الأولياء، الكمشخاوي (ص ٢١٦).

(٣) الفهرسة (ص ١٠٣).

(٤) شعر التصوف في المغرب (ص ١٣٥).

(٥) هو: أحمد بن مُحَمَّد الخلوتي الأزهري، أبو البركات الشهير بالدردير، من فقهاء المالكية، حفظ القرآن مبكرًا و تعلم بالأزهر، كان شيخه في الطريقة الخلوتية الصوفية؛ شمس الدين الحنفي الأزهري، من تصانيفه: أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، و منح التقدير في شرح مختصر خليل والخريدة البهية، توفي بالقاهرة سنة ١٢٠١ هـ وقبره يزار ويتبرك به، ينظر: الأعلام (٢٤٤/١) هدية العارفين (١٨١/١) أبو البركات سيدي أحمد الدردير، عبدالحليم محمود (ص ٤٤) وما بعدها.

في حق شيخه أوجبها تعظيمه وتوقيره ظاهرًا وباطنًا وعدم الاعتراض عليه في أي شيء فعله، ولو كان ظاهره أنه الحرام، ويؤول ما انبهم عليه»[١].

واخترعوا بذلك ما يَصح أن يطلق عليه بالصمت الصوفي.

فالصمت «عند أهل الطريقة من لازمه ارتفع بنيانه وتم غراسه، وهو نوعان: صمت باللسان وصمت بالجنان وكلاهما لابد منه في الطريق، إلى أن قال: فالزم الصمت أيها السالك إلا إنْ سئلت فارجع إلى أصلك ووصلك وقل: لا علم عندي واستتر بالجهل تشرق لك أنوار العلم اللدني»[٢].

وقالوا: «واستعن بالله على ذلك بملازمة الصمت تشرق لك أنوار الفرح ويغمرك السرور»[٣].

وفي ذلك يقول أبو مدين الغوث في رائيته:

ولا زم الصـــمت إلا إن ســئلت فقـــل   لا علـم عنـدي وكـن بالجهـل مسـتترًا[٤]

ثانيًا: تأويل المعاصي الواقعة للأولياء:

ألزم المتصوفة - فيمن قال بالعصمة منهم - وذلك عندما تظهر من الشيخ أمور تخالف العقل، بفضلًا عن الشرع مريديهم بأن يتلقوا أحوال المشايخ بالإيمان، وحمل ما يظهر على الوجه الجميل والحسن، لأن فهم الأولياء ليس كفهم آحاد الناس وهناك أمور قد تخفى على المريد - بزعمهم-، ولذلك رتبوا على ذلك عدم الاعتراض، فيكون المريد عند الشيخ كالميت بين يدي مغسله كما صرحوا بذلك.

ونأتي الآن على نصوصهم والتي حَفلت بها كتبهم في تأكيدهم لهذا الأمر الفاسد ومنها:

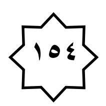
---

(١) أبو البركات سيدي أحمد الدردير (ص ١١٠).

(٢) عنوان التوفيق في آداب الطريق (ص ٤-٥).

(٣) المصدر السابق (ص ٤).

(٤) أبو مدين الغوث حياته ومعراجه (ص ١٠٧).



ماقرره الطوسي عند كلامه عن شطحات الصوفية بأنه: «ليس لأحد أن يبسط لسانه بالوقيعة في أوليائه، ويقيس بفهمه ورأيه ما يسمع من ألفاظهم، وما يُشكل على فهمه من كلامهم، لأنهم في أوقاتهم متفاوتون.

إلى أن قال:

«فالسلامة له في رفع الإنكارعنهم، وأن يَكل أمورهم إلى الله تعالى، ويتهم نفسه بالغلط فيما ينسب إليه من الخطأ»(١).

وكذلك ما ذكره القشيري في رسالته عند ذكره لما يجب على المريد من الآداب بقوله: «فمن صحب شيخًا فوقه في الرتبة فأدبه ترك الاعتراض، وحمل ما يبدو منه على وجه جميل وتلقى أحواله بالإيمان به»(٢).

وحتى لو كان ظاهر عمل الشيخ حرامًا. وفي ذلك يقول الكردي محذرًا المريد بأن: «لا يعترض عليه فيما فعله ولو كان ظاهرة حرامًا، ولا يقول لم فعلت كذا؟ لأن من قال لشيخه لم؟ لا يفلح أبدًا فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن، كما وقع للخضر مع موسى عليهما السلام»(٣).

ويُلحظ كيف كان الفهم الخاطىء للنص الشرعي سببًا في إلزام المريد بعدم الاعتراض على الشيخ؛ لأن الشيخ معصوم في نظرهم، علمًا أنه في سياق القصة يقول الله تعالى، في شأن الخضر ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ﴾ [الكهف: ٨٢].

وينقل الصوفي المعاصر؛ عبدالحليم محمود عن شيخه أحمد الدردير عددًا من الآداب التي تطلب من المريد في حق شيخه ومنها: تأويل ما انبهم على المريد فيقول: «فالآداب التي تطلب من المريد في حق شيخه أوجبها تعظيمه وتوقيره ظاهرًا وباطنًا، وعدم الاعتراض عليه في أي شيء فعله، ولو كان ظاهره أنه الحرام، ويؤول ما انبهم عليه»(٤).

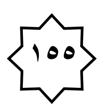
---

(١) اللمع (ص ٤٥٤).

(٢) الرسالة القشيرية (٢/٤٥٧).

(٣) تنوير القلوب (ص ٥٨٠).

(٤) أبو البركات سيدي أحمد الدردير (ص ١١٠).



والولي «بمنزلة المرآة التي تنجلي فيها الصورة الحسنة والصورة القبيحة، فمن ظهر له من ولي كمال ودلالة على الله فليحمد الله -تبارك وتعالى-، ومن ظهر له غير ذلك فليرجع على نفسه»[(١)].

ونُقل عنه كما في الإبريز قوله: «علامة المحبة الصافية سقوط الميزان من المريد على الشيخ حتى تكون أفعال الشيخ وأقواله وجميع أحواله كلها موفقة مسددة في نظر المريد، فما فهم له وجهًا فذاك، ومالم يفهم له سرًا وكله إلى الله تعالى، مع جزمه بأن الشيخ على صواب، ومتى جوَّز أن الشيخ على غير صواب فيما ظهر له خلاف الصواب فيه فقد سقط على أم رأسه ودخل في زمرة الكاذبين»[(٢)] وعند هذا التحذير، والتخويف في أن يدخل المريد في زمرة الكاذبين كيف يتبادر إلى ذهن المريد أمر مخالفة الشيخ، وظنه بالشيخ في أنه يفعل المعصية.

ومن أقوال التجاني: «ثم لتعلم أن من تجلى الله له بالسر المصون والغيب المكنون، عصم من المعاصي بكل وجه، وبكل اعتبار، فلا تتأتى منه المعصية التي هي مخالفة أمر الله تعالى صريحًا أو ضمنًا، وليس فيها إلى العصمة من مخالفة أمر الله تعالى-، ولذا ثبتت العصمة للنبيين وفي ضمنهم الأقطاب»[(٣)].

يقول الشعراني في أنواره القدسية، مبينًا أن فهم الأولياء خلاف فهم آحاد الناس، ومرتبًا على ذلك عدم الاعتراض عليهم: «وليس فهم الأنبياء عن الله تعالى كفهم الأولياء، ولا فهم الأولياء عنه كتفهم آحاد الناس؛ لأن تعظيم كل أحد على قدر معرفته به، ولا ينبغي لأحد أن يعترض على من جنح إلى أمر فيه تعظيم الله تعالى؛ فإن الاعتراض عليه قلة أدب مع الله تعالى، وكيف يرجع إلى كلام المعترض مَن قلبه مملوء بعظمة الله تعالى-، وقد أخذ بمجامع قلبه، وإن وافق المعترض في الظاهر لا يمكنه موافقته في الباطن فافهم»[(٤)].

وعندما سأل الشعراني شيخه الخوَّاص لمَ تَؤول العلماء ما يقع من أكابر الأولياء من الألفاظ كما تَؤولوه للأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟ فكان جواب الخوَّاص: «لو تم إنصاف

---

(١) الإبريز (ص ٣٣٠).

(٢) المصدر السابق (ص ٣١٤).

(٣) جواهر المعاني (١/٢٠٥).

(٤) الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية (ص ٣٧).

لكان الأولياء أحق بالتأويل لقصورهم عن مرتبة الشارع في الفصاحة والبيان، ولكن ما تم في كل عصر أقل من الإنصاف، وغاب عنهم أن الأولياء هم الأشراف على حضرات الوحي، فربما تهب على قلوبهم من تلك الحضرة نفحات تكشف لهم من حقائق الأمور، فيكون من الأدب قبول تلك النفحات بالإيمان كما قبلت من الأنبياء»(١).

وفي سؤال آخر للشعراني لشيخه الخوَّاص عن الخواطر القبيحة هل تقع للخواص كما هي تقع للعوام أم لا؟

كان الجواب:

«لا يقع للكُمَّل إلا الخواطر التي تناسب مقامهم فلا يشاركون العامة في الخواطر التي تطرقهم لا في المحاسن ولا في القبائح لارتفاع الكُمَّل عن مشهد العامة، والخواطر تابعة للشاهد»(٢) هذا الشأن في الخواطر وعدم حدوثها للولي فما الشأن في غيرها من الأقوال والأعمال.

وبمثل ذلك زعم الكردي بأن على المريد «أن لا يعترض عليه فيما فعله ولو كان ظاهرة حرامًا، ولا يقول لم فعلت كذا؟ لأن من قال لشيخه لم؟ لا يفلح أبدًا فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر، وهي محمودة في الباطن»(٣).

ويعلل تاج الدين السبكي للأمور التي قد تظهر من الشيخ ويكون ظاهرها الباطل بأن الشيخ:

«لايريد به ظاهر ما يفهمه المبتدىء منه؛ ولمن له معنى لا يناسب حال المبتدئ الكشف عنه، فإنه مما لا يقتدي بها، ولا توجب القدح في قائلها؛ بل نسلم إليه حاله، ونقيم عذره. هذا إذا فقدت أسباب التأويل لكلامه بالكلية، ولن نجد ذلك إن شاء الله تعالى في كلام أحد من المعتبرين، بل قد نزه الله تعالى، ألفاظهم عن الأباطيل، وما لهم كلمة إلا ولها محمل حسن» وبهذا التبرير كيف يتبادر للمريد خطأ الشيخ، ووجوب إنكار المنكر»(٤).

---

(١) الجواهر والدرر (ص ١١٠-١١١) على هامش كتاب الإبريز.

(٢) درر الغواص للشعراني (ص ٣) على هامش كتاب الإبريز.

(٣) تنوير القلوب (ص ٥٨٠).

(٤) معيد النعم ومبيد النقم (ص ١٢٤).

وفي موضع آخر يَستبعد السبكي وجود ألفاظ يُقدح بها في حال الشيخ، وأنه من الواجب التسليم لحاله، وأن الله تعالى، قد نزه ألفاظهم عن الأباطيل، ومالهم كلمة إلا ولها محمل حسن[١].

أما ابن عربي – كما نقل عنه صاحب الإبريز–، فقد جعل فهم هذه الصور المذمومة والتي قد تظهر من الولي شرطًا للمريد لأن الشيخ – بزعمه–، على شريعة من ربه وبينة منه، وفي هذا يقول: «ومن شرط المريد أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه وبينَه منه، ولا يَزن أحواله بميزانه، فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن والحقيقة فيجب التسليم، وكم من رجل كأس الخمر بيده، ورفعه إلى فيه، وقَلَبه الله في فيهِ عسلًا، والناظر يراه شرب خمرًا وهو ما شرب إلا عسلًا»[٢].

وجعل الكمشخانوي تأويل المريد للمعاصي التي قد تظهر للولي واتباع أمره أحد شروط الشيخ الخمسة الذي يلقي المريد إليه نفسه وهي:

«اتباع الأمر وإن ظهر له خلافه واجتناب النهي وإن كان فيه حتفه وحفظ حرمته حاضرًا، أو غائبًا حيًا، وميتًا والقيام بحقوقه حسب الإمكان بلا تقصير وعزل عقله وعمله وريَاسته إلا ما يوافق ذلك من شيخه»[٣].

ويصف الكمشخانوي حال المشايخ بأنه: «انفتق في قلوبهم أسرار العلوم ولاح لهم حقائق الحكم والفهوم فترى أحدهم في صورة العاصي، وهو يلهم بالحقائق وينطق بالحكم والدقائق، مما يعزو وجودها لأرباب الانقطاع والخلوات وأهل التجلي والمشاهدات»[٤].

وجعل ابن عجيبة الامتثال لأمر الشيخ وإن ظهر للمريد خلاف ذلك، واجتناب نهي الشيخ وإن كان فيه حتفه؛ أول الآداب الظاهرة التي تكون مع الشيخ[٥].

---

(١) ينظر: المصدر السابق (ص ١٢٤).

(٢) الإبريز (ص ٣٤٢).

(٣) جامع الأصول في الأولياء (ص ٢٧).

(٤) المصدر السابق (ص ٢٠٦).

(٥) ينظر: إيقاظ الهمم في شرح الحكم (ص ١٣٤).

جاء في آداب صحبة الشيخ كما في جُنة المريد أن على المريد: «أن يصحب الشيخ بالاحترام والتعظيم، ويتابعه على المنشط والمكره، ويتكشف له عما يعرض في حاله أو يخطر ضميره وباله، ولا يعترض عليه فيما يكون منه، ولا ينظر في الأفعال الصادرة عنه، ولا يتعدى له أمرًا، ولا يتأول له كلامًا، بل يقف على ظاهر كلامه، ولا يطلب علة الأمر الذي يأمره به بل يبادر إلى امتثاله ن عقل معناه أو لم يعقله»(١).

ولذلك فـ«كل تصاريف الشيخ محمولة على السداد والصواب، إذ لا تخلو عن نية صالحة فيها، فيجب عليه أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل، فلا يخطر عليه خاطر اعتراض، ولو عاينه قد خالف ظاهر الشرع اعتبارًا بقصة موسى والخضر»(٢).

ولذلك لاعجب من أن تمتلىء كتب الصوفية ككتب الطبقات وغيرها؛ ببعض الخرافات والمخالفات الشرعية والتي يسمونها كرامات، و المنسوبة لأوليائهم تخالف الفطرة فضلًا عن العقل، والشرع ومن تلكم القصص ما ذكره صاحب الإبريز منسوبًا لشيخه الدباغ:

كقوله: «إن الولي صاحب التصرف يمد يديه إلى جيب من شاء فيأخذ منه ما شاء من الدراهم، وذو الجيب لا يشعر قلت: لأن اليد التي يأخذ بها الولي باطنية لا ظاهرية»(٣).

ويجوّز شيخه الدباغ هذا المنكر ويُسَوغه بأن: «الفرق بين أخذ الولي صاحب التصرف متاع الناس وبين أخذ السارق واللص له الحجاب وعدمه، فالولي مشاهد لربه – عز وجل–، مأمور من قبله بالأخذ قال تعالى﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِيۚ﴾ [الكهف: ٨٢]»(٤) ونلاحظ ما لقصة موسى –عليه السلام – مع الخضر من مكانة ومنزلة لدى المتصوفة، حيث استدل بما خص الله به الخضر في حق الأولياء أداهم لذلك نقص علمهم الشرعي، ففهموا النص الشرعي فهمًا خاطئًا.

---

(١) جُنة المريد دون المريد (٢/٤٧٠).

(٢) المصدر السابق (٢/٤٧٥).

(٣) الإبريز، السجلماسي (ص ٢٩٥).

(٤) المصدر السابق (ص ٢٩٧).

ويزعم الشعراني في الطبقات أن شخصًا أنكر مولد أحمد البدوي[(١)] فسلب الإيمان فلم يكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام، فاستغاث بالبدوي فقال بشرط ألا تعود فقال: نعم فرد عليه ثواب إيمانه، ثم قال له وما ذا تنكر علينا قال: اختلاط الرجال والنساء فقال له البدوي: ذلك واقع في الطواف ولم يمنع منه أحد منه ثم قال: وعزة ربي ما عصى أحد في مولدي إلا وتاب وحسنت توبته، وإذ كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار وأحميهم من بعضهم بعضًا أفيعجزني الله - عز وجل-، عن حماية من يحضر مولدي[(٢)].

ولا يخفى ما في القصة المزعومة من مخالفات ومنها:

التسويغ لإقامة الموالد البدعية ومافيها من مخالفات حتى وإن سلمت من ذلك فيبقى أنها أمر محدث لم يكن بالقرون الفاضلة.

إلزام المريد بعدم المخالفة وإن خالف فحظه الخذلان وضياع الثواب.

الإيمان بما يسمونه كرامات، ومافيها من خرافات ومخالفات.

إجازة الاستغاثة بالميت.

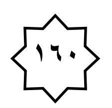
ومرة يروي صاحب الإبريز أنه سمع شيخه يقول: «إن غير الولي إذا انكشفت عورته نفرت منه الملائكة [الكرام] لأن الحياء يغلب عليهم، والمراد بالعورة العورة الحسية وهي ظاهرة، والعورة المعنوية التي تكون بذكر المجون وألفاظ السفه، أما الولي فإنها لا تنفر منه إذا وقع له ذلك، لأنه إنما يفعله لغرض صحيح فيترك ستر عورته لما أولى منه»[(٣)].

---

(١) هو: أحمد بن علي الحسيني، أبو العباس البدوي، ويقال له السطوحي، المتصوف، أصله من فاس بالمغرب، وبسبب كثرة تلثمه لقب بالبدوي،عظم شأنه في بلاد مصر فانتسب إلى طريقته جمهور كبير بينهم الملك الظاهر، ومن غرائب ما نقله الشعراني عن وصفه وأخباره: «أنه بحر لا يدرك له قرار، وأخباره ومجيئه بالأسرى من بلاد الإفرنج وإغاثة الناس من قطاع الطريق، وحيلولته بينهم وبين من استنجد به لا تحويها الدفاتر». لم يذكر له مترجموه تصنيفًا غير حزب و وصايا و صلوات، وقد أفرد بعضهم سيرته في كتب، منها: كتاب السيد البدوي، لمحمد فهمي عبد اللطيف، توفي سنة ٦٧٥ هـ ودفن في طنطا حيث تقام في كل عام سوق عظيمة يفد إليها الناس من جميع أنحاء القطر المصرى احتفاءًا بمولده، ينظر: طبقات الأولياء (ص ٤٢٢) الطبقات الكبرى، للشعراني (١/ ٣٢١-٣٣٩) الأعلام (١٧٥/١).

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى، للشعراني (٣٢٨/١).

(٣) الإبريز (ص ٣٣٢-٣٣٣).



والسبب في نظر الدباغ أن: «الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاص، وإنما روحه حجبت ذاته فظهرت في صورتها.فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية»(١).

و في موضع آخر يزعم بأن الله «إذا أراد الله شقاوة قوم، وعدم انتفاعهم بالولي، سخرهم الحق فيما هم فيه من قبح ومخالفة، فيظنون أنه على شاكلتهم، وليس كذلك حتى إنه يتصور طور الولاية، أن يقعد الولي مع قوم يشربون الخمر وهو يشرب معهم، فيظنون أنه شارب الخمر، وإنما تصورت روحه في صورة من الصور التي تظهر في المرآة»(٢).

ثالثًا: التخويف من مخالفة الأولياء والاعتراض عليهم:

دأب مشايخ الصوفية تخويف مريديهم من مخالفتهم حتى يربحوا الدنيا والآخرة، وأن ذلك علامة على المحبة في الله من ذلك القصة المنسوبة للدباغ أنه جاءه «بعض الصادقين إلى من يعتقد فيه الخير، فقال له إني أحبك في الله – عز وجل–، فقال له الشيخ وكان ذلك عند صلاة الصبح، فإن أردت أن تربح فلا ترجع إلى دارك أبدًا، واذهب إلى بلاد المشرق قال: فامتثل ولم يخالف فربح دنيا وأخرى»(٣).

وتأتي نصوصهم على أن علامة المحبة الصافية سقوط الميزان من المريد على الشيخ: «علامة المحبة الصافية سقوط الميزان من المريد على الشيخ حتى تكون أفعال الشيخ، وأقواله وجميع أحواله كلها موفقة مسددة في نظر المريد، فما فهم له وجهًا فذاك، ومالم يفهم له سرًا وكله إلى الله تعالى، مع جزمه بأن الشيخ على صواب، ومتى جوَّز أن الشيخ على غير صواب فيما ظهر له خلاف الصواب فيه فقد سقط على أم رأسه ودخل في زمرة الكاذبين»(٤).

(١) المصدر السابق (ص ٣٣٢).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٣١).

(٣) المصدر السابق (ص ٣٢١).

(٤) الإبريز (ص ٣١٤).

وجاء عند القشيري: «أن من خالف شيخه لم يبق على طريقته وانقطعت [العلاقة][١] بينهما وإن جمعتهما البقعة فمن صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة، ووجبت عليه التوبة على أن الشيوخ قالوا: حقوق الأستاذين لا توبة عنها»[٢].

ونُقل عن الدباغ قوله: «لا ينبغي أن ينظر إلى ظاهر الولي ويوزن عليه فيخسر الوازن دنيا وأخرى»[٣].

وعند كلام الشعراني عن آداب المريد في الأنوار القدسية، نجده يربط المحبة الصادقة بعدم المخالفة حتى ينجوا المريد من الهلاك حيث يقول: «من شأن المريد أن يصدق في محبة الشيخ لأنه دليله في السلوك به في الغيب، كدليل الحجاج في الليالي المظلمة، ومن لازم المحبة الطاعة، ومن لازم عدم المحبة المخالفة، ومن خالف دليله تاه وانقطع سيره وهلك»[٤].

والمنكر عندهم «ساقط من عين الله وهالك في الدنيا والآخرة، وأنه في لعنة الله ومحاربته»[٥].

جاء في الرماح عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢] يقول:

«هذا وصف أهل الإنكار الساقطين عن طريق الحق، يودون لو أنهم كانوا من المريدين، ولم يكونوا من المنكرين»[٦].

---

(١) في الرسالة: العلقة، وما أثبته يناسب السياق والمعنى.

(٢) الرسالة القشيرية (٥٠١/٢).

(٣) الإبريز (ص ٣٣٠).

(٤) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية (٥٢/١).

(٥) رماح حزب الرحيم (٥١/١) عمر الفوتي على هامش كتاب جواهر المعاني لعلي حرازم، ويذكر الفوتي في مقدمة الرماح؛ أن المقصود الأعظم في تأليفه للكتاب هو: «الذب عن أعراض أولياء الله، ومن انتسب إليهم ممن أراد الله إسعادهم، والرد على من ينكر عليهم ممن أراد الله شقاوتهم، وطردهم وإبعادهم، لأن الله قد أمرنا بذلك وأمرنا رسوله ﷺ». رماح حزب الرحيم (١٠/١).

(٦) رماح حزب الرحيم (١/ ٥٣).

لكن لو فرض أن اعترض المريد -على أحد الأولياء- فإنه بسبب «الجهل مع أنه يعاقب بالبلادة وسوء الفهم، وعدم زيادة العلم، ما بلغوا مرتبة المتعلم على الرد على الأولياء والعلماء إلا سوء الأدب الناشئ من الحسد والحرمان» كما زعم صاحب الرماح [١].

ويورد الشعراني قصة أخبرها به شيخه الشناوي لمنكِر وما جرى له بعد الإنكار تخويفًا للمنكرين من المخالفة وفي القصة:

«أن شخصًا أنكر مولد أحمد البدوي فسلب الإيمان فلم يكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام، فاستغاث بالبدوي فقال بشرط ألا تعود فقال: نعم فرد عليه ثواب إيمانه، ثم قال له: وما ذا تنكر علينا قال اختلاط الرجال والنساء فقال له البدوي:ذلك واقع في الطواف ولم يمنع منه أحد منه ثم قال: وعزة ربي ما عصى أحد في مولدي إلا وتاب وحسنت توبته وإذ كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار وأحميهم من بعضهم بعضًا، أفيعجزني الله – عز وجل – عن حماية من يحضر مولدي» [٢].

ومن قبائح الإنكار على الأولياء -كما يزعم- الفوتي [٣]: «أن المنكرين مقتفون آثار اليهود والمشركين والمنافقين، فلا شك أن الله يعاقبهم بمثل ما عوقب به اليهود والمشركين والمنافقين لا تصافهم بصفات المذكورين» [٤].

ينقل صاحب الإبريز عن شيخه الدباغ قوله:

«اعلم وفقك الله أن الولي المفتوح عليه يعرف الحق والصواب ولا يتقيد بمذهب من المذاهب. ولو تعطلت المذاهب بأسرها لقدر على إحياء الشريعة وكيف لا وهو الذي لا يغيب عنه النبي -ﷺ-، طرفة عين ! ولا يخرج عن مشاهدة الحق ﷻ في أحكامه التكليفية وغيرها،

---

(١) المصدر السابق (١/١٥).

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى، للشعراني (١/٣٢٨).

(٣) هو: عمر بن سعيد الفوتي السنغالي التجاني، أصله من فوتا بالسنغال، لزم الشيخ عبدالكريم الناقل الفوتي، وأخذ عنه الأوراد اللازمة للطريقة،، حاربه الفرنسيون مما ساهم في تثبيت دعوته، قال مُحَمَّد الحافظ: ما زال الشيخ مُحَمَّد الغالي يتعاهده حتى أمره بدعوة الخلق، ثم انتشرت دعوته، له كتاب رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، توفي سنة ١٢٨٢ هـ-، ينظر: الحاج عمر الفوتي، مُحَمَّد الحافظ التجاني (ص ٩-وما بعدها)، و مجلة الأزهر (م ٢٩ ج ١ ص: ١١).

(٤) رماح حزب الرحيم (١/٥٤).

وإذا كان كذلك فهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه لأنه أقرب إلى الحق من غير المفتوح عليه، وحينئذ فكيف يسوغ الإنكار على من هذه صفته، ويقال إنه خالف مذهب فلان في كذا، إذا سمعت هذا فمن أراد أن ينكر على الولي المفتوح عليه لا يخلو إما أن يكون جاهلًا بالشريعة كما هو الواقع غالبًا من أهل الإنكار، وهذا لا يليق به الإنكار والأعمى لا ينكر على البصير أبدًا ، فاشتغال هذا بزوال جهله أولى به»[(١)].

وفي منحى آخر يقرر المتصوفة بـ«أن على المريد الذي يلازم الشيخ للأخذ منه التسليم المطلق، وترك الاعتراض عليه في كل ما يقوله أو يفعله ولو كان مخالفًا للشرع، لأن له خواطر ترد قلبه بصفائه عن الأكدار، وخلوه عن الأغيار، فتتجلى عليه العلوم الإلهية فيقف على الأسرار، ويعمل بمقتضاها والتي ربما تكون في الظاهر حرامًا يقابل الإنكار كما حدث لموسى –عليه السلام–، مع الخضر وأصدق تعبير لهذه العلاقة هي صورة الميت بين يدي مغسله»[(٢)].

يُحدث الشعراني في الأنوار القدسية أن الاعتراض على الولي هو قلة أدب مع الله، في محاولة لتثبيت فكرة الطاعة وعدم الاعتراض فيقول: «وليس فهم الأنبياء عن الله تعالى كفهم الأولياء، ولا فهم الأولياء عنه كفهم آحاد الناس؛ لأن تعظيم كل أحد على قدر معرفته به، ولا ينبغي لأحد أن يعترض على من جنح إلى أمر فيه تعظيم الله تعالى؛ فإن الاعتراض عليه قلة أدب مع الله تعالى، وكيف يرجع إلى كلام المعترض مَن قلبه مملوء بعظمة الله تعالى–، وقد أخذ بمجامع قلبه ، وإن وافق المعترض في الظاهر لا يمكنه موافقته في الباطن فافهم»[(٣)].

وقد نُقل عن السبكي تاج الدين قولٌ له فيه تحذير بسوء خاتمة لمن أنكر على الأولياء، حيث يقول: «ما رأينا أحدًا مُبتلَى بالإنكار، إلا وكانت خاتمه سوء»[(٤)].

ووصل التخويف للمريد حتى لوكان إنكاره على سبيل التخيل لا الكلام وفي ذلك يقول صاحب جُنة المريد: «ومتى تأول على الشيخ في أمره أو راجعه، أو قال: تخيلت أنك أردت كذا، فليعلم أنه في إدبار، فليبك على نفسه فما أتى على كثير من المريدين إلا من التأويل»[(٥)].

---

(١) الإبريز (ص ٣٢٦).

(٢) سياحة في التصوف الحضرمي (ص ٨١).

(٣) الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية (ص ٣٧).

(٤) المصدر السابق (ص ٧٤).

(٥) جُنة المريد دون المريد (٢/٤٧٠).

ويأتي التصريح بأن: «الاعتراض سبب الانقراض؛ فقل أن يكون مريد يعترض على الشيخ بباطنه ويفلح»[1].

ونرى الجيلاني في الغنية يقول:

«فالواجب عليه – أي المريد – ترك مخالفة شيخه في صحبته في الظاهر، وترك الاعتراض عليه في الباطن، فصاحب العصيان بظاهره تارك لأدبه، وصاحب الاعتراض بسره متعرض لعطبه، بل يكون خصمًا على نفسه لشيخه أبدًا، يكف نفسه ويزجرها عن مخالفته ظاهرًا وباطنًا، ويكثر قراءة قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]»[2].

جاء عند القشيري –كذلك– تحذيرًا له للمريد ب: «أن لا يخالف شيخه في كل ما يشير عليه، لأن الخلاف للمريد في ابتداء أمره عظيم الضرر، لأن ابتداء حاله دليل على جميع عمره ومن شرطه أَن لا يكون له بقلبه اعتراض على شيخه»[3].

وأختم بنقل فيه من التخويف بأن من لم يكن له شيخ فإن الشيطان سيقوده لطريق الردى: «من لم يكن له شيخ يقوده إلى طريق الهدى، قاده الشيطان لا محالة إلى طريق الردى»[4].

وبأن الاعتراض على الشيخ ضامن لتشتيت المريد المعترض عن ربه وعن دينه، كما يزعم الدباغ![5].

---

(١) المصدر السابق (٤٧٣/٢).

(٢) الغنية للجيلاني (٢٧٩/٢)، مع التنبيه في أن هناك نصوصًا تم نقلها عند تحقيق مذهب الجيلاني في العصمة، وأن النصوص التي يفهم منها قوله بالعصمة؛ لا تنهض بما توافر من نصوص في نفيها وتعظيمه للسنة عند الكلام عن موقف المنتسبين للتصوف من أهل الحديث من العصمة، في المبحث الأول من الفصل الأول (ص ٨٤).

(٣) الرسالة القشيرية (٥٧٤/٢).

(٤) جُنة المريد دون المريد (٢/ ٤٦٨).

(٥) الإبريز (ص ٣١٤).

رابعًا: وصف الأولياء بالكمال:

من الركائز التي قام عليها مسلك الإشارة للقول بالعصمة؛ مرتكز وصف الولي بوصف الكمال، والكمال ضد النقص، وعلى هذا فلا يتصور من الولي أن يقع بخطيئة أو ذنب، حتى ينكر عليه، وحتى الإنكار على الشيخ غير ممكن كما مر، نظرًا للسياج الذي وضعه مدعي الولاية على المريد من التخويف من سوء العاقبة دنيا وأخرى.

أقول: لقد أسبغ المتصوفة على أوليائهم وصف الكمال، أو بما اصطلحوا على تسميته (بالإنسان الكامل) ترتب على هذا الوصف أن لا يتصور المريد بشيخه النقص ومن ثَم الوقوع بالخطأ.

جاء في الإبريز: «ومن يعترض على الشيخ أو على غيره من أهل الطريقة وهو جاهل، فإنه يرى الكمال نقصانًا، ويقلب الأمور وهو لا يدري»[١].

ومصطلح الإنسان الكامل - هذا - لم يرد لا في كتاب ولا سنة بل هو لفظ حادث، أحدثه المتصوفة وتتابعوا عليه.

ويعتبر ابن عربي أول من استعمل هذا التعبير في تاريخ الإسلام.

يذكر الهجويري بالإنسان الكامل عند المتصوفة هو: «اسم يطلقونه على كاملي الولاية ومحققي الأولياء»[٢].

وعندما سأل الشعراني شيخه الخوَّاص عن الخواطر القبيحة هل تقع للخواص كما هي واقعة للعوام أم لا؟ كان الجواب:

«لا يقع للكمل إلا الخواطر التي تناسب مقامهم، فلا يشاركون العامة في الخواطر التي تطرقهم لا في المحاسن ولا في القبائح لارتفاع الكُمَّل عن مشهد العامة، والخواطر تابعة للشاهد»[٣].

هذا الشأن في الخواطر وعدم حدوثها للولي فما الشأن في غيرها من الأقوال والأعمال.

---

(١) الإبريز (ص ٣٤١).

(٢) كشف المحجوب (١/٢٣٠).

(٣) درر الغواص للشعراني (ص ٣) على هامش كتاب الإبريز.

ونجد ابن عجيبة يجعل اعتقاد كمال الشيخ أول الآداب الباطنية للمريد مع شيخه حيث يقول:

«وأما الآداب الباطنية فأولها: اعتقاد كماله، وأنه أهل للشيخوخة والتربية لجمعه بين شريعة وحقيقة، وبين جذب وسلوك، وأنه على قدم النبي ﷺ»[١] وكون هذا الأدب باطني قلبي تكمن الخطورة فيه عن كونه أمر باللسان.

و قد جعلوا الشيخ الكامل من جملة ما يبتغى به الوسيلة إلى الله تعالى[٢].

خلافًا للتفسير الصحيح للوسيلة التي جاء ذكرها في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥] بأن الوسيلة هي: طلب القربة إلى الله بالعمل بما يرضيه[٣] كما جاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما–، وغيره[٤].

وواقع المريدين – المشاهد – مع مشايخهم لا يتصور أنه قربة، فضلًا عن أنه يرضي الله تعالى.

جاء في وصف الولي الكامل كما في الإبريز: «إن الولي الكامل غائب في مشاهدة الحق – سبحانه وتعالى–، لا يحجب عنه طرفة عين، وظاهره مع الخلق»[٥] وكلام الدباغ –هنا– يراد به وحدة الشهود[٦] في الغالب.

وكما أن الولي الكامل لا بد أن يكون غائب في مشاهدة الحق – كما زعم صاحب الرماح–، فلا بد للمريد –كذلك– أن:

«يغيب في كمال الشيخ، لأن الشيخ رؤوف رحيم بالمريد»[٧].

---

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكم (ص ١٣٥).

(٢) ينظر: جواهر المعاني (١/١٦٦).

(٣) تفسير الطبري (٨/٤٠٣).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/٩٤).

(٥) الإبريز (ص ٣٣١).

(٦) ويراد بالشهود عند الصوفية: «رؤية الحق بالحق» التعريفات (ص ١٧٠).

(٧) رماح حزب الرحيم (١/٢٥).

والولي الكامل «يتلون على قلوب القاصدين، ونياتهم فمن صفت نيته، رآه في عين الكمال، وظهر له منه الخوارق وما يسره، ومن خبثت نيته كان على الضد من ذلك»[(١)].

جاء في جواهر المعاني في بيان المراد بقوله تعالى: «﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] إنه «لم تطق حمل هذه الأمانة السموات والأرض فأشفقن منها، وحملها الإنسان وهو الإنسان الكامل الذي يحفظ الله به نظام الوجود، وبه يرحم جميع الوجود، وبه صلاح جميع الوجود، وهو حياة جميع الوجود، وبه قيام جميع الوجود»[(٢)].

وهذا التفسير للآية لا شك في بطلانه يخالف ختم الآية - الكريمة-، بأن الإنسان ظلومٌ جهول، أي: «﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لكونه تاركًا لأداء الأمانة ﴿جَهُولًا﴾ لإخطائه»[(٣)].

فإذا كان الولي الكامل بهذا الوصف، فكيف يُتصور منه معصية، وكيف يتبادر إلى ذهن المريد ورود الخطأ والمخالفة منه.

ويحاول الفوتي في الرماح التفريق بين عصمة الأنبياء - عليهم السلام-، وعصمة الأولياء الكُمَّل المزعومة في محاولة للابتعاد عن الوقوع في المحضور ومشابهتهم في الأنبياء! فيقول:

«فعصمة الأنبياء ذاتية وعصمة الأولياء عرضية، فإن العارف الكامل إذا وقعت منه مخالفة فهي صورية غير حقيقية قصد بها امتحان من شاهدها واختباره»[(٤)].

بل يصل وصف الولي الكامل بأنه محل نظر الله كما جاء في جواهر المعاني: «والكعبة الشريفة هذا محل نظره من الأرض كما أن الإنسان الكامل هو محل نظر الله تعالى، من العالم في وقته، كما أنه -ﷺ- محل نظر الله تعالى من جميع الوجود من الأزل إلى الأبد»[(٥)].

والشيخ -بزعمهم- «وهو الولي الكامل في قومه كالنبي في أمته، ومبايعته كمبايعة النبي ﷺ لكونه نائبًا عن النبي ﷺ»[(٦)].

---

(١) الإبريز (ص ٣٣٠).
(٢) جواهر المعاني (١/ ١٧٦).
(٣) تفسير النسفي (٣/٤٩).
(٤) رماح حزب الرحيم (١/٣٦).
(٥) جواهر المعاني (٢/٢٤٩).
(٦) رماح حزب الرحيم (١/١٢٦).

أما إذا تصدر المريد للمشيخة بغير إذن الشيخ الكامل؛ فهذا أمر من خطورته يصل إلى الكفر والعياذ بالله.

يقول الفوتي ما نصه: «والمصدر للشيخوخة بغير إذن شيخ كامل خطر جدًا؛ لأنه يكون سببًا لسوء الخاتمة، وإن لم يتب فاعله فلا يموت إلا كافر»(١).

لكن الشيخ الكامل -في الحقيقة- ماذا يطلب من المريد؟

فالجواب بأن الشيخ: «لا يطلب من مريده خدمة ظاهرية، ولا دنيا ينفقها عليه، و لا شيئًا من الأعمال البدنية، وإنما يطلب منه هذا الحرف لا غير، وهو أن يعتقد في الشيخ الكمال، والتوفيق، والمعرفة، والبصيرة، والقرب من الله – عز وجل – ويدوم هذا الاعتقاد اليوم على أخيه، والشهر على أخيه، والسنة على أختها، فإن وجد هذا الاعتقاد انتفع المريد به ثم بكل ما يخدم به الشيخ بعد ذلك، وإن لم يوجد هذا الاعتقاد أو وجد ولم يدم فإن عرضت فيه الوساوس فالمريد على غير شيء»(٢).

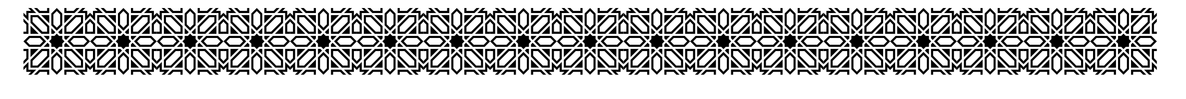
ونلحَظ ارتباط عدم الاعتراض على الشيخ باعتقاد الكمال فيه؛ وذلك في قول صاحب الإبريز: «ومن يعترض على الشيخ أو على غيره من أهل الطريقة وهو جاهل، فهو يرى الكمال نقصانًا ويقلب الأمور وهو لا يدري»(٣).

---

(١) المصدر السابق (١/ ١١٠).

(٢) الابريز (ص ٣١٤).

(٣) الإبريز (ص: ٣٤١).



الفصل الرابع

الرد على عقيدة عصمة الأولياء عند الصوفية، وبيان أثرها



المبحث الأول: الرد على الصوفية في قولهم بعصمة الأولياء من خلال أقوال أهل السنة والجماعة.

المبحث الثاني: الرد على الصوفية في قولهم بعصمة الأولياء من خلال أقوال أئمتهم.

المبحث الثالث: أثر القول بالعصمة.

المبحث الأول

الرد على الصوفية في قولهم بعصمة الأولياء من خلال أقوال أهل السنة والجماعة

مما يجدر بيانه قبل البدء في الرد على العصمة، وما ترتب على ذلك من آثار، لازالت باقية يتوارثها المتصوفة حتى يومنا هذا - تتلقفها طرق تنسب لمشايخ لهم، وأوراد تردد على ألسنتهم، وبكتب صارت مرجعًا لهم - بيان أن الأمة قد:

«اتفقت على أنَّ الرسل معصومون في تحمّل الرسالة، فلا ينسون شيئًا مما أوحاه الله إليهم إلاّ شيئًا قد نُسخ، وقد تكفل الله لرسوله ﷺ بأن يقرئه فلا ينسى شيئًا مما أوحاه إليه، إلا شيئًا أراد الله أن ينسيه إياه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعلى: ٦-٧]، وتكفل له بأن يجمعه في صدره: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٧].

وهم معصومون في التبليغ، فالرسل لا يكتمون شيئًا ممّا أوحاه الله إليهم، ذلك أن الكتمان خيانة، والرسل يستحيل أن يكونوا كذلك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧] ولو حدث شيء من الكتمان أو التغيير لما أوحاه الله، فإن عقاب الله يحلّ بذلك الكاتم المغيّر ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦]»[١].

ويبين إحسان إلهي ظهير أن «العصمة في تبليغ رسالات الله ضرورية للأنبياء والرسل كي لا يقع الخطأ والغلط في أداء أوامر الله ونواهيه، وأحكام الله وإرشاداته، فيدعمون ويسددون بالوحي ونزول الملائكة عليهم، فما ينطقون عن الهوى، ويجب اتباعهم في كل ما يقولونه

---

(١) الرسل والرسالات (ص ٩٧-٩٨).

ويأمرون به، لسلامتهم من الخطأ، والزلل بخلاف غيرهم، فإنه يمكن عليهم الخطأ، والنسيان والزلل، والغلط فلا يؤمن جانبهم من هذه الأمور كلها»(١).

وممن نقل هذا الإجماع على عصمة الأنبياء فيما يبلغونه؛ شيخ الإسلام حيث يقول:

«قد اتفق المسلمون على أنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله فلا يجوز أن يقرهم على الخطأ في شيء مما يبلغونه عنه وبهذا يحصل المقصود من البعثة، وأما وجوب كونه قبل أن يبعث نبيا لا يخطئ، أو لا يذنب فليس في النبوة ما يستلزم هذا»(٢).

ولذلك فإن غير الأنبياء ومنهم الأولياء: «يجوز عليهم الذَّنب الخطأ من غير توبة والأنبياء -عليهم السَّلام- يستدركهم الله فيتوب عليهم ويبين لهم كما قال تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الحج ٥٢ - ٥٣](٣).

وأمر العصمة في تبليغ الرسالة أمر مجمع عليه عند أئمة الطوائف وجميع سلف المسلمين، وأن غير الأنبياء لا يوصفون لا بالعصمة ولا بالحفظ، وأن عليهم التوبة والاستغفار بعد الوقوع بالذنب.

يقول شيخ الإسلام: «فقد أجمع جميع سلف المسلمين وأئمة الدين من جميع الطوائف أنه ليس بعد رسول الله ﷺ أحد معصوم، ولا محفوظ لا من الذنوب، ولا من الخطايا بل من الناس من إذا أذنب استغفر وتاب وإذا أخطأ تبين له الحق فرجع إليه، وليس هذا واجبا لأحد بعد رسول الله ﷺ، بل يجوز أن يموت أفضل الناس بعد الأنبياء وله ذنب يغفره الله، وقد خفى عليه من دقيق العلم ما لم يعرفه، ولهذا اتفقوا على أنه ما من الناس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ»(٤).

---

(١) التصوف المنشأ والمصادر (ص ٢٠١).

(٢) منهاج السنة (٢/٣٩٦-٣٩٧).

(٣) جامع الرسائل لابن تيمية (١/٢٦٩).

(٤) المصدر السابق (١/٢٦٦).

ولما كانوا معصومون لا يجوز أن يستقر فيما يبلغونه خطأ، أوجب الله الإيمان بهم ومن كفر بواحد منهم فهو كافر[(١)].

يقول الإمام الشاطبي: «اعلم أن النبي -ﷺ- مؤيد بالعصمة معضود بالمعجزة الدالة على صدق ما قال وصحة ما بين، وأنت ترى الاجتهاد الصادر منه معصومًا بلا خلاف؛ إما بأنه لا يخطئ البتة، وإما بأنه لا يقر على خطأ إن فرض؛ فما ظنك بغير ذلك؟ فكل ما حكم به أو أخبر عنه من جهة رؤيا نوم أو رؤية كشف مثل ما حكم به مما ألقى إليه الملك عن الله – عز وجل–، وأما أمته؛ فكل واحد منهم غير معصوم، بل يجوز عليه الغلط والخطأ والنسيان، ويجوز أن تكون رؤياه حلمًا، وكشفه غير حقيقي وإن تبين في الوجود صدقه، واعتيد ذلك فيه واطرد؛ فإمكان الخطأ والوهم باق وما كان هذا شأنه لم يصح أن يقطع به حكم»[(٢)].

وهذا ما أكده شيخ الإسلام من أن: «سالكي طريق الإرادة والعبادة والفقر والتصوف، من يجعل شيخه كذلك بل قد يجعله كالمعصوم ولا يتلقى سلوكه إلا عنه ولا يتلقى عن الرسول سلوكه، مع أن تلقي السلوك عن الرسول أسهل من تلقي الفروع المتنازع فيها؛ فإن السلوك هو بالطريق التي أمر الله بها ورسوله من الاعتقادات والعبادات والأخلاق، وهذا كله مبين في الكتاب والسنة؛ فإن هذا بمنزلة الغذاء الذي لا بد للمؤمن منه»[(٣)].

لكن السبب في مخالفة المتصوفة هو الإعراض عن طلب العلم النبوي فاحتاجوا إلى تقليد الشيوخ، يقول شيخ الإسلام:

«ولكن كثيرًا من أهل العبادة والزهادة أعرض عن طلب العلم النبوي الذي يعرف به طريق الله ورسوله فاحتاج لذلك إلى تقليد شيخ، وفي السلوك مسائل تنازع فيها الشيوخ، لكن يوجد في الكتاب والسنة من النصوص الدالة على الصواب في ذلك ما يفهمه غالب السالكين، فمسائل السلوك من جنس مسائل العقائد كلها منصوصة في الكتاب والسنة وإنما اختلف أهل الكلام لما أعرضوا عن الكتاب والسنة، فلما دخلوا في البدع وقع الاختلاف وهكذا طريق

---

(١) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٨٤/٢).

(٢) الموافقات (٤٧٠/٤).

(٣) قاعدة في تصويب المجتهدين وتخطئتهم وتأثيمهم، ضمن مجموع الفتاوى (٢٧٢/١٩-٢٧٣).

العبادة عامة ما يقع فيه من الاختلاف إنما هو بسبب الإعراض عن الطريق المشروع فيقعون في البدع فيقع فيهم الخلاف»[(١)].

ونأتي على أبرز الردود التي يمكن فيها إبطال عقيدة العصمة، ويأتي على رأسها:

١- إن القول بعصمة الأولياء قول باطل مخالف عقلًا وطبعًا.

يقول شيخ الإسلام: «والقاعدة الكلية في هذا أن لا نعتقد أن أحدًا معصوم بعد النبي ﷺ، بل الخلفاء وغير الخلفاء يجوز عليهم الخطأ، والذنوب التي تقع منهم، قد يتوبون منها وقد تكفر عنهم بحسناتهم الكثيرة، وقد يبتلون أيضًا بمصائب يكفر الله عنهم بها، وقد يكفر عنهم بغير ذلك»[(٢)].

والقول «بأن الشيخ الصوفي معصوم أو أن بعضهم كان لا يخطيء هو قول باطل قطعًا؛ لأن هذا مخالف لطبيعة البشر فمهما حرص الإنسان على طلب الصواب والالتزام بالشرع فلا بد أن يخطئ في ذلك الأمر أو في أمور أخرى، وأما بالنسبة للصوفية فهم من أكثر الناس خطأً وانحرافًا ومن أبعدهم عن الصواب، لأن من يختار التصوف ويلتزم به يكون قد وقع في انحرافات وأخطاء لا تعد ولا تحصى، ويكون قد هدم الشرع والعقل والعلم»[(٣)].

يقول أحمد أمين - وذلك عند كلامه عن عصمة الأئمة عند الشيعة: «وفكرة العصمة بعيدة عن الإسلام وتعاليمه، كما انها بعيدة عن الطبائع البشرية التي ركبت فيها الشهوات، وركب فيها الخير والشر، ومزجت فيها الميول المتعاكسة، وفضيلة الإنسان الراقي ليس في أنه معصوم، بل في أنه قادر على الخير والشر، وينجذب إليهما، وهو في أكثر الأحيان ينجذب إلى الخير، ويدفع الشر. أما الطبيعة المعصومة فطبيعة الملائكة الذين﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]»[(٤)].

---

(١) المصدر السابق (١٩/٢٧٣-٢٧٤).

(٢) منهاج السنة (٦/١٩٦-١٩٧).

(٣) نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف (ص ٦٠١).

(٤) ضحى الإسلام (٣/٢٢٩-٣٣٠).

وقد استنكر شارح الطحاوية قول بعض الناس بأن المتصوفة بأنه لابد وأن يسلم للمشايخ حالهم؛ بأن هذا كلام باطل وأن الواجب عرض أفعالهم وأحوالهم على الشريعة المحمدية، فما وافقها قبل وما خالفها رد.

إلى أن قال:

«فلا طريقة إلا طريقة الرسول ﷺ، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا عقيدة إلا عقيدته، ولا يصل أحد من الخلق بعده إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته إلا بمتابعته باطنا وظاهرا.

ومن لم يكن له مصدقًا فيما أخبر، ملتزمًا لطاعته فيما أمر، في الأمور الباطنة التي في القلوب، والأعمال الظاهرة التي على الأبدان؛ لم يكن مؤمنًا، فضلا عن أن يكون وليًا لله تعالى، ولو طار في الهواء، ومشى على الماء، وأنفق من الغيب، وأخرج الذهب من الجيب، ولو حصل له من الخوارق ماذا عسى أن يحصل فإنه لا يكون، مع تركه الفعل المأمور وعزل المحظور إلا من أهل الأحوال الشيطانية، المبعدة لصاحبها عن الله تعالى، المقربة إلى سخطه وعذابه. لكن من ليس يكلف من الأطفال والمجانين، قد رفع عنهم القلم، فلا يعاقبون، وليس لهم من الإيمان بالله والإقرار باطنا وظاهرا ما يكونون به من أولياء الله المقربين، وحزبه المفلحين، وجنده الغالبين. لكن يدخلون في الإسلام تبعا لآبائهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾ [الطور: ٢١]»[١].

٢- إنه ليس من شرط ولي الله أن يوصف بالعصمة.

إن الدعوى بأن الولي لابد من أن يوصف بالعصمة حتى تكتمل ولايته قول باطل فـ«ليس من شرط ولي الله أن يكون معصومًا لا يغلط ولا يخطئ؛ بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به ومما نهى الله عنه»[٢].

---

(١) ينظر: شرح الطحاوية (٢/٧٦٧-٧٦٨).

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ٦٢-٦٣).

يقول ابن الجوزي: «وقد يكون الرجل من الأولياء وأهل الجنة وله غَلَطات فلا تمنع منزلته بيان لله، واعلم أن من نظر إلى تعظيم شخص ولم ينظر بالدليل إلى ما صدر عنه، كان كمن ينظر إلى ما جرى على يد المسيح صلوات الله عليه من الأمور الخارقة، ولم ينظر إليه فادعى فيه الإلهية ولو نظر إليه وأنه لا يقوم إلا بالطعام لم يعطه إلا ما يستحقه»(١).

ويشير الإمام الشاطبي إلى بطلان هذا الزعم في سياق كلامه عن الصوفية المتأخرين، وأنهم مجانبون للصوفية الأوائل في أحوالهم وأقوالهم وفي هذا يقول: «والخامس: رأي نابتة متأخرة الزمان ممن يدعي التخلق بخلق أهل التصوف المتقدمين أو يروم الدخول فيهم، يعمدون إلى ما نقل عنهم في الكتب من الأحوال الجارية عليهم، أو الأقوال الصادرة عنهم فيتخذونها دينا وشريعة لأهل الطريقة، وإن كانت مخالفة للنصوص الشرعية من الكتاب والسنة، أو مخالفة لما جاء عن السلف الصالح، لا يلتفتون إلى فتيا، مفت ولا نظر عالم، بل يقولون: إن صاحب هذا الكلام ثبتت ولايته، فكل ما يفعله أو يقوله حق، وإن كان مخالفا فهو أيضا ممن يقتدى به، والفقه للعموم، وهذه طريقة الخصوص، فتراهم يحسنون الظن بتلك الأقوال والأفعال ولا يحسنون الظن بشريعة محمد ﷺ، وهو عين اتباع الرجال وترك الحق»(٢).

وقد حكى شيخ الإسلام الاتفاق على عدم اتصاف الولي بالعصمة فقال: «واتفقوا على أنه ليس من شرط ولي الله أن لا يكون له ذنب أصلا، بل أولياء الله تعالى هم الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس: ٦٢-٦٣] ولا يخرجون عن التقوى بإتيان ذنب صغير لم يصروا عليه، ولا بإتيان ذنب كبير أو صغير إذا تابوا منه»(٣).

وقال في موضع آخر: «وأما المحدث فيقع له صواب وخطأ والكتاب والسنة تميز صوابه من خطئه؛ وبهذا صار جمع الأولياء مفتقرين إلى الكتاب والسنة لا بد لهم أن يزنوا جميع أمورهم

---

(١) تلبيس إبليس (٣/٩٩٩).

(٢) الاعتصام (٢/٨٦٥-٨٦٦).

(٣) جامع الرسائل لابن تيمية (١/٢٦٧-٢٦٨).

بآثار الرسول، فما وافق آثار الرسول فهو الحق وما خالف ذلك فهو باطل، وإن كانوا مجتهدين فيه والله تعالى يثيبهم على اجتهادهم ويغفر لهم خطأهم»[1].

«وكون ولي الله يرتكب المحظور والمكروه متأولًا أو عاصيًا لا يمنع من الإنكار عليه، ولا يخرجه عن أصل ولاية الله»[2].

و«كل من عدا المعصوم ﷺ فمأخوذ من قوله ومتروك»[3].

وعند كلام ابن القيم[4] عن شطحات الصوفية بين أنَّ الناس قد افترقوا أمامها بين طرفان ووسط، وأن العصمة لم تضمن لبشر بعد رسول الله -ﷺ-[5] يقول:

«هذا ونحوه من الشطحات التي ترجى مغفرتها بكثرة الحسنات، ويستغرقها كمال الصدق، وصحة المعاملة، وقوة الإخلاص وتجريد التوحيد، ولم تضمن العصمة لبشر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذه الشطحات أوجبت فتنة على طائفتين من الناس. إحداهما: حجبت بها عن محاسن هذه الطائفة، ولطف نفوسهم وصدق معاملتهم، فأهدروها لأجل هذه الشطحات، وأنكروها غاية الإنكار، وأساءوا الظن بهم مطلقا، وهذا عدوان وإسراف. فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة، وأهدرت محاسنه، لفسدت العلوم والصناعات، والحكم، وتعطلت معالمها.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/٢٢٧).

(٢) مدارج السالكين (١/٤٩٦).

(٣) المصدر السابق (٢/٣٨).

(٤) هو: الإمام الفقيه مُحَمَّد بن أبي بكر بن أَيُّوب الزرعي الأصل ثم الدِّمَشْقِي الحنبلي، الشهير بابن قيم الجوزية،، كان واسع العلم عارفًا بالخلاف ومذاهب السّلف، أخذ الأصول عن الصفي الهندي وابن تيمية، حتى أنه كان لا يخرج عن شئ من أقواله، ولا زمه حتى مات، امتحن وأوذي مرات، وحبس مع ابن تيمية، له من التصانيف العدد الكبير في أنواع العلوم منها: الْهَدْي (زاد المعاد) وإعلام الموقعين، والكافية الشافية، وتهذيب سنن أبي داود، توفي في سنة ٧٥١ هـ في دمشق، ينظر: البداية والنهاية (١٤/٢٧٠)، الوافي بالوفيات (٢/١٩٥ وما بعدها)، الرد الوافر لابن ناصر الدين (ص ٦٨)، الدرر الكامنة لابن حجر (٥/١٣٧ وما بعدها)، المقصد الأرشد لابن مفلح (١/٢٦٥)، شذرات الذهب (٨/٢٨٧) البدر الطالع (٢/١٤٣) الأعلام (٦/٥٦).

(٥) ينظر: مدارج السالكين (٢/٤٠).

والطائفة الثانية: حجبوا بما رأوه من محاسن القوم، وصفاء قلوبهم، وصحة عزائمهم، وحسن معاملاتهم عن رؤية عيوب شطحاتهم، ونقصانها. فسحبوا عليها ذيل المحاسن. وأجروا عليها حكم القبول والانتصار لها. واستظهروا بها في سلوكهم وهؤلاء أيضا معتدون مفرطون.

والطائفة الثالثة: وهم أهل العدل والإنصاف الذين أعطوا كل ذي حق حقه، وأنزلوا كل ذي منزلة منزلته، فلم يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلول، ولا للمعلول السقيم بحكم الصحيح. بل قبلوا ما يقبل، وردوا ما يرد.

وهذه الشطحات ونحوها هي التي حذر منها سادات القوم، وذموا عاقبتها، وتبرأوا منها»(١).

«وكل من ليس بنبي فليس برسول الله وليس بمعصوم وإن كانت له خوارق عادات كأولياء الله من المسلمين وغيرهم، فإنه وإن كانت لهم كرامات من الخوارق فليسوا معصومين من الخطأ»(٢).

وعند ترجمة الإمام الذهبي للسلمي –المؤرخ الصوفي صاحب الطبقات–، نجده يرد عليه ويتعقبه عندما نقل عنه قوله:

من قال لأستاذه: لمَ؟ لا يفلح أبدًا، فيقول الذهبي:

قلت: ينبغي للمريد أن لا يقول لأستاذه: لم، إذا علمه معصومًا لا يجوز عليه الخطأ، أما إذا كان الشيخ غير معصوم وكره قول: لم؟ فإنه لا يفلح أبدا، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٢](٣).

يقول الإمام الشوكاني: «اعلم أن أولياء الله غير الأنبياء ليسوا بمعصومين، بل يجوز عليهم ما يجوز على سائر عباد الله المؤمنين. لكنهم قد صاروا في رتبة رفيعة ومنزلة عليَّة، فقل أن يقع منهم ما يخالف الصواب وينافي الحق. فإذا وقع ذلك فلا يخرجهم عن كونهم أولياء الله. كما

---

(١) المصدر السابق (مدارج السالكين ٢/ ٤٠).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/٨٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٧/٢٥١).

يجوز أن يخطئ المجتهد وهو مأجور على خطئه حسبما تقدم أنه إذا اجتهد فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر»(١).

وفي موضع آخر يرد -رحمه الله- على استدلال المتصوفة بحديث الولاية وتشبثهم به بالاستدلال بباطلهم فيقول:

«وقد تمسك بهذا الحديث بعض الجهلة من أهل النحل والرياضة فقالوا: القلب إذا كان محفوظًا مع الله كانت خواطره معصومة من الخطأ، وتعقب ذلك أهل التحقيق من أهل الطريق فقالوا: لا يلتفت إلى شيء من ذلك إلا إذا وافق الكتاب والسنة، والعصمة إنما هي للأنبياء، ومن عداهم فقد يخطيء، فقد كان عمر رأس الملهمين ومع ذلك فكان ربما رأى الرأي، فيخبره بعض الصحابة بخلافه فيرجع إليه ويترك رأيه»(٢).

وعند حديث شيخ الإسلام عن الخوارق التي تجري للأولياء، وتعلق المتصوفة بها وربطها بالولاية المستلزمة بالعصمة عندهم نجده يذكر أنَّ:

«الخوارق التي تجري على يدي غير الأنبياء، لا تدل على أن أصحابها أولياء الله عند أكثر العلماء فضلا عن كونهم معصومين، فإن ولي الله من يموت على الإيمان، ومجرد الخارق لا يدل على أنه يموت على الإيمان بل قد يتغير عن ذلك الحال وإذا قطعنا بأن الرجل ولي الله كمن أخبر النبي بأنه من أهل الجنة، فلا يجب الإيمان بكل ما يقوله: إن لم يوافق ما قالته الأنبياء بخلاف الأنبياء - عليهم السلام-، فإنهم معصومون لا يجوز أن يستقر فيما يبلغونه خطأ ولهذا أوجب الله الإيمان بهم ومن كفر بواحد منهم فهو كافر»(٣).

إلى أنَّ نفي هذا الخارق للولي لا ينفي الولاية عنه، كما يقول شيخ الإسلام:

«ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى، وتكون من الشيطان لبسها عليه لنقص درجته ولا يعرف أنها من الشيطان وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى؛ فإن الله سبحانه وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ

---

(١) قطر الولي (ص ٢٤٨).

(٢) المصدر السابق (ص ٤٤٥-٤٤٦).

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/٨٤).

وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[سورة البقرة: ٢٨٥-٢٨٦]»[١].

جاء في تيسير العزيز الحميد: «وبالجملة فأولياء الله هم: أحبابه المقربون إليه بالفرائض والنوافل وترك المحارم، الموحدون له، الذين لا يشركون بالله شيئا وإن لم تجر على أيديهم خوارق، فإن كانت الخوارق دليلًا على ولاية الله، فلتكن دليلًا على ولاية الساحر والكاهن والمنجم والمتفرس، ورهبان اليهود والنصارى، وعباد الأصنام، فإنهم يجري لهم من الخوارق ألوف، ولكن هي من قبل الشياطين، فإنهم يتنزلون عليهم لمجانستهم لهم في الأفعال والأقوال كما قال تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ﴾]الشعراء:٢٢١-٢٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾ [الزخرف:٣٦] »[٢].

٣- إن دعواهم بعصمة الأولياء دعوى مصادمة للقرآن والسنة.

والأدلة في هذا كثيرة تبين ظلم الإنسان لنفسه، وأن هذه الدعوى بعصمة الأولياء دعوى مصادمة لنصوص الكتاب و السنة إلا من استثناهم الله تعالى-، من الأنبياء في عصمة ما يبلغونه.

يقول الإمام الشاطبي: «فالصوفية كغيرهم ممن لم تثبت له العصمة، فيجوز عليهم الخطأ والنسيان والمعصية، كبيرها وصغيرها، فأعمالهم لا تعدو الأمرين.

إلى أن قال: فالواجب علينا أن نقف مع الاقتداء بمن يمتنع عليه الخطأ، ونقف على الاقتداء بمن لا يمتنع عليه الخطأ إذا ظهر في الاقتداء به إشكال، بل نعرض ما جاء عن الأئمة

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ٦٣).

(٢)تيسير العزيز الحميد، سليمان بن محمد بن عبدالوهاب(ص ٣٣٧).

على الكتاب والسنة، فما قبلاه قبلناه، وما لم يقبلاه تركناه ولا علينا، إذ قام لنا الدليل على اتباع الشرع ولم يقم لنا دليل على اتباع أقوال الصوفية وأعمالهم إلا بعد عرضها، وبذلك وصى شيوخهم»[(١)].

ومن أدلة القرآن التي تبطل القول بعصمة غير الأنبياء كالأولياء وغيرهم ما يلي:

أولًا: قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [سورة النساء: ٥٩].

«فلم يأمرنا بالرد عند التنازع إلا إلى الله والرسول، فمن أثبت شخصًا معصومًا غير الرسول أوجب رد ما تنازعوا فيه إليه؛ لأنه لا يقول عنده إلا الحق كالرسول. وهذا خلاف القرآن»[(٢)].

وقد «ذكر الله طاعة الرسول -ﷺ- في أكثر من ثلاثين موضعًا من القرآن»[(٣)].

يقول شيخ الإسلام، مبينًا حال الغلاة في المشايخ: «وكثير من الغلاة في المشايخ يعتقد أحدهم في شيخه نحو ذلك. ويقولون: الشيخ محفوظ، ويأمرون باتباع الشيخ في كل ما يفعل، لا يخالف في شيء أصلا، فإن الله تعالى يقول: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية»[(٤)].

يقول الشيخ السعدي[(٥)]: «أمر برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى الله وإلى رسوله أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله؛ فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية، إما

---

(١) الاعتصام (١/٢٧٦-٢٧٧).

(٢) منهاج السنة (٦/١٨٩).

(٣) مجموع الفتاوى (١/٦٧).

(٤) المصدر السابق (٦/١٨٩).

(٥) هو: العلامة الفقيه الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي الناصري التميمي النجدي الحنبلي، حفظ القرآن عن ظهر قلب، ولما بلغ من العمر ثلاثًا وعشرين سنة جلس للتدريس فكان يتعلم ويعلم، أكَّب على مطالعة مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فانتفع بها غاية الانتفاع، وكان داعية خير ورشد، انتهت إليه المعرفة التامة ورئاسة العلم في القصيم، مؤلفاته تربوا على أربعين مؤلفًا منها: تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، وهو أشهرها، و تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن، لأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، توفي -رحمه الله-، سنة ١٣٧٦ هـ بمدينة عنيزة، ينظر: الأعلام (٣/٣٤٠)، روضة الناظرين للقاضي (١/٢٣٩ وما بعدها)، مشاهير علماء نجد، عبدالرحمن آل الشيخ (ص ٢٥٦ وما بعدها)، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/٢١٨ وما بعدها).

بصريحهما أو عمومهما؛ أو إيماء، أو تنبيه، أو مفهوم، أو عموم معنى يقاس عليه ما أشبهه، لأن كتاب الله وسنة رسوله عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما.

فالرد إليهما شرط في الإيمان فلهذا قال: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة، بل مؤمن بالطاغوت، فإن حكم الله ورسوله أحسن الأحكام وأعدلها وأصلحها للناس في أمر دينهم ودنياهم وعاقبتهم»[(١)].

ثانيًا: قول الله تعالى:﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [سورة النساء: ٦٩].

ثالثًا: قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [سورة الجن:٢٣].

والمعصوم تجب طاعته مطلقًا بلا قيد، ومخالفه يستحق الوعيد. والقرآن إنما أثبت هذا في حق الرسول خاصة فدل القرآن في غير موضع على أن من أطاع الرسول كان من أهل السعادة، ولم يشترط في ذلك طاعة معصوم آخر.

ومن عصى الرسول كان من أهل الوعيد، وإن قدر أنه أطاع من ظن أنه معصوم، فالرسول -ﷺ-، هو الذي فرق الله به بين أهل الجنة وأهل النار، وبين الأبرار والفجار، وبين الحق والباطل، وبين الغي والرشاد، والهدى والضلال، وجعله القسيم الذي قسم الله به عباده إلى شقي وسعيد، فمن اتبعه فهو السعيد، ومن خالفه فهو الشقي وليست هذه المرتبة لغيره.

ولهذا اتفق أهل العلم -أهل الكتاب والسنة- على أن كل شخص سوى الرسول فإنه يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله -ﷺ-، فإنه يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، فإنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وهو الذي يسأل الناس عنه يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٦].

---

(١) تفسير السعدي (ص ١٨٣).

وهو الذي يمتحن به الناس في قبورهم، فيقال لأحدهم: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ويقال: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: هو عبد الله ورسوله، جاءنا بالبينات والهدى فآمنا به واتبعناه. ولو ذكر بدل الرسول من ذكره من الصحابة والأئمة والتابعين والعلماء لم ينفعه ذلك، ولا يمتحن في قبره بشخص غير الرسول[١].

رابعًا: قول الله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢].

أي «ولا يعصينك يا مُحَمَّد في معروف من أمر الله عز وجل تأمرهن به»[٢].

وقال ابن كثير مفسرًا الآية:

«ولا يعصينك في معروف يعني: فيما أمرتهن به من معروف ونهيتهن عنه من منكر»[٣] وهذا عام للرجال والنساء.

خامسًا: قول الله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٣٦].

سادسًا: قول الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥].

سابعًا: قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧].

---

(١) ينظر: منهاج السنة (٦/١٩٠-١٩١).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/٥٩٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/١٢٨).

«فالإيمان بما جاء به النبيون مما أمرنا أن نقوله ونؤمن به.وهذا مما اتفق عليه المسلمون: أنه يجب الإيمان بكل نبي، ومن كفر بنبي واحد فهو كافر، ومن سبه وجب قتله باتفاق العلماء.

وليس كذلك من سوى الأنبياء، سواء سموا أولياء أو أئمة أو حكماء أو علماء أو غير ذلك. فمن جعل بعد الرسول معصومًا يجب الإيمان بكل ما يقوله فقد أعطاه معنى النبوة، وإن لم يعطه لفظها»(١).

يقول شيخ الإسلام مقررًا ما يجب اعتقاده في حق أولياء الله «وهذا الذي ذكرته من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة؛هو مما اتفق عليه أولياء الله عز وجل من خالف في هذا فليس من أولياء الله سبحانه الذين أمر الله باتباعهم؛ بل إما أن يكون كافرًا وإما أن يكون مفرطًا في الجهل»(٢).

ونجد أن «الله –سبحانه وتعالى–، تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥-٢٨٦] وقد ثبت في الصحيح أن الله سبحانه استجاب هذا الدعاء وقال: (قد فعلت)، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال لما نزلت هذه الآية ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٤] قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها قبل ذلك شيء أشد منه فقال النبي ﷺ: (قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا) قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل الله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾، إلى قوله ﴿أَوۡ

(١) منهاج السنة (١٨٨/٦).

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ٧٣-٧٤).

أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ قال الله قد فعلت ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ قال: قد فعلت ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ قال: قد فعلت)[١] وقد قال تعالى: ﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ﴾ [سورة الأحزاب: ٥]. وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعا أنه قال: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر)[٢] فلم يؤثم المجتهد المخطئ؛ بل جعل له أجرًا على اجتهاده وجعل خطأه مغفورًا له، ولكن المجتهد المصيب له أجران فهو أفضل منه؛ ولهذا لما كان ولي الله يجوز أن يغلط لم يجب على الناس الإيمان بجميع ما يقوله من هو ولي لله إلا أن يكون نبيًا، بل ولا يجوز لولي الله أن يعتمد على ما يلقى إليه في قلبه إلا أن يكون موافقًا للشرع وعلى ما يقع له مما يراه إلهاما ومحادثة وخطابًا من الحق؛ بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به مُحَمَّد ﷺ فإن وافقه قبله وإن خالفه لم يقبله وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف؟ توقف فيه. والناس في هذا الباب «ثلاثة أصناف» طرفان ووسط؛ فمنهم من إذا اعتقد في شخص أنه ولي لله وافقه في كل ما يظن أنه حدث به قلبه عن ربه وسلم إليه جميع ما يفعله، ومنهم من إذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية الله بالكلية وإن كان مجتهدًا مخطئًا، وخيار الأمور أوساطها؛وهو أن لا يجعل معصومًا ولا مأثومًا إذا كان مجتهدًا مخطئًا فلا يتبع في كل ما يقوله، ولا يحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده»[٣].

ثامنًا: قال الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب بيان قوله تعالى: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾ (١/ ١١٥-١١٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب إذا أخطأ (٩/١٠٨) رقم (٧٣٥٢)، و أخرجه مسلم في كتاب: الأقضية، باب: بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب، أو أخطأ (٣/١٣٤٢) رقم (١٧١٦).

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ٦٣-٦٥).

إن في عمل المتصوفة باعتقادهم العصمة لأوليائهم ومشايخهم، قد وقعوا في مشابهة النصارى في اتخاذهم الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله تعالى-، فيدخلون في الذم والتوبيخ يبين ذلك الإمام ابن كثير[(١)] في تفسيره للآية بأن:

«الجهلة من الأَحبار والرُّهبان ومشايخ الضَّلال يدخلون في هذا الذَّمِّ والتَّوْبيخ بخلاف الرُّسل وأَتباعهم من العلماء العاملين فإنهم إنما يأمرون بما يأمر الله به، وبلغتهم إياه رسله الكرام، وإنما ينهونهم عمَّا نهاهم اللَّه عنه وبلَّغتهم إِيَّاه رسله الكرام»[(٢)].

يقول شيخ الإسلام متحدثًا عن تلكم المشابهة وخطأ متبعي الأشياخ والأولياء دون بصيرة:

«وكثيرٌ من المخطئين الَّذين اتَّبعوا أَشْياخًا في الزُّهْد والعبادة وقعوا في بعض ما وقع فيه النَّصارى: من دعوى المحبَّة للَّه مع مخالفة شريعته وترك المجاهدة في سبيله ونحو ذلك ويتمسَّكون في الدِّين الَّذي يتقرَّبون به إلى اللَّه بنحو ما تمسَّك به النَّصارى من الكلام المتشابه والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها، ولو صدق لم يكن قائلها معصومًا فيجعلون متبوعيهم شارعين لهم دينًا كما جعل النَّصارى قسّيسيهم ورهبانهم شارعين لهم دينًا، ثم إنَّهم ينتقصون العبوديَّة ويدَّعون أَنَّ الخاصَّة يتعدَّونها كَمَا يدَّعي النَّصارى في المسيح ويثبتون للخاصَّة من المشاركة في اللَّه من جنس ما تثبته النَّصارى في المسيح وأُمِّه»[(٣)].

وقال في موضع آخر مبينًا خطورة التسليم للولي وقبول كل ما يقوله ويفعله، حتى لو خالف الكتاب والسنة، وأن في ذلك شبهًا للنصارى فيقول في ذلك:

«وكثير من الناس يغلط في هذا الموضع فيظن في شخص أنه ولي لله، ويظن أن ولي الله يقبل منه كل ما يقوله ويسلم إليه كل ما يقوله ويسلم إليه كل ما يفعله، وإن خالف الكتاب والسنة، فيوافق ذلك الشخص له ويخالف ما بعث الله به رسوله الذي فرض الله على جميع

---

(١) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي الدمشقي، الحافظ المؤرخ المحدث الفقيه المفسر، طلب العلم على عدد من العلماء الأعلام من أمثال، الحافظ المزّي الذي لاومه، وابن تيمية الذي امتحن لسببه، سارت تصانيفه المتنوعة البلاد في حياته وانتفع بها الناس بعد وفاته منها: البداية والنهاية، و تفسير القرآن الكريم، وله كذلك: اختصار علوم الحديث، توفي سنة ٧٧٤ هـ في دمشق. ينظر: الدرر الكامنة (١/٤٤٥-٤٤٦) طبقات الحفاظ، للسيوطي (ص ٥٣٤) شذرات الذهب (١/٦٧-٦٨) الأعلام (١/٣٢٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٥٧).

(٣) التحفة العراقية في الأعمال القلبية ضمن الفتاوى (١٠/٢١٢-٢١٣).

الخلق تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه وبين أهل الجنة وأهل النار وبين السعداء والأشقياء».

إلى أن قال رحمه الله:

«وهؤلاء مشابهون للنصارى الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[التوبة: ٣١] ولهذا قيل في مثل هؤلاء إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول فإن أصل الأصول تحقيق الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ فلا بد من الإيمان بأن محمدًا رسول الله ﷺ إلى جميع الخلق»[١].

ومن أدلة السنة التي تبطل القول بعصمة غير الأنبياء من الأولياء وغيرهم ما يلي:

وكما جاء في القرآن الكريم ما يبطل به القول في عصمة غير الأنبياء – عليهم السلام–، فقد جاء في السنة كذلك ما يبطل به القول بعصمة غير الأنبياء ومن ذلك ما يلي:

أولًا: قوله ﷺ: (لا طاعة لأحد في معصية الله)[٢].

يأتي على رأس الأدلة المبطلة لعقيدة العصمة هذا الحديث العظيم، والذي يبين فيه الرسول ﷺ -وهو المشروع من قبل الله تعالى- حد الطاعة وأنها لا تكون فيما يغضب الله تعالى-، ويبعد العبد عنه من المعاصي والذنوب، وقد تبين فيما سبق[٣] كيف أن الولي الصوفي قد يقع في معاصي ومحرمات، يلزم المريد بعد ذلك بالطاعة وعدم الاعتراض والتحذير من المخالفة من ذلك ما ذكره الألباني[٤] عند بيانه لفوائد الحديث عندما قال: «وفي الحديث فوائد كثيرة أهمها

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ٧٤-٧٦).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٥٢/٣٤) رقم (٢٠٦٥٤)، و(٢٥٧/٣٤) رقم (٢٠٦٦١)، ورواه الطبراني في الكبير (٢٠٨/٣) رقم (٣١٥٠) والبغوي في شرح السنة (٤٤/١٠) رقم (٢٤٥٥) كتاب الإمارة والقضاء، باب الطاعة في المعروف، (٤٥/١٠) رقم (٢٤٥٥)، والخلال، في السنة في باب في الصبر والوفاء (١١٣/١) قال الألباني كما في الصحيحة (٣٤٨/١-٣٥٠): «وإسناده صحيح على شرط مسلم، و رواه أحمد بألفاظ ورجال أحمد رجال الصحيح».

(٣) وذلك عند الحديث عن مسلك الإشارة بالقول بالعصمة، (ص ١٦٠).

(٤) هو: الشيخ المحدث محمد ناصر الدين بن نوح الألباني، هاجر مع أبيه إلى دمشق، اهتم والده بتحفيظه القرآن وتجويده، وعلمه النحو والصرف والفقه الحنفي، توجه إلى طلب علم الحديث وعمره عشرون عامًا، تعرض لخصومات من =

أنه لا يجوز إطاعة أحد في معصية الله تبارك وتعالى، سواء في ذلك الأمراء والعلماء والمشايخ. ومنه يعلم ضلال طوائف من الناس:

الأولى: بعض المتصوفة الذين يطيعون شيوخهم ولو أمرهم بمعصية ظاهرة بحجة أنها في الحقيقة ليست بمعصية، وأن الشيخ يرى ما لا يرى المريد، وأعرف شيخًا من هؤلاء نصب نفسه مرشدًا قص على أتباعه في بعض دروسه في المسجد قصة خلاصتها أن أحد مشايخ الصوفية أمر ليلة أحد مريديه بأن يذهب إلى أبيه فيقتله على فراشه بجانب زوجته، فلما قتله عاد إلى شيخه مسرورًا لتنفيذ أمر الشيخ فنظر إليه الشيخ وقال: أتظن أنك قتلت أباك حقيقة؟ إنما هو صاحب أمك وأما أبوك فهو غائب ثم بنى على هذه القصة حكما شرعيًا بزعمه فقال لهم: إن الشيخ إذا أمر مريده بحكم مخالف للشرع في الظاهر أن على المريد أن يطيعه في ذلك، قال: ألا ترون إلى هذا الشيخ أنه في الظاهر أمر الولد بقتل والده، ولكنه في الحقيقة إنما أمره بقتل الزاني بوالدة الولد، وهو يستحق القتل شرعًا ولا يخفى بطلان هذه القصة شرعًا»(١).

يقول شيخ الإسلام: «وبالجملة فالشيوخ والملوك وغيرهم إذا أمروا بطاعة الله ورسوله أطيعوا وإن أمروا بخلاف ذلك لم يطاعوا؛ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وليس أحد معصومًا إلا رسول الله ﷺ وهذا في الشيخ الذي ثبت معرفته بالدين وعمله به. وأما من كان مبتدعا بدعة ظاهرة أو فاجرًا فجورًا ظاهرًا؛ فهذا إلى أن تنكر عليه بدعته وفجوره أحوج منه إلى أن يطاع فيما يأمر به، لكن إن أمر هو أو غيره بما أمر الله به ورسوله وجبت طاعة الله ورسوله فإن طاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد في كل حال؛ ولو كان الآمر بها كائنا من كان»(٢).

=

بعض المشايخ، واتهموه بالوهابية، ومحاربة المذاهب، انتدب للتدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٣٨١ هـ-، كان رحمه حريصًا على مشروعه العلمي؛ تقريب السنة بين يدي الأمة، تجاوزت مؤلفاته أكثر من مئتي كتاب مابين تأليف وتحقيق منها: سلسلة الاحاديث الصحيحة والضعيفة، حجة النبي ﷺ كما رواها جابر، مختصر صحيح البخاري، توفي سنة ١٤٢٠ هـ بمدينة عمَّان بالأردن، ينظر: علماء ومفكرون عرفتهم، للمجذوب (١/٢٨٧-وما بعدها)، و من أعلام الحركة الإسلامية (ص ١٠٦١-وما بعدها).

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها (١/٣٥٢)

(٢) قاعدة في المعجزات والكرامات ضمن مجموع الفتاوى (١١/٥١٧).

وقال في موضع آخر: «وإذا علم هذا فكثير من المشهورين بالمشيخة في هذه الأزمان قد يكون فيهم من الجهل والضلال والمعاصي والذنوب ما يمنع شهادة الناس لهم بذلك، بل قد يكون فيهم المنافق والفاسق كما أن فيهم من هو من أولياء الله المتقين وعباد الله الصالحين وحزب الله المفلحين، كما أن غير المشايخ فيهم هؤلاء وهؤلاء في الجنة والتجار والفلاحون وغيرهم من هذه الأصناف. إذا كان كذلك فمن طلب أن يحشر مع شيخ لم يعلم عاقبته كان ضالا؛ بل عليه أن يأخذ بما يعلم؛ فيطلب أن يحشره الله مع نبيه والصالحين من عباده»[١].

وقال أيضًا: «وعلى هذا فمن أحب شيخا مخالفا للشريعة كان معه؛ فإذا دخل الشيخ النار كان معه. ومعلوم أن الشيوخ المخالفين للكتاب والسنة أهل الضلال والجهالة فمن كان معهم كان مصيره مصير أهل الضلال والجهالة وأما من كان من أولياء الله المتقين: كأبي بكر وعمر وعثمان، وعلي وغيرهم، فمحبة هؤلاء من أوثق عرى الإيمان، وأعظم حسنات المتقين وما أكثر من يدعي حب مشايخ لله ولو كان يحبهم لله لأطاع الله الذي أحبهم لأجله، فإن المحبوب لأجل غيره تكون محبته تابعة لمحبة ذلك الغير. وكيف يحب شخصا لله من لا يكون محبا لله وكيف يكون محبا لله من يكون معرضًا عن رسول الله ﷺ، وسبيل الله؟. وما أكثر من يحب شيوخا أو ملوكا أو غيرهم فيتخذهم أندادا يحبهم كحب الله»[٢].

ثانيًا: قول ﷺ: (كل ابن آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التَّوَّابون)[٣].

«ومقتضى هذا الحديث أن بني آدم كلهم خطاؤون بدون استثناء، إلا من قام موجب على تخصيصه من ذلك وهم الأنبياء -عليهم السلام-، فيما يبلغونه عن الوحي»[٤].

يقول صاحب التحفة شارحًا الحديث: «قوله: (كل بن آدم خطاء) أي كثير الخطأ، وأما الأنبياء – صلوات الله عليهم – فإما مخصوصون عن ذلك وإما أنهم أصحاب صغائر، والأول

---

(١) المصدر السابق (٥١٩/١١).

(٢) المصدر السابق (٥١٩/١١-٥٢١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب ذكر رحمة الله، باب ما ذكر في سعة رحمة الله (٦٢/٧) رقم (٣٤٢١٦)، و أحمد (٣٤٤/٢٠) رقم (١٣٠٤٩)، و ابن ماجة في باب ذكر التوبة (٣٢١/٥) رقم (٤٢٥١)، و الترمذي (٢٤٠/٤) رقم (٢٤٩٩) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٨٣١/٢)، وشعيب الأرنؤوط، في تحقيقه لسنن ابن ماجة.

(٤) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (١/ ٢٣٥).

أولى فإن ما صدر عنهم من باب ترك الأولى، أو يقال الزلات المنقولة عن بعضهم محمولة على الخطأ والنسيان من غير أن يكون لهم قصد إلى العصيان»[١].

ثالثًا: قول ﷺ: (إِنَّه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم مُحَدَّثُون، وإِنَّه إِن كان في أُمَّتي هذه منهم فإِنَّه عمر بن الخطَّاب)[٢].

يقول شيخ الإسلام عند تعليقه على هذا الحديث: «والواجب على الناس اتباع ما بعث الله به رسوله، وأما إذا خالف قول بعض الفقهاء ووافق قول آخرين؛لم يكن لأحد أن يلزمه بقول المخالف ويقول هذا خالف الشرع. وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: (قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر منهم).

إلى أن قال: وهذه الأمور الصادقة التي أخبر بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنها تتجلى للمطيعين هي الأمور التي يكشفها الله عز وجل لهم. فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات، وأفضل هؤلاء في هذه الأمة بعد أبي بكر عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فإن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. وقد ثبت في الصحيح تعيين عمر بأنه محدث في هذه الأمة فأي محدث ومخاطب فرض في أمة مُحَمَّد -ﷺ- فعمر أفضل منه، ومع هذا فكان - عمر رضي الله عنه - يفعل ما هو الواجب عليه، فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول ﷺ فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر كما نزل القرآن بموافقته غير مرة، وتارة يخالفه فيرجع عمر عن ذلك كما رجع يوم الحديبية لما كان قد رأى محاربة المشركين. إلى أن قال -رحمه الله- بعد ذلك:فإن مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدث؛ لأن الصديق يتلقى عن الرسول المعصوم كل ما يقوله ويفعله والمحدث يأخذ عن قلبه أشياء وقلبه ليس بمعصوم، فيحتاج أن يعرضه على ما جاء به النبي ﷺ ولهذا كان عمر رضي الله عنه يشاور الصحابة رضي الله عنهم ويناظرهم ويرجع إليهم في بعض الأمور وينازعونه في أشياء فيحتج عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة، ويقررهم على منازعته ولا يقول لهم: أنا محدث ملهم مخاطب فينبغي لكم أن تقبلوا مني ولا تعارضوني، فأي أحد ادعى أو

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفورى (١٧٠/٧-١٧١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أَحاديث الأَنبياء، باب حديث الغار(١٧٤/٤) رقم (٣٤٦٩)، وفي فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب (١٢/٥) رقم (٣٦٨٩) ومسلم في فضائل الصحابة، في كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضائل عمر رضي الله تعالى عنه-(١٨٦٤/٤) رقم (٢٣٩٨).

ادعى له أصحابه أنه ولي لله وأنه مخاطب يجب على أتباعه أن يقبلوا منه كل ما يقوله ولا يعارضوه ويسلموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسنة؛فهو وهم مخطئون ومثل هذا من أضل الناس فعمر بن الخطاب ﷺ أفضل منه؛ وهو أمير المؤمنين وكان المسلمون ينازعونه فيما يقوله، وهو وهم على الكتاب والسنة وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ. وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم، فإن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز وجل وتجب طاعتهم فيما يأمرون به، بخلاف الأولياء فإنهم لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله وما خالف الكتاب والسنة كان مردودًا وإن كان صاحبه من أولياء الله وكان مجتهدًا معذورًا فيما قاله له أجر على اجتهاده. لكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئًا وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع»(١).

رابعًا: قوله ﷺ للصديق -ﷺ- عندما طلب منه دعاء يدعوا به في صلاته فقال له: (قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم)(٢).

وهذا الحديث الذي علمه الرسول ﷺ للصديق -ﷺ- «من أحسن الأدعية؛ لأنه إقرار بظلم النفس، واعتراف بالذنب والذنوب كالمانع من الإنعام، والاعتراف بها يمحوها، فيرتفع الحاجز»(٣).

يقول الإمام ابن القيم: «كون العبد المصطفى لله ووليًا لله ومحبوبًا لله ونحو ذلك من الأسماء الدالة على شرف منزلة العبد وتقريب الله له لا ينافي ظلم العبد نفسه أحيانًا بالذنوب، والمعاصي بل أبلغ من ذلك أن صديقيته لا تنافي ظلمه لنفسه ولهذا قال صديق الأمة وخيارها

---

(١) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ٦٥-وما بعدها).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، (ح:٨٣٤)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، (ح:٢٧٠٥).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي (١٣/١).

للنبي ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي، فقال: (قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم).

وإذا كان ظلم النفس لا ينافي الصديقية والولاية، ولا يخرج العبد عن كونه من المتقين، بل يجتمع فيه الأمران يكون وليا لله صديقا متقيا وهو مسيئ ظالم لنفسه، علم أن ظلمه لنفسه لا يخرجه عن كونه من الذين اصطفاهم الله من عباده وأورثهم كتابه، إذ هو مصطفى من جهة كونه من ورثة الكتاب علمًا وعملًا، ظالم لنفسه من جهة تفريطه في بعض ما أمر به وتعديه بعض ما نهي عنه، كما يكون الرجل وليا لله محبوبًا له من جهة ومبغوضًا له من جهة أخرى»[١].

---

(١) طريق الهجرتين (ص ١٩٨-٢٠٠).

المبحث الثاني

الرد على الصوفية في قولهم بعصمة الأولياء من خلال أقوال أئمتهم

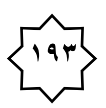
إنه مما يدل على تهافت وبطلان القول بعصمة الأولياء من لدن بعض المتصوفة؛ أن نجد من الصوفية أنفسهم من ينفي ذلك القول الباطل و هذا الاعتقاد الفاسد، أو تجدهم يُخطىء بعضهم البعض، ويخالف بعضهم الآخر، أو نجد قولهم مضطربًا غير واضح وثابت في تلك المسألة ما بين نفي وإثبات، فمن ذلك:

أولًا: إن أولياء الصوفية يختلفون في المسائل ويخطؤون ويُخطئ بعضهم بعضًا.

وكون أولياء الصوفية يختلفون ويخطئون أو يُخطئ بعضهم بعضًا، فهو الأصل في الطبع الإنساني، خلافًا لما قرره المتصوفة وثبوت ذلك – أي وقوع الاختلاف والخطأ–، في كتبهم دليل واضح على عدم عصمتهم من الخطأ والغلط والسهو والنسيان بل يعتريهم ما يعتري غيرهم، وأورد هنا بعض ماحكاه المتصوفة عن أوليائهم.

وقبل ذلك أُورد كلامًا لابن الجوزي يبين فيه –رحمه الله تعالى– أن وقوع المتصوفة في الأغلاط والأخطاء كان بسبب بعدهم عن العلم، وقد كثر هذا الغلط في المتشبهين بالقوم، فوجب الرد عليهم، وفي هذا يقول:

«وإذ قد ثبت هذا من أقوال شيوخهم وقعت من بعض أشياخهم تلبيس إبليس غلطات، لبعدهم عن العلم فإن كان ذلك صحيحا عنهم توجه الرد عليهم، إذ لا محاباة فِي الحق، وإن لم يصح عنهم حذرنا من مثل هذا القول وذلك المذهب من أي شخص صدر، فأما المشبهون بالقوم وليسوا منهم فأغلاطهم كثيرة، ونحن نذكر بعض ما بلغنا من أغلاط القوم والله يعلم أننا لم نقصد ببيان غلط الغالط إلا تنزيه الشريعة والغيرة عليها من الدخل، وما علينا من القائل والفاعل وإنما نؤدي بذلك أمانة العلم، وما زال العلماء يبين كل واحد منهم غلط صاحبه قصدًا



لبيان الحق لا لإظهار عيب الغالط ولا اعتبار بقول جاهل يَقُول كيف يرد على فلان الزاهد المتبرك به؛لأن الانقياد إنما يكون إِلَى مَا جاءت به الشريعة لا إِلى الأشخاص»[1].

وقد اعترف السرَّاج الصوفي بتلكم الأخطاء والأغلاط في كتابه اللمع؛ بأن كثيرًا من شيوخ الصوفية غلطوا وأخطؤوا في مواقف عديدة تتعلق بمختلف جوانب التصوف[2] من ذلك ما جاء في الأبواب التالية من كتابه منها:

١- باب ذكر اختلافهم في ماهية الوجد.

٢- باب في ذكر من غلط من المترسمين بالتصوف، ومن أين يقع الغلط.

٣- باب في ذكر من غلط في الفروع.

٤- باب في ذكر طبقات الذين فتروا في الإرادات، وغلطوا في المجاهدات وسكنوا إلى الراحات.

٥- باب في ذكر من غلط في الأصول، وأداه ذلك إلى الضلالة.

٦- باب في ذكر من غلط في النبوة، والولاية[3].

ومن ذلك ما وقع للجيلاني، وخطأه به الخواص، يروي الشعراني مرة أنه سأل شيخه الخواص:

«الشيخ عبد القادر الجيلاني إنه لم يقل: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى إلا بإذن، فقال -ﷺ-: لو كان ذلك بأمر من الله ما وقع منه ندم حين وفاته، فقد بلغنا أنه وضع خده على الأرض وقال: هذا هو الحق الذي كنا عنه في غفلة، وندم واستغفر، ومعلوم أن الندم لا يكون عقب امتثال الأوامر الإلهية، إنما يكون عقب ارتكاب أهوية النفوس فتأمل ذلك»[4].

ومعلوم أن الندم والاستغفار لا يكون إلا عن ذنب.

---

(١) تلبيس إبليس (٣/٩٩٨-٩٩٩).

(٢) ينظر: نقد الروايات المؤسسة للتصوف (ص ٦٠٠).

(٣) اللمع (ص ٣٧٥-ومابعدها).

(٤) الجواهر والدرر (ص ١٤١).

و«إذا كان الشيخ عبدالقادر – الذي لا أظن أن صوفيًا واحدًا يشك في ولايته–، يقع في مثل هذه الأمور المعبر عنها بهوى النفس فأين العصمة والحفظ المدعى؟»(١).

ومن قبيل ذلك ما نقله صاحب الإبريز عن الدباغ من أنه قال: «وقد غلط بعض الأولياء من أهل الفتح فظن أن الولي العارف الكبير قد يبلغ مقام النبي في المعرفة، وإن كان في الدرجة لا يصله، وهذا الذي ظنوه غلط مخالف لما في نفس الأمر، والصواب أن الولي، ولو بلغ في المعرفة ما بلغ لا يصل إلى ما ذكروه، ولا يقرب منه أصلًا»(٢).

وهذا تصريح من أحد المتصوفة بغلط بعض الأولياء، في مساواة النبي –ﷺ– في المعرفة، وغلط البعض في مثل هذه المسائل أو غيرها يجري على البقية.

وأيضًا «لو وجدَ تأويل قريب أو بعيد لبادر الدبَّاغ كعادته إلى بيانه والتشبث به»(٣).

وكذلك من تغليط بعضهم لبعض وتخطئتهم؛ قول قائلهم: «إني لم أزل أتعجب من الولي الذي يقول: إنه يملأ الكون وذلك لأن للكون بابًا منه يقع الدخول إليه وهو النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يطيق مخلوق من المخلوقات، أن يحمل نوره ﷺ، ومن عجز من الباب فكيف يطيق غيره، اللهم إلا أن يكون دخل من غير باب يعني فيكون فتحه شيطانيًا ظلمانيًا، وهذا لا يملأ بيته فضلًا عن داره، فضلًا عن شيء آخر»(٤).

ثانيًا: إن من الصوفية من ينفي كون الأولياء معصومين.

يأتي على رأس هؤلاء سريٌّ السقُطي – أستاذ وخال الجنيد – فقد قَصَّ الجنيد عنه كما جاء في الحلية – أنه قال:

«ودخلت عليه يومًا آخر فرأيت عليه همًا فقلت: أيها الشيخ أراك مشغول القلب، فقال: أمس كنت في الجامع فوقف علي شاب وقال لي: أيها الشيخ، أيعلم العبد أن الله تعالى قد قبله؟ فقلت: لا يعلم، فقال: بلى يعلم، وقال لي ثانيا: بلى يعلم فقلت له: فمن أين يعلم؟

---

(١) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (١ /٢٣٩).

(٢) الإبريز (ص ٣٩٤).

(٣) العصمة (ص ٣٩٢).

(٤) الإبريز (ص ٣٨٧).

قال: إذا رأيت الله عز وجل قد عصمني من كل معصية ووفقني لكل طاعة علمت أن الله تبارك وتعالى قد قبلني»[(١)] ويفهم من هذه القصة عدم اعتقاد سريًّا السقطي بالعصمة، وإنما إقراره للشاب بأن يوفقه الله للطاعة ويباعده عن المعصية حتى يقبل، وهذا أيضًا فيه رجاء وليس طلبًا للعصمة.

وقد قيل مرة للجنيد:العارف يزنى يا أبا القاسم؟ فأطرق مليا ثُمَّ رفع رأسه وقال:﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[الأحزاب: ٣٨]»[(٢)].

ويترجح من هذا النص أحد أمرين، أراد تقريرهما في ذهن السائل هما:

١- نفي العصمة عن الولي، فإن وصول السالك إلى الولاية لا يقتضي عصمته؛ لأنه ليس نبيًا.

٢- التفريق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، فكأنه من رده بعد إطراقه أراد التنبيه إلى هذا، في زمن ظهر فيه من يخلط بين الإرادتين، ولايرى الفرق بينهما[(٣)].

ونقل شيخ الإسلام عن مُحَمَّد بن خفيف -وهو من صوفية أهل الحديث-، عند ذكره لمعتقد ابن خفيف في الحموية الكبرى:

«ومن زَعم أن صفاته قائمة بصفاته -ويشير في ذلك إلى غير الأيد والعصمة والتوفيق والهداية-، وأشار إلى صفاته عز وجل القديمة، فهو حلولي قائل باللاهوتية والالتحام، وذلك كفر لا محالة»[(٤)]، وظاهر كلام ابن خفيف - هنا - أنه استعمل لفظ العصمة، وسياق كلامه في إنكار الحلول، وحكمه على القائل به بالكفر، ومن قال بالحلول فمن باب أولى أن يقول بالعصمة، وكذلك فاعتقاداته الأخرى الموافقة لأهل السنة دلالة أخرى على أنه لايرى العصمة، وفي ذلك رد على القائلين بها من الصوفية أنفسهم.

هذا ما وقفت عليه مما جاء في رفض العصمة من متقدمي الصوفية.

---

(١) حلية الأولياء (١٠/٢٧٤).

(٢) ينظر: الرسالة القشيرية (٢/٥٢٤).

(٣) الجنيد بن مُحَمَّد وآراءه العقدية والصوفية (ص ١٥٠-١٥١).

(٤) الفتوى الحموية الكبرى (٤٦٦-٤٦٧).

ومما جاء عن معاصري الصوفية ممن يرفضها ماجاء عن الصوفي المعاصر؛ سعيد حوى وذلك عند ذكره لاعتقاد الصوفية بالكرامة واعتبارها دليلًا للولاية، المستلزمة للعصمة مقررًا بطلان ذلك فيقول: «فمتى ظهرت كرامة على يد شيخ اعتبروا ذلك علامة على العصمة، وإن أعطوا العصمة هنا اسم الحفظ ثم بنوا على ذلك وجوب الالتزام بالشيخ، ووجوب استشارته في كل شيء، ووجوب الالتزام بكل ما قاله، ويأخذون عنه الفتوى والسلوك في كل أمر»(١).

وقال في موضع آخر: «لقد تصور بعض الناس أنه يمكن أن تصل بعض القلوب إلى العصمة فاعتبروا كل ما يلقى فيها وكأنه وحي منزل، وبذلك جعلوا قلوب الأولياء كقلوب الأنبياء، وهذا كفر وضلال؛ فالله – عز وجل – تعبد الخلق برسالة محمد ﷺ فكيف نجعل على قدم المساواة ما يلقى به في بعض القلوب بما ألقى في قلب محمد ﷺ؟ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٤] فأين ذلك القلب وذلك الوحي من قلوب أخرى وإلقاءات أخرى مختلطة؟ ومهما ادعى المدعون أن قلبًا يرقى إلى حيث يدرك ما يلقى فيه فإن أحدًا – من غير الأنبياء–، لا يجوز أن يدعي عصمة قلبه وإلا فإنه يكفر»(٢).

وقال أيضًا مفندًا هذا المعتقد الفاسد وموردًا شبهتهم: «انطلق كثير من الناس بلا ميزان، ويتصور أن قلوب الشيوخ معصومة فضلوا وأضلوا. قال لي بعضهم على لسان كبير من الصوفية: (بقرآني بآياتي لو أمرني الشيخ أن أسجد للات لسجدت) فيا ويلاه من مثل هذا. هل يجوز لمسلم أن يعتقد أن ما أمره الشيخ به يجوز له تنفيذه ولو كان كفرًا؟ أليس هذا هو عين ما فعله النصارى ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] وذلك كما فسرها رسول الله ﷺ بأن أحلوا لهم الحرام، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم. ويدافع بعض الناس عن أمثال هؤلاء بأن هذا يريد كذا، وأن الشيخ يستحيل أن يأمره إلا بخير ونقول: هل هناك شك بأن السجود للات والعزى شرك؟ فكيف يعلن عن استعداده للطاعة حتى في مثل هذا؟»(٣).

---

(١) تربيتنا الروحية، سعيد حوى (ص ١٨٠).

(٢) المرجع السابق (ص ١٧١).

(٣) المرجع السابق (ص ١٧١).

وقال في موضع آخر: «إذا رأى المريد شيخه على مباح أو ما يحتمل الإباحة أو ماله وجه على رأي إمام فالأصل أن يسلم له حاله، أما إذا رأى ما اعتبره منكرًا لا يسع السكوت عنه فعليه أن يذاكره بحسن الأدب مع التلطف ابتداء، فلعل لعمله وجهًا مشروعًا يجهله، فإذا لم يكن ذلك وأصر الشيخ فليتركه، وليستر حاله ما دام الشيخ يستتر، إلا إذا ترتب على ذلك ضرر، فيعالج بالقدر الذي لابد به»(١).

وفي رد له آخر على الصوفية باعتبارهم الكرامة دليلًا على الولاية قال:

«إن بعض الصوفية يعتبرون الكرامة دليل على الولاية، ويعتبرون الولاية مظنة العصمة، فمتى ظهرت كرامة على يد شيخ اعتبروا ذلك علامة على العصمة، وإن أعطوا العصمة هنا اسم الحفظ، ثم بنوا على ذلك وجوب الالتزام بالشيخ، ووجوب استشارته في كل شيء، ووجوب الالتزام بكل ما قاله، ويأخذون عنه الفتوى والسلوك في كل أمر، وهو موضوع يترتب عليه ما يترتب من فساد أحيانًا»(٢).

ويرى التميمي(٣) أن اعتراف سعيد حوى ببطلان تلك العقيدة؛ هو اعتراف مشوبًا بالحذر كما يظهر من قوله: «إن بعض الصوفية»، ومن قوله: «ما يترتب عليه من فساد أحيانًا»(٤).

إلا أنه يُحمل قول (حوى): «إن بعض الصوفية» بأن هناك من الصوفية من لا يعتقد بعصمة الأولياء، وهذا مر معنا في ثنايا البحث.

عكس قوله: «ما يترتب عليه من فساد أحيانًا» فإن هذا كلام مخالف ولا يوافق فيه من أنَّ العصمة فيها من المفاسد والضرر الكثير والواضح(٥).

وما أثبتنا -قريبًا-، عن سعيد حوى من نصوص عديدة -صريحة- في نفيه للعصمة، هو كاف في بيان موقفه.

ولذلك لا يلتفت إلى ما قاله من كلام قد يفهم منه العصمة كقوله:

---

(١) مذكرات في منازل الصديقين والربانيين (ص ٢٩٣).

(٢) تربيتنا الروحية (ص ١٨٠).

(٣) باحث معاصر.

(٤) ينظر: العصمة (ص ٣٧٦).

(٥) سيأتي الكلام-إن شاء الله-عن هذه الآثار قريبًا في مبحث خاص، باسم: أثر القول بالعصمة، في المبحث الثالث من الفصل الرابع الرد على عقيدة عصمة الأولياء عند الصوفية، وبيان أثرها (ص ٢٢٢).

«ندرك بعض صفات الولي المرشد، أو الوارث الكامل، أو المرشد الكامل، أو الشيخ، فهو ولي مرشد حكيم داعية إلى الله»[(١)].

وقوله: «إن التسليم لغير المرشد الكامل، والالتزام المطلق بغير جماعة المسلمين، وخليفتهم الراشد خطآن كبيران»[(٢)] وقد قال في نفس كتابه في تعريفه للولي بأنه من: «اجتمعت له صفتا الإيمان والتقوى، والشيخ ينبغي أن يكون وليًا مرشدًا أي له صفة الإرشاد فوق صفة الولي، فمن لم يكن مؤمنًا تقيًا كيف يسمى وليًا، فضلًا عن أن يسمى وليًا مرشدًا، فالولاية جزء من المشيخة، وركنا الولاية: إيمان وتقوى، ولا إيمان ولا تقوى بلا التزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ»[(٣)].

وممن رفض -كذلك- العصمة من المتصوفة المعاصرين؛ عمر كامل ففي كلامه عن المرشد (الشيخ) قال الآتي:

«ومع كل هذا، فالمرشد ليس معصومًا؛لأن العصمة لا تكون لغيرالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام -.

وقال: وليكن على بال المريد أن المرشد ليس معصومًا، فقد يجري عليه ما يجري على غيره من القضاء والقدر»[(٤)].

وقال في موضع آخر عند حديثه عن الإلهام وحجيته: «من النقاط الأساسية التي خطَّأ فيها المحققون من علماء السنة الطائفة التي غلت في إثبات الإلهام وحجيته:إضفاؤهم على ما جاءهم عن طريق الإلهام والكشف لونًا من القداسة والعصمة، بدعوى أنه من الله تعالى وما كان من عند الله فهو حق لا يدخله باطل»[(٥)].

وقال مصرحًا ببطلان العصمة ومقررًا ذلك: «ومن الواجب أن نقرر هنا بكل وضوح ويقين لا يعتريه ريب: أنه لا عصمة لغير ما ثبت عن الله ورسوله. وكل أحد بعد ذلك يؤخذ من

---

(١) تربيتنا الروحية (ص ١٨٦).

(٢) المصدر السابق (ص ١٩٦).

(٣) المصدر السابق (ص ١٨٣).

(٤) التصوف بين الإفراط والتفريط (ص ١٠٤-١٠٥).

(٥) المرجع السابق (ص ١٤٢-١٤٣).

كلامه ويرد عليه، والله سبحانه أمرنا أن نرجع في معرفة أحكام شرعه إلى كتابه – عز وجل – وسنة نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [سورة النساء: ٥٩].

فلم يأمرنا أن نرجع إلى قلوبنا وأذواقنا أو خواطرنا وما يُكشف لنا، فإن شيئًا من ذلك لا عصمة له، وقد يصح مرة ولا يصح أخرى»[١].

ثالثًا: اضطراب الصوفية في موقفهم من العصمة.

وهذا الاضطراب من قبل المتصوفة – وبالأخص من قبل أئمة لهم شأن عندهم–، في شأن العصمة يضعف الزعم بأن الأولياء معصومون ويرد هذا القول ويبطله.

فتجد أحدهم ينفي أمرًا والآخر يثبته، أوهذا يثبته والآخر ينفيه، وتجد أحدهم يثبت أمرًا في موضع وينفيه في موضع آخر[٢].

وذلك مثل ما نقل عن الجنيد عندما سُئل: العارف يزنى يا أبا القاسم؟ فأطرق مليا ثُمَّ رفع رأسه وقال:﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾[الأحزاب: ٣٨]»[٣].

وكذلك ما نقل عن خَير النساج من قوله: «لا نسب أشرف من نسب من خلقه الله تعالى بيده، فلم يعصمه ولا علم أشرف من علم من علمه الله الْأَسماء كلها فلم ينفعه في وقت جريان القدر والقضاء عليه»[٤] ويشير هنا إلى أبينا آدم –عليه السلام–، وكونه نفيت عنه العصمة عنه – على تفصيل في عصمة الأنبياء–، فغيرهم من باب أولى، ومنهم الأولياء.

هذا بعض مما وقفت عليه من نقول النافين للعصمة ممن ينسب للتصوف.

أما ما جاء عن المثبتين للعصمة؛ فقد جاء عن ذي النون المصري –وهو صوفي متقدم–، مُصرحًا بعصمة الأولياء في دعاء له:

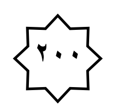
---

(١) المرجع السابق (ص ١٤٤).

(٢) أشار إلى هذا الغموض والاضطراب في مؤلفات وأقوال قدماء المتصوفة؛ مُحَمَّد السيد الجليند، فتجد فيها اللفظ ونقيضه حول الموضوع الواحد، وقد يوجد لدى الصوفي الواحد أقوالًا يخالف بعضها بعضًا في القضية الواحدة. ينظر: من قضايا التصوف (ص ٣–٤).

(٣) الرسالة القشيرية (٢/٥٢٤).

(٤) طبقات الصوفية (ص: ٢٤٩).



«اللَّهمَّ اجعلنا من الَّذين تراسلت عليهم ستور عصمة الأَوْلياء وحُصِّنت قلوبهم بطهارة الصَّفاء»[١].

وبمثله قال الهجويري (ت ٤٦٥ هـ) بالعصمة في قوله: «ويجوز أيضًا أن يمنح واحدًا الولاية بإقامته على طاعته، ويحفظه في حفظه وعصمته، ليقيم على طاعته، ويتجنب مخالفته، ويفر الشيطان من حُسنه»[٢] ونَلحظ هنا جمعه بين التصريح بالعصمة والتعبير عنها بالحفظ.

أما من اشتهر عنه من أئمة المتصوفة ممن قال بالعصمة، وجاء عنه النقل - أيضًا - بنفيها؛ فيأتي في مقدمتهم القشيري صاحب الرسالة، وإن كان قوله بالعصمة هو الأشهر فيما عُرف ونُقل عنه، مما يوحي بضعف وبطلان هذا الاعتقاد الفاسد.

فقد أورد في رسالته فصلًا قال فيه: «فصل: ولا ينبغي للمريد أَن يعتقد في المشايخ العصمة؛ بل الواجب أَن يذرهم وأحوالهم فيحسن بهم الظن»[٣].

وبالمقابل يُورد في تعريف له للولي بأنه محفوظ، والنبي معصوم ويفرق بين المعنيين ولا فرق؛ فيقول:

«الوليّ على وزن فعيل مبالغة من الفاعل، وهو من توالت طاعاته، من غير أن يتخللها عصيان، ويجوز أن يكون فعيل بمعنى مفعول؛ كجريح وقتيل بمعنى مجروح ومقتول؛ فيكون الوليّ من يتوالى عليه إحسان الله وأفضاله، ويكون بمعنى كونه محفوظا في عامة أحواله من المحن، وأشدّ المحن ارتكاب المعاصي فيعصمه الحقّ - سبحانه-، على دوام أوقاته من الزّلّات.

وكما أن النبيّ لا يكون إلا معصومًا، فالوليّ لا يكون إلا محفوظًا.

والفرق بين المحفوظ والمعصوم؛ أن المعصوم لا يلمّ بذنب البتّة، والمحفوظ قد تحصل منه هنات، وقد يكون له - في الندرة - زلّات، ولكن لا يكون له إصرار.

---

(١) حلية الأولياء (٩/٣٣٥).

(٢) كشف المحجوب (٢/٤٤٤).

(٣) الرسالة القشيرية (٢/٥٧٩).

ثم يقول: ولا يكون وليًّا إلا إذا كان موفّقا لجميع ما يلزمه من الطاعات، معصومًا بكل وجه عن جميع الزلات. وكل خصلة حميدة يمكن أن يعتبر بها فيقال: هي صفة الأولياء. ويقال الولي من فيه هذه الخصلة»(١).

وفي موضع آخر له؛ يثبت العصمة للأولياء فيقول: «واعلم أَن أجل الكرامات الَّتي تكون للأولياء: دوام التوفيق للطاعات، والعصمة عن المعاصي والمخالفات»(٢).

أما الغزالي فقد ظهر اضطرابه في أمر العصمة، وذلك عند كلامه عن حاجة المريد إلى شيخ وأستاذ يقتدي به، حيث يذكر الواجب على المريد تجاه شيخه حيث يقول في الإحياء: «معتصم المريد شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد؛ بحيث يفوض أمره إليه بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبقى في متابعته شيئًا ولا يذر، وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ؛ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب، فإذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على مُعتصمه أن يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق»(٣).

والاضطراب في كلام الغزَّالي - هنا - ظاهر؛ حيث يأمر المريد ابتداء بالتمسك بشيخه تمسك الأعمى وتفويض الأمر له كلية، ثم يُجيز بعد ذلك الخطأ على الشيخ، وأن نفع المريد في خطأ شيخه أكثر من نفعه في صواب نفسه.

وفي رد الغزالي على الإسماعيلية في معتقدهم بعصمة الإمامة يظهر في كلامه رد للعصمة، وهذا يعد اضطرابًا عنده، وفي هذا يقول: «بماذا عرفتم صحة كونه معصومًا ووجود عصمته؟؛ أبضرورة العقل أو بنظره أو سماع خبر متواتر عن رسول الله ﷺ يورث العلم الضروري؟، ولا سبيل إلى دعوى الضرورة ولا إلى دعوى الخبر المتواتر المفيد للعلم الضروري لأن كافة الخلق تشترك في دركه، وكيف يدعي ذلك وأصل وجود الإمام لا يعرف ضرورة بل نازع منازعون فيه فكيف تعلم عصمته ضرورة وإن ادعيتم ذلك؛ بنظر العقل فنظر العقل عندكم باطل، وإن سمعتم

---

(١) لطائف الإشارات (٢/١٠٤-١٠٥).

(٢) الرسالة القشيرية (٢/٥٢٦).

(٣) إحياء علوم الدين (٣/٧٦).

من قول إمامكم أن العصمة واجبة للإمام فلم صدقتموه قبل معرفة عصمته بدليل آخر؟، وكيف يجوز أن تعرف إمامته وعصمته بمجرد قوله»[(١)].

ومن أئمة الصوفية - كذلك-، مما ظهر في موقفه اضطرابًا في شأن عصمة الأولياء، الجيلاني فقد جاء عنه النقل مصرحًا بمنع العصمة للولي حيث يقول في الغنية - وهو أشهر كتاب له-، حيث يقول في بيانه لآداب المريد مع شيخه:

«وإذا ظهر له من الشيخ ما يكره في الشرع استخير عن ذلك بضرب المثل والإشارة، ولا يصرح به لئلا ينفر به عليه، وإن رأى فيه عيبًا من العيوب ستره عليه، ويعود بالتهمة على نفسه، ويتأول للشيخ في الشرع، فإن لم يجد له عذرًا في الشرع استغفر للشيخ ودعا له بالتوفيق والعلم والتيقظ والعصمة والحمية، ولا يعتقد فيه العصمة»[(٢)].

هذا ما جاء عنه مصرحًا بنفي العصمة، وبالمقابل جاء عنه النص بإثباتها -أي العصمة للولي-، على سبيل الإشارة:

فنجد الجيلاني يُحذر المريد من ترك مخالفة الشيخ أو الاعتراض عليه، وذلك عند كلامه عن آداب المريد مع الشيخ حيث يقول:

«فالواجب عليه -أي المريد- ترك مخالفة شيخه في صحبته في الظاهر، وترك الاعتراض عليه في الباطن، فصاحب العصيان بظاهره تارك لأدبه، وصاحب الاعتراض بسره متعرض لعطبه، بل يكون خصمًا على نفسه لشيخه أبدًا، يكف نفسه ويزجرها عن مخالفته ظاهرًا وباطنًا، ويكثر قراءة قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]»[(٣)].

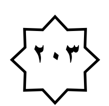
مما سبق نجد نصين منقولين عن الجيلاني من أحد كتبه أحدهما فيه الإشارة بإثبات العصمة، والآخر فيه التصريح بعدم العصمة للشيخ، وهو الأولى بالأخذ به لصراحته، ولما عُرف عن الجيلاني من موافقته للسنة وثناء علماء أهل السنة والجماعة عليه وذلك في الجملة، وقد

---

(١) فضائح الباطنية (ص ١٤٢).

(٢) الغنية (٢/٢٧٩).

(٣) المصدر السابق (٢/٢٧٩).



كان يعظِّم الأَمر وَالنَّهْي ويوصي باتِّباع ذلك. لذا فإن كلامه الذي يفهم منه القول بالعصمة يُحمل على التأكيد على حق الشيخ وصحبته والأخذ منه.

ومن أئمة الصوفية الذي لهم أتباع إلى يومنا هذا وفرقة تنسب له؛ الشاذلي فقد وقفت على نصين له فيهما إثبات للعصمة للولي ونفيها عنه مما يعني اضطرابًا في موقفه.

والنص الأول الذي جاء فيه التصريح بالعصمة هو:

«إن من خواص القطب إمداد الله له بالرحمة والعصمة والخلافة والنيابة»(١).

وجاء عنه في نص آخر نقله عنه الشعراني، في تأكيد على أهمية التمسك بالكتاب والسنة وأن العصمة فيهما لا في غيرهما من كشف وإلهام حيث يقول:

«إذا عارض كشفك الكتاب، والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك إن الله تعالى، قد ضمن لي العصمة في الكتاب، والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الإلهام، ولا المشاهدة»(٢).

وممن اضطرب في كلامه عن العصمة؛ الشعراني صاحب الطبقات فقد قال في مننه الكبرى مقررًا ذلك بعد كلام طويل:

«فَعُلِم أن العصمة شرط في النبوة لا في الولاية؛ وذلك لأن الأولياء دعاة بواطن وأسرار، والأنبياء – عليهم السلام –، دعاة علانية وإظهار، فيجب عليهم إظهار المعجزة والتحدي بها؛ لقيام الحجة على المعاندين والكفار؛ لأنهم يدعون الناس بحكم الاستقلال، بخلاف الأولياء، فإنما يدعون الناس بحكم الاتباع لنبيهم بشرعه الثابت المقرر، الذي لاشك فيه»(٣).

وبما نقله عن شيخه الخواص من أنه: «لا يجوز العمل بقول الأشياخ الذين ماتوا إذا تصور أنهم خاطبوا مريديهم بأمر أو نهي إلا بعد عرض ذلك على علماء الشريعة، فربما كان الناطق من القبر شيطانًا لعدم عصمة الولي عن مثل ذلك»(٤).

---

(١) القصد للشاذلي نقلًا عن الصلة بين التصوف والتشيع (ص ٤١٧).

(٢) الطبقات الكبرى، للشعراني (٩/٢).

(٣) لطائف المنن والأخلاق (ص ٥٨٦).

(٤) المصدر السابق (ص ٥٥٠).

وفي كشف الحجاب يقول مصرحًا بعدم العصمة، وذلك في سياق كلامه عن الفرق بين الولاية والرسالة ما نصه:

«إن النبوة لا تأتي علومها إلا على يد ملك من الملائكة بخلاف الولاية، ليس فيها واسطة بين الله وبين عبده، وإنما كانت مع هذا الشرف العظيم أنزل من النبوة لعدم عصمة صاحبها»(١).

إلا أنه مع هذا التصريح، فقد وُجِدَ من الشعراني في عدد من كتبه سواء ما قال به صراحة أو إشارة، أو مانقله عن شيخه الخوَّاص أو غيره، أو ما أورده من قصص في طبقاته - والتي هي في حقيقتها خرافات وليست كرامات كما يزعم-، ما فيه دليل على قوله بالعصمة، ويعني كذلك اضطرابًا في موقفه منها.

فقد نقل الشعراني عن السبكي كما في الأنوار؛ تحذيرًا بسوء خاتمة من أنكر على الأولياء، حيث يقول: «مارأينا أحدًا مُبتلَى بالإنكار، إلا وكانت خاتمته سوء»(٢) وعدم الإنكار على الولي لكماله فيه إشارة للعصمة.

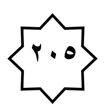
وعندما سأل الشعراني شيخه الخوَّاص عن الفرق بين العصمة والحفظ، كان في إجابة شيخه الخواص إثباتًا للعصمة حيث يقول: «متى صح للعبد سجود القلب لله - عز وجل-، استحق العصمة إن كان نبيًا و والحفظ إن كان وليًا فقلت له: كيف؟ فقال - ﷺ: لأن المعاصي لا تعد إلا على من عنده بقية من الكبرياء والفخر والعظمة، فيبتليه الله بالمعاصي لينكس رأسه، ويرجع إلى مقام عبوديته من الذل والانكسار، وأما مَن مَنَّ الله تعالى، عليه بسجود قلبه بين يديه، فلم يبق عنده بقية كبر ولا فخر، ودام سجوده أبد الآبدين، وإنما خص العلماء لفظ العصمة بالأنبياء من أجل فعلهم المباح فأنهم لا يفعلونه إلا على جهة التشريع أنه مباح، فهو واجب عليهم فعله لوجوب التبليغ عليهم فلذلك لا يتصور منهم معصية قط، بخلاف غيرهم إذا فعلوا مباحًا لا يفعلونه إلا على أنه مباح، فهذا هو الفرق بين العصمة، والحفظ بالنظر للفظ لا للمعنى فافهم»(٣).

---

(١) كشف الحجاب والران (ص ٨٨-٨٩).

(٢) الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية (ص ٧٤).

(٣) الجواهر والدرر، على هامش كتاب الإبريز (ص ١٢٦-١٢٧).



وعندما سأل الشعراني شيخه الخوَّاص لم تَؤول العلماء ما يقع من أكابر الأولياء من الألفاظ كما تَؤولوه للأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟ فكان جواب الخوَّاص: «لو تم إنصاف لكان الأولياء أحق بالتأويل لقصورهم عن مرتبة الشارع في الفصاحة والبيان، ولكن ما تم في كل عصر أقل من الإنصاف، وغاب عنهم أن الأولياء هم الأشراف على حضرات الوحي، فربما تهب على قلوبهم من تلك الحضرة نفحات تكشف لهم من حقائق الأمور، فيكون من الأدب قبول تلك النفحات بالإيمان كما قبلت من الأنبياء»[1] وتأويل معاصي الأولياء، وعدم حملها على ظاهرها أحد الركائز للقول بالعصمة.

ومن الصوفية الذين اضطربت أقوالهم في العصمة؛ الدباغ -وهو صوفي متأخر (ت١١٣١هـ)- وقد وقفت على نصوص له تبين ذلك وذلك إما في كتاب واحد ينسب له أو في كتاب آخر اختص بنقل كلامه ومروياته وما نقل عنه، وهو كتاب الإبريز، فنجده -كما مر سابقًا بكثرة-[2] يزعم أن «من شرط هذا العارف الولي؛ أن يكون محفوظًا مما يخالف الشرع، كما أن شرط النبي؛ أن يكون معصومًا ، فهذا وأمثاله بهم يرحم الله تعالى الخلق»[3] والحفظ بمعنى العصمة لا فرق وإن اختلف اللفظ كما يروج لذلك المتصوفة.

ونُقل عنه - كما في الإبريز - قوله: «علامة المحبة الصافية سقوط الميزان من المريد على الشيخ حتى تكون أفعال الشيخ وأقواله وجميع أحواله كلها موفقة مسددة في نظر المريد، فما فهم له وجهًا فذاك، ومالم يفهم له سرًا وكله إلى الله تعالى، مع جزمه بأن الشيخ على صواب، ومتى جوَّز أن الشيخ على غير صواب فيما ظهر له خلاف الصواب فيه فقد سقط على أم رأسه ودخل في زمرة الكاذبين»[4] وهذا الكلام فيه إشارة للعصمة، وإن كان بلا تصريح.

وفي موضع آخر يزعم أن: «الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاص، وإنما روحه حجبت ذاته فظهرت في صورتها. فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية»[5].

---

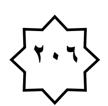
(١) الجواهر والدرر (ص ١١٠-١١١) على هامش كتاب الإبريز.

(٢) وذلك عند الكلام في الفصل الثالث عن مسالك الصوفية في تقرير عصمة الأولياء، (ص ١٤٧).

(٣) مشارق أنوار القلوب (ص ١٠٣).

(٤) الإبريز (ص ٣١٤).

(٥) المصدر السابق (ص ٣٣٢).



إلا أنه مع تواتر النصوص المنقولة والمنسوبة إليه بالقول بالعصمة نجده يقول: «وأما ذات الولي، فإنها قبل الفتح من جملة الذوات ليس فيها شيء زائد، فإذا فُتح عليها جاءتها الأنوار فأنوارها عارضة، ولذا كان الولي غير معصوم قبل الفتح وبعده»(١).

وقال أيضًا: «أين العصمة والولي إذا وقع له الفتح نزع الله منه اثنين وسبعين عرقًا من عروق الظلام، فبعضها ينشأ عنه الكذب، وبعضها ينشأ عنه الكبر، وبعضها ينشأ عنه الرياء، وبعضها ينشأ عنه حب الدنيا، وبعضها ينشأ عنه الشهوة ومحنة الزنا، وغير ذلك من القبائح»(٢).

وفي موضع آخر يقول: «أمَّا ذات الولي، فإنها كسائر الذوات، بخلاف الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – فإنهم جبلوا على العصمة، وفطروا على معرفة الله وتقواه»(٣).

وقال: «فكيف بالنبي الذي فطر على العصمة، ونشأت ذاته عليها»(٤).

وكذلك من الصوفية الذين وجد في عباراتهم المتعلقة بالعصمة اضطراب، وعدم ثبات على القول بالعصمة من عدمها أحمد الكمشخانوي، وهو من الصوفية المتأخرين، وكانت وفاته سنة (١٣١١ هـ).

فنجده في جامعه يأمر المريد بأن لا يعتقد في شيخه العصمة، ويحسن به الظن فيقول:

«ولا ينبغي له أن يعتقد في المشايخ العصمة؛ بل يذرهم وأحوالهم فيحسن بهم الظن، ويراعي مع الله حدوده»(٥).

وفي موضع آخر من كتابه يشير إلى العصمة وذلك عند تفسيره للإنسان الكامل، في وصف فيه غلو ظاهر وتشبيه بالإله.

فيقول عن الإنسان الكامل بأنه: «الجامع لكل المراتب الإلهية والكونية من العقول والنفوس الكلية والجزئية، ومراتب الطبيعة إلى آخر تنزلات الوجود وتسمى بالمرتبة العمائية أيضًا، فهي مضاهية لمرتبة الإلهية ولا فرق بينهما بالربوبية، والمربوبية ولذلك صار خليفة الله»(٦).

---

(١) المصدر السابق (ص ٢١٧).

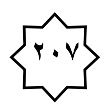
(٢) المصدر السابق (ص ٢٢٤).

(٣) المصدر السابق (ص ٣٢٢-٣٢٣).

(٤) المصدر السابق (ص ٢٢٤).

(٥) جامع الأصول في الأولياء (ص ٢١٥).

(٦) المصدر السابق (ص ٢٢٤).



ويقصد بالإنسان الكامل الشيخ كما قال في موضع آخر: «الإنسان الكامل في علوم الشريعة، والطريقة والحقيقة البالغ إلى حد التكميل فيها؛لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها ومعرفته بدوائها وقدرته على شفائها والقيام بهداها؛ إن استعدت ووفقت لاهتدائها»[١].

وقد نص الكمشخانوي في جامعه على حفظ حرمة المشايخ والتعظيم لهم وترك المخالفة، واستدل بقصة موسى -عليه السلام-، مع الخضر. ويذكر بعد ذلك نصوصًا كثيرة ينقلها عن أئمة للمتصوفة؛ فيها التحذير من مخالفة الشيخ، وبيان سوء خاتمة من يعترض على الشيخ[٢].

وجعل أمر تأويل المريد للمعاصي التي قد تظهر للولي واتباع أمره؛ أحد شروط الشيخ الخمسة الذي يلقي المريد إليه نفسه فيقول عنها إنها:

«اتباع الأمر وإن ظهر له خلافه، واجتناب النهي وإن كان فيه حتفه، وحفظ حرمته حاضرًا أو غائبًا، حيًا وميتًا، والقيام بحقوقه حسب الإمكان بلا تقصير، وعزل عقله وعمله ورياسته إلا ما يوافق ذلك من شيخه»[٣].

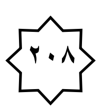
فنحن هنا أمام نصوص كثيرة ذكرها الكمشخانوي في كتاب واحد له، كلها تشير إلى اضطرابه في شأن العصمة، وإن كان الأغلب قوله بالعصمة كما يفهم من كلامه وما أشار به.

---

(١) المصدر السابق (ص ١٥٣).

(٢) ينظر: المصدر السابق (ص ٢١٦).

(٣) المصدر السابق (ص ٢٧).



المبحث الثالث

أثر القول بالعصمة

إن للقول بالعصمة للولي عند المتصوفة آثارًا سيئة ترتبت على القول بها ونتجت عنها، وهذه الآثار قد كَثرت وتنوعت، لا تزال تلك الآثار باقية حتى زماننا هذا، يصل بعضها إلى الكفر ومجانبة الإسلام، ويأتي من أبرز تلك الآثار السيئة والتي وقفت عليها:

أولا: وجوب التوسل والاستغاثة بالولي.

أوجب المتصوفة على مريديهم وجوب التوسل بالولي للمنزلة التي يعتقدونها فيهم والتي كان منها اعتقاد العصمة فيهم؛ لأن من المصلحة كما يزعم الدباغ ربط عقول الناس بعباد الله الصالحين(١).

فاشتهرت عنهم عبارات فيها توسل بغير الله تعالى، كقولهم: مدد ياجيلاني ونحوها(٢).

وعند حديث الدباغ عن الأسباب الموجبة للانقطاع عن الله – عز وجل–، نجده يقول: «التوسل إلى الصالحين بالله –عز وجل– ليقضوا الحاجة، فيقول الزائر: قدمت لك وجاه الله ياسيدي فلان إلا ما قضيت لي حاجتي، وإنما كان سببًا للانقطاع؛ أن الزائر قلب الواجب وعكس القضية، فإنه كان من حقه أن يتوسل لله – عز وجل – بأوليائه لا أن يعكس»(٣) فانظر إلى ما أوجبه وقرره وخالف به الفطرة.

وفي موضع آخر يقول: «وإذا أراد الله شقاوة قوم، وعدم انتفاعهم بالولي، سخرهم الحق فيما هم فيه من قبح ومخالفة»(٤).

ولا عجب أن نجد من توسلاتهم ما فيه صبغة إمامية شيعية، وهذا يؤكد على الارتباط والتأثر الصوفي بالتشيع(٥).

---

(١) الإبريز (ص ٢٥٠).

(٢) ينظر: العلاقة بين الصوفية والإمامية (ص ٣١٢).

(٣) الإبريز (ص ٢٥٠).

(٤) المصدر السابق (ص ٣٣١).

(٥) أشار إلى الارتباط الصوفي الشيعي من خلال ما تضمنه هذا الدعاء؛ الحمام في كتابه: العلاقة بين الصوفية والإمامية (ص ٣١٢).

من ذلك ما جاء في حزب الفرج المنسوب للرفاعي من قوله: اللهم بجاه الحسين وأخيه، وجده وأبيه، وأمه وبنيه، فرج عني وعن المسلمين ما نحن فيه»[١].

والتوسل بالجاه هو من التوسل البدعي، سواء كان هذا السؤال بجاه أو بحق أحد من الأنبياء أو الأولياء والصالحين، حتى لو لم يتقرب إليهم بشيء من العبادة.

وهو ممنوع سدًا لذريعة الشرك، ولا شك أن التوسل بجاه الأنبياء والصالحين وسيلة من وسائل الشرك؛ التي تفضي إليه على مر الأيام كما دلت عليه التجارب وشهد له الواقع[٢].

فانظر إلى تخويفهم المريد من المخالفة والإنكار للمحرمات، وإجازتهم للاستغاثة بالميت بزعم العصمة.

ونجد أن الشعراني كما في مننه الكبرى يقرر ما عليه المشركون من اتخاذ أوليائهم واسطة بينهم وبين الله، كما جاء في الآية الكريمة: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر:٣] فيزعم بقوله للمريد:

«فخالط يا أخي مشايخك بالأدب، وإلا كانت صحبتك لهم سمًا قاتلًا لك، وإنما قلنا إن من شرط المريد أن يرى جميع ما هو فيه من الخير ببركة شيخه لأن كل مريد محبوس في دائرة شيخه، لا يمكنه أن يتجاوزها، فلا يُمد بمدد إلا وشيخه واسطة له فيه، فافهم ذلك، واعمل على التحلق به»[٣] نعوذ بالله من هذا الشرك.

يتحدث الشيخ الميلي عن حال المتصوفة مع أوليائهم في هذا الزمان وتعلقهم بهم، واستغاثتهم بهم في كروبهم قائلًا:

«فهم المطلوبون في كل شدة، ولكل محتم بهم عدة، وهم حماة للأشخاص، وللقرى والمدن، كبيرها وصغيرها، حاضرها وباديها، فما من قرية بلغت ما بلغت في البداوة أو الحضارة؛ إلا ولها ولي تنسب إليه، فيقال: سيدي فلان هو مولى البلد الفلاني، ويجب عند هؤلاء الناس أن يكون علماء الدين خدمة لهؤلاء الأولياء، مقرين لأعمالهم وأحوالهم، غير منكرين لشيء منها، وإلا

---

(١) حزب الفرج (ص ٣٠) نقلًا عن العلاقة بين الصوفية والإمامية (ص ٣١٢).

(٢) ينظر: المرجع السابق (١/٥٠١) المجموعة الأولى.

(٣) لطائف المنن والأخلاق (ص ٢٧٠).

أوذوا بضروب السباب ومستقبح الألقاب، وسلبوا الثقة بعلمهم، ووشي بهم إلى الحكام، وذلك حظ الدعاة إلى السنة من مبتدعي هذه الأمة»[١].

ثانيًا: تفضيل الولي على النبي.

وهذا الأثر يعتبر من أعظم الآثار خطورة نظرًا لأن مؤداه إلى الكفر قال به بعض المتصوفة تعظيمًا لهم للولي، وإنزاله منزلة تفوق المنزلة التي أنزلهم الله إياها بصريح القرآن والسنة، وخطورة هذا الأثر تجعلنا نبسط الكلام فيه.

يقول الطحاوي[٢] في عقيدته الشهيرة: «ولا نفضل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء»[٣].

ويعلق شارح الطحاوية على ذلك بقوله: «أهل الاستقامة يوصون بمتابعة العلم ومتابعة الشرع. فقد أوجب الله على الخلق كلهم متابعة الرسل، قال تعالى:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء:٦٤-٦٥]»[٤].

إلى أن قال: «كثير من هؤلاء يظن أنه يصل بريَاسته واجتهاده في العبادة، وتصفية نفسه، إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم، ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء، ومنهم من يقول إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء، ويدعي لنفسه أنه خاتم الأولياء»[٥].

---

(١) رسالة الشرك ومظاهره (ص ١٧٩-١٨٠) إلا أن تعبيره بأن «ما من قرية بلغت ما بلغت في البداوة أو الحضارة، إلا ولها ولي تنسب إليه» هذا تعبير عام لا يقر عليه، فبلادنا-كمثال ولله الحمد. تنعم بنعمة التوحيد وفضله آثاره.

(٢) هو: الإمام أحمد بن مُحَّد بن سلامة المصري الطحاوي الأزدي الحنفي، وطحا قرية بصعيد بِمصر، محدث الديار المصرية وفقيهها، انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر وكان ثقَة ثبتًا عاقلًا، له من التصانيف: اختلاف العلماء، و الشروط، و أحكام القرآن، و معاني الآثار، قال الإمام الذهبي: من نظر في تواليف هذا الإمام علم محله من العلم، وسعة معارفه. وتوفي بِمصر سنة ٣٢١ هـ، ينظر: الفهرست (ص ٢٥٧)، الأنساب (٧٣/٤)، اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (٤٦/١)، سير أعلام النبلاء (٢٧/١٥ ومابعدها)، الوافي بالوفيات (٧/٨-٨).

(٣) الطحاوية، بشرح وتعليق الألباني (ص ٨٣).

(٤) شرح الطحاوية (٧٤٢/٢).

(٥) المصدر السابق (٧٤٣/٢).

ومع هذا الادعاء فإنه: «إذا كان خاتم الأولياء آخر مؤمن تقي في الدنيا؛ فليس ذلك الرجل أفضل الأولياء ولا أكملهم بل أفضلهم وأكملهم سابقوهم الذين هم أخص بأفضل الرسل من غيرهم؛ فإنه كلما كان الولي أعظم اختصاصًا بالرسول وأخذًا عنه وموافقة له؛ كان أفضل إذ الولي لا يكون وليًا لله إلا بمتابعة الرسول باطنًا، وظاهرًا»(١).

وقد أشار السرَّاج الطوسي وهو من الصوفية المتقدمين (ت: ٣٧٨ هـ) إلى هذا الغلط في كتابه اللمع، رافضًا له عندما بوَّب في كتابه بابًا أسماه: باب في ذكر من غلط في النبوة والولاية، وذكر أن ذلك قول لفرقة وأن غلطهم قد وقع في قصة موسى -عليه السلام-، مع الخضر وأن ذلك ناتج عن تفكرهم برأيهم(٢).

وعندما عرض شيخ الإسلام إلى اللفظ المحدث وهو لفظ خاتم الأولياء، و بيان أول من أحدثه؛أشار إلى هذا الغلط وذلك عندما قال: «وكذا لفظ (خاتم الأولياء) لفظ باطل لا أصل له، وأول من ذكره مُحَمَّد بن علي الحكيم الترمذي، وقد انتحله طائفة كل منهم يدعي أنه خاتم الأولياء: كابن حمويه(٣) وابن عربي وبعض الشيوخ الضالين بدمشق وغيرها، وكل منهم يدعي أنه أفضل من النبي عليه السلام من بعض الوجوه، إلى غير ذلك من الكفر والبهتان، وكل ذلك طمعًا في رِيَاسة خاتم الأولياء لما فاتتهم رِيَاسة خاتم الأنبياء، وقد غلطوا، فإن خاتم الأنبياء إنما كان أفضلهم للأدلة الدالة على ذلك، وليس كذلك خاتم الأولياء»(٤).

وقال في موضع آخر:

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/٢٢٥).

(٢) ينظر: اللمع (ص ٥٣٥-٥٣٦).

(٣) هو: مُحَمَّد بن حمويه بن مُحَمَّد الجويني الصوفي، شيخ الصوفية بخراسان، انجذب إلى الزهد، كان من المشهورين بالعلم والزهد، وكان يعظ الناس على طريق التصوف، صاحب كرامات، وقد ابتنى رباطًا، وكان عنده فيه جماعة من المتعبدين والزهاد، صنّف كتاب: لطائف الأذهان في تفسير القرآن، وسلوة الطالبين في سيرة سيد المرسلين صلّى الله عليه وسلم، وكتابًا في علم الصوفية، وغير ذلك توفي سنة ٥٣٠ هـ-، ينظر: الأنساب (٣/٤٣١)، المنتظم لابن الجوزي (١٧/٣١٧)، سير أعلام النبلاء (١٩/٥٩٨)، الوافي في الوفيات (٣/٢٣)، البداية والنهاية (١٢/٢٦٢)، شذرات الذهب (٦/١٥٦).

(٤) قاعدة في المعجزات والكرامات، ضمن مجموع الفتاوى (١١/٤٤٤).

«ودعوى العصمة تضاهي المشاركة في النبوة؛ فإن المعصوم يجب اتباعه في ما يقول، لا يجوز أن يخالف في شيء. وهذه خاصة الأنبياء، ولهذا أمرنا أن نؤمن بما أنزل إليهم فقال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٣٦]، فأمرنا أن نقول: آمنا بما أوتي النبيون. وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥].وقال تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧]. فالإيمان بما جاء به النبيون مما أمرنا أن نقوله ونؤمن به. وهذا مما اتفق عليه المسلمون: أنه يجب الإيمان بكل نبي، ومن كفر بنبي واحد فهو كافر، ومن سبه وجب قتله باتفاق العلماء. وليس كذلك من سوى الأنبياء، سواء سموا أولياء أو أئمة أو حكماء أو علماء أو غير ذلك. فمن جعل بعد الرسول معصوما يجب الإيمان بكل ما يقوله فقد أعطاه معنى النبوة، وإن لم يعطه لفظها.

ويقال لهذا: ما الفرق بين هذا وبين أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا مأمورين باتباع شريعة التوراة؟»[١].

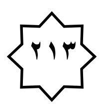
وبين رحمه الله تعالى أن المتصوفة شابهوا الشيعة بهذا التفضيل عندما بين أنهم:

«جعلوا الولاية فوق النبوة وهؤلاء من جنس القرامطة[٢] الباطنية الملاحدة، لكن هؤلاء ظهروا في قالب التصوف والتنسك ودعوى التحقيق والتأله، وأولئك ظهروا في قالب التشيع

---

(١) منهاج السنة النبوية (١٨٧/٦ وما بعدها).

(٢) القرامطة: من فرق الباطنية وهم صنف من الرافضة، لقبوا بها نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرمط،، استجاب له في دعوته رجال؛ فسموا قرامطة وقرمطية وقد ضل بسببه خلق كثير، يزعمون أن النبي ﷺ نص على علي بن أبي طالب، يزعمون: أن الله نور علوي لا تشبهه الأنوار ولا يمازجه الظلام إلى غير ذلك من العقائد المنحرفة، اجتمع منهم قوم وقطعوا الطريق على الحج وقتلوهم وأرادوا أن يخربوا مكة فدفع الله تعالى شرهم وقتلوا عاقبة الأمر، ينظر: مقالات الإسلاميين (ص ٢٦)، التنبيه والرد (ص ٢٠-٢١)، فضائح الباطنية (ص ١٢)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٧٩).



والموالاة، فأولئك يعظمون شيوخهم حتى يجعلوهم أفضل من الأنبياء، وقد يعظمون الولاية حتى يجعلوها أفضل من النبوة، وهؤلاء يعظمون أمر الإمامة، حتى قد يجعلون الأئمة أعظم من الأنبياء، والإمام أعظم من النبي، كما يقوله الإسماعيلية»(١).

وقد نَقل صاحب الإبريز؛شيئًا من شطحات البسطامي منها ما يفهم منه تفضيل الولي على النبي عندما قال البسطامي: «خضنا بحورًا وقفت الأنبياء بسواحلها»(٢).

وقد حاول الدباغ تبرير هذا القول الشنيع بكلام متهافت عندما قال:

«النبوة خطرها جسيم، وقدرها عظيم، فهيهات أن يصل الولي إلى رجالها؛ ولكنه قد علم أن سيد الوجود ﷺ هو سيد الأنبياء وإمام المرسلين، وقد يعير ﷺ بعض أثوابه لبعض الكاملين من أمته الشريفة، فإذا لبسه حصل له ما قاله أبو يزيد البسطامي، وذلك في الحقيقة منسوب إلى النبي ﷺ فهو الخائض لتلك البحور»(٣) وقد هرب – هنا–، الدباغ من تفضيل الولي على النبي فوقع في تشبيهه بالنبي.

وعند كلام الحكيم الترمذي عن ختم الولاية، نجده يزعم فرقًا بين النبوة والولاية عندما قال: «الفرق بين النبوة والولاية أن النبوة كلام ينفصل من الله وحيًا، معه روح من الله فيقضي الوحي ويختم بالروح، فبه قبوله، والولاية لمن ولى الله حديثه على طريق أخرى، فأوصله إليه فله الحديث، وينفصل ذلك الحديث من الله – عز وجل–، على لسان الحق معه السكينة تتلقاه السكينة في قلب المحدّث، فيقبله ويسكن إليه»(٤) إذن في النهاية حديثهما كلاهما منفصل عن الله لكن هذا من طريق وهذا من آخر.

علمًا أن الحكيم الترمذي قد اتهم بسبب تصنيفه كتاب: (ختم الولاَيَة)، وكتاب: (علل الشَّريعة)، بتفضيل الولاَية على النُّبوة، رغم اعتذار السلمى عنه ببعد فهم الفاهمين، والسبكي بأن هذا لا يظن بِمسلم أَنه يفضل بشرًا غير الأَنبِياء عليهم السَّلام على الْأَنبياء.

ويتضح أثر العصمة في تفضيل الولي على النبي في قول ابن عربي:

---

(١) منهاج السنة النبوية (٨/٢٣).

(٢) الإبريز (ص ٣٩٤).

(٣) المصدر السابق (ص ٣٩٤).

(٤) ختم الأولياء (ص ٣٤٦-٣٤٧).

«إذا حصلت للإنسان حالًا مشاهدة عين فقد كمل، وكملت معرفته وعصمته، فلم يكن للشيطان عليه من سبيل وتسمى هذه العصمة في حق الولي حفظًا، كما تسمى في النبي والرسول عصمة»[(١)].

والسبب في هذا التفريق كما يزعم ابن عربي: «ليقع الفرق بين الولي والنبي؛ أدبًا منهم مع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ليختصوا باسم العصمة»[(٢)].

وأي أدب مع مقام النبوة والرسالة، وقد جعلها ابن عربي دون الولاية في أبيات شعره الشهيرة:

سماء النبوة في برزخ ... دُوَينَ الولي وفوقَ الرسول[(٣)]

وفي فُصوصه يقول: «فإذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو وليّ عارف، ولهذا مقامه من حيث هو عارف أتمّ وأكمل من حيث هو رسول أو ذو تشريع وشرع»[(٤)].

وهنا تصريح آخر بفضل الولاية على النبوة، وأنها أتم وأكمل.

يقول شارح الطحاوية: «وهذا قلب للشريعة، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[يونس: ٦٢-٦٣]، والنبوة أخص من الولاية، والرسالة أخص من النبوة»[(٥)].

ونجد شيخ الإسلام -رحمه الله- عند كلامه عن ابن عربي يبين مذهبه القائم على تفضيل الولي على النبي، وأصل هذا المذهب الفاسد فيقول:

«وكذلك ابن عربي صاحب فصوص الحكم والفتوحات المكية؛ ولهذا ادعى أنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك، الذي يوحى به إلى الأنبياء، والنبي عنده يأخذ من الملك الذي يوحى به إلى الرسل؛ لأن النبي عنده يأخذ من الخيالات التي تمثلت في نفسه لما صورت له

---

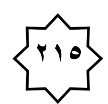
(١) الفتوحات المكية (٦٢٨/١).

(٢) المصدر السابق (١/ ٦٢٨).

(٣) تنزل الأملاك في حركات الأفلاك لابن عربي (ص ٣٥).

(٤) فصوص الحكم لابن عربي، فصّ حكمة قدرية في كلمة عزيرية (١٣٥/١).

(٥) شرح الطحاوية (٧٤٤/٢).



المعاني العقلية في الصور الخيالية، وتلك الصور عنده هي الملائكة، وهي بزعمه تأخذ عن عقله المجرد قبل أن تصير خيالا؛ ولهذا يفضل الولاية على النبوة، ويقول:

مقـــــام النبـــــوة في بـــــــرزخ فويـــــق الرســـــول ودون الـــــولي[١]

والولي على أصله الفاسد يأخذ عن الله بلا واسطة؛لأنه يأخذ عن عقله، وهذا عندهم هو الأخذ عن الله بلا واسطة»[٢].

«فلهذا صار خاتم الأولياء أفضل عندهم من هذه الجهة، وهذا باطل وكذب فإن الولي لا يأخذ عن الله إلا بواسطة الرسول إليه، ولن يصلوا في أخذهم عن الله إلى مرتبة نبي أو رسول، فكيف يكونون آخذين عن الله بلا واسطة»[٣].

هذا وقد رد السرَّاج الطوسي على ضلال هذا القول وبين بطلانه عند بيانه لسبب قولهم، وذلك بأن هذه الطائفة الضالة ظنت أن ذلك نقصًا في نبوة موسى –عليه السلام–، وزيادة للخضر على موسى في الفضيلة –إشارة لقصة موسى عليه السلام مع الخضر– فأداهم ذلك إلى تفضيل الأولياء على الأنبياء عليهم السلام.

وبين الطوسي أن كل ولي من الأولياء ينال ما ينال من الكرامة بحسن اتباعه لنبيه – صلى الله عليه وسلم–، فكيف يجوز أن يفضل التابع على المتبوع والمقتدي على المقتدى به؟[٤].

ومن الذين أنكروا تفضيل الولي على النبي من الصوفية المتأخرين؛ الدباغ فقد جاء عنه كما في الإبريز:

«وقد غلط بعض الأولياء من أهل الفتح فظن أن الولي العارف الكبير قد يبلغ مقام النبي في المعرفة، وإن كان في الدرجة لا يصله، وهذا الذي ظنوه غلط مخالف لما في نفس الأمر، والصواب أن الولي، ولو بلغ في المعرفة ما بلغ لا يصل إلى ما ذكروه، ولا يقرب منه أصلًا»[٥].

---

(١) وجاء هذا البيت على لسان ابن عربي بلفظ: سماء النبوة في برزخ *** دُوَينَ الولي وفوقَ الرسول.
كما في كتابه: تنزل الأملاك في حركات الأفلاك (ص ٣٥).

(٢) منهاج السنة النبوية (٢١/٨-٢٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٢٨/٢-٢٢٩).

(٤) ينظر: اللمع (ص ٥٣٥-٥٣٦).

(٥) الإبريز (ص ٣٩٤).

ثالثًا: نقضهم لختم النبوة.

وهذا من أثر ولازم قولهم بالعصمة، فالله تعالى يقول في كتابه عن نبيه محمدًا ﷺ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٠] أي أنه «رسول الله وخاتم النبيين، الذي ختم النبوة فطبع عليها، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة»(١).

يقول خالد علال متحدثًا عن هذا الأثر، ووجه الشبه بينهم وبين الشيعة عندما قال: «والمقارنة الرابعة: تتعلق بالتشابه بين الصوفية والشيعة في نقضهم لختم نبوة نبينا مُحَمَّد – عليه الصلاة والسلام–، فالصوفية نقضوا ختم النبوة عندما أثبتوا لشيوخهم العصمة، وعلم الغيب والتلقي عن الله كالأنبياء. فشيوخ الصوفية هم أنبياء بعد النبي الخاتم، سواء سميناهم عارفين، أو أولياء، أو شيوخًا، فالعبرة بالمضمون لا بالاسم»(٢).

ونجد الغزالي عن كلامه عن ما يسميهم بأرباب القلوب ويريد بذلك الأولياء يقول:

«فاعلم أن أرباب القلوب يكاشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الإلهام؛ بأن يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون، وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة، وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة؛ كما يكون في المنام وهذا أعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية، كما أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة.

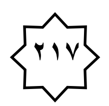
فإياك أن يكون حظك من هذا العلم إنكار ما جاوز حد قصورك؛ ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمون أنهم أحاطوا بعلوم العقول فالجهل خير من عقل يدعو إلى إنكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى، ومن أنكر ذلك للأولياء لزمه إنكار الأنبياء وكان خارجًا عن الدين بالكلية»(٣).

---

(١) تفسير الطبري (١٢١/١٩).

(٢) نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف (ص ٨٧٦).

(٣) إحياء علوم الدين (٨٢/١).



وهذا الزعم فيه «تضليل وتحريف للشرع، ومعنى كلامه أن الأولياء يعلمون غيب السموات والأرض، وهذا الزعم باطل شرعًا وواقعًا بدليل أحوال وأقوال الصوفية أنفسهم، ومن قال بقوله لزمه نقض ختم النبوة، ولزمه الإيمان بأن أولياء الصوفية كلهم أنبياء»(١).

ويظهر هذا النقض لختم النبوة في كلام ابن عربي عندما حاول التفريق بين العصمة والحفظ – ولا فرق–، وذلك عندما قال:

«إذا حصلت للإنسان حالًا مشاهدة عين فقد كمل، وكملت معرفته وعصمته، فلم يكن للشيطان عليه من سبيل وتسمى هذه العصمة في حق الولي حفظًا، كما تسمى في النبي والرسول عصمة»(٢).

وفي موضع آخر يقول: «فإذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو وليّ عارف، ولهذا مقامه من حيث هو عارف؛ أتمّ وأكمل من حيث هو رسول أو ذو تشريع وشرع»(٣).

رابعًا:عدم الاعتراض على الشيخ ووجوب الطاعة والتسليم له وذلك فيما يقوله أو يفعله سواء وافق الحق أو عارضه.

فقد أسبغ المتصوفة على أوليائهم من وجوب طاعة الأولياء وترك الاعتراض على كلامهم، حتى لو خالف الفطرة أو العقل فضلًا عن صحيح الكتاب والسنةّ .

جاء في جُنة المريد: «فعلى المريد الاعتصام بالشيخ، والاستمساك به تمسك الأعمى على شاطئ البحر بالقائد، بحيث يفوض أمره إليه بالكلية، فلا ينازعه في أمر، ولا يخالفه في ورد، ويعتقد أن نفعه في خطأ شيخه [إذ] لو أخطأ؛ أكثر من نفعه لنفسه لو أصاب»(٤).

وأمر الطاعة وعدم الاعتراض هو أمر واجب عند كل الطوائف الصوفية فهي تحث على خدمة المريد لشيخه وعدم الاعتراض على الشيخ، وإن أخذ كل أموال مريده فلعله يمتحنه بذلك، فيسقط في هذا الامتحان وهو لا يدري»(٥).

---

(١) التضليل والتحريف في كتاب إحياء علوم الدين، خالد علال (ص ١١٢-١١٣).
(٢) الفتوحات المكية (٦٢٨/١).
(٣) فصوص الحكم لابن عربي، فصّ حكمة قدرية في كلمة عزيرية (١٣٥/١).
(٤) جُنة المريد دون المريد (٤٦٨/٢).
(٥) النقشبندية (ص ٨١).

فالاعتراض كما يزعم صاحب جُنة المريد؛ سبب للانقراض[١].

و«كل تصاريف الشيخ محمولة على السداد والصواب، إذ لا تخلو عن نية صالحة فيها، فيجب عليه أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل، فلا يخطر عليه خاطر اعتراض، ولو عاينه قد خالف ظاهر الشرع اعتبارًا بقصة موسى والخضر»[٢] وفي هذا النص وغيره من نصوص يظهر سيطرة قصة الخضر مع موسى -عليه السلام-، على عقول المتصوفة وما تبع ذلك من أحكام والتزامات التزموها يظهر بطلانها.

هذا وقد جعل الصوفية هذه الطاعة العمياء والانقياد بين يدي الشيخ؛ من الآداب بين الشيخ والمريد حيث يكون المريد:

«مستسلمًا منقادًا راضيًا بتصرفات الشيخ يخدمه بالمال والبدن؛ لأن جوهر الإرادة والمحبة لا يتبين إلا بهذا الطريق»[٣].

فاخترعوا في ذلك ما يَصح أن يُطلق عليه الصمت الصوفي.

فالصمت كما يقول صاحب عنوان الطريق هو «عند أهل الطريقة من لازمه ارتفع بنيانه وتم غراسه، وهو نوعان: صمت باللسان وصمت بالجنان وكلاهما لابد منه في الطريق، إلى أن قال: فالزم الصمت أيها السالك إلا إن سئلت فارجع إلى أصلك ووصلك وقل: لا علم عندي واستتر بالجهل تشرق لك أنوار العلم اللدني»[٤].

خامسًا: جعلهم الإلهام حجة.

عرَّف الصوفية الإلهام بأنه: «ما يلقى في الروع بطريق الفيض»[٥][٦].

---

(١) ينظر: جُنة المريد دون المريد (٢/٤٧٣).

(٢) المصدر السابق (٢/٤٧٥).

(٣) تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، للكردي (ص: ٥٨١).

(٤) عنوان التوفيق في آداب الطريق (ص ٤-٥).

(٥) الفيض: وقد جعله الجرجاني قسمان: «الفيض الأقدس: وهو عبارة عن التجلي الحسي الذاتي الموجب لوجود الأشياء واستعداداتها في الحضرة العلمية، ثم العينية، و الفيض المقدس: عبارة عن التجليات الأسمائية الموجبة لظهور ما يقتضيه استعدادات الأعيان في الخارج، فالفيض المقدس، مترتب على الفيض الأقدس، فبالأول تحصل الأعيان الثابتة واستعداداتها الأصلية في العلم، وبالثاني تحصل تلك الأعيان في الخارج مع لوازمها وتوابعها. ينظر: التعريفات (ص ٢١٨).

(٦) التعريفات (ص ٥١).

وهو حجة عند الصوفية[١] جعلوه مصدرًا من مصادر التلقي عندهم و«أصل طريقتهم»[٢].

والسهروردي في العوارف نجده يقرر أثر العصمة للشيخ في حجية الإلهام حيث يقول:

«فالشيخ للمريدين أمين الإلهام، كما أن جبريل أمين الوحي، فكما لا يخون جبريل بالوحي، لا يخون الشيخ في الإلهام، وكما أن رسول الله -ﷺ-، لاينطق عن الهوى؛ فالشيخ مقتد برسول الله -ﷺ- ظاهرًا وباطنًا لا يتكلم بهوى النفس»[٣].

وفي ذلك يقول الغزالي كما في الإحياء عند بيانه للفرق بين الإلهام، والوحي وما اختص به الأولياء:

«اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية؛ وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لا يدري، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهامًا، والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارًا واستبصارًا.

والأول: يسمى إلهامًا ونفثًا في الروع، والثاني: يسمى وحيًا وتختص به الأنبياء.

والأول يختص به الأولياء، والأصفياء والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء»[٤].

والغزالي يجعل المعرفة بصحة الطريق مربوطة بالإلهام، حتى لو لم يدرك المنكشف له ذلك، وفي ذلك يقول:

«اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري؛ فقد صار عارفًا بصحة الطريق، ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي أن يؤمن به فإن درجة المعرفة فيه عزيزة جدًا»[٥].

---

(١) المصدر السابق (ص ٥١) والصوفي المعاصر؛ عمر كامل، يخالف ذلك ويذكر أن كثيرًا من الصوفية المتأخرين رفضوا حجية الإلهام، وذكر منهم الشعراني، ينظر: التصوف بين الإفراط والتفريط (ص ١٥١) أما صادق سليم فيذكر: أنه يظهر من عبارات القوم أنهم في حجية الإلهام متناقضون، بدليل تقديمهم للعلوم الكشفية على الكتاب والسنة والإلهام من جملة ذلك، ولاتعطي هذه الأقوال مجتمعة أو منفردة، ما ينفي اعتداد الصوفية بالإلهام، ولا سيما بعد حكاية أهل الأصول منهم له، ! ينظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية (ص ٢٦٩).

(٢) المعرفة في الإسلام (ص ٧٢).

(٣) عوارف المعارف (ص ٢٨٢).

(٤) إحياء علوم الدين (١٨/٣).

(٥) المصدر السابق (٢٣/٣).

وعند تفسيرا الجيلاني للولاية، نجده يربطها بالإلهام فهي عنده «لمن تولى الله عز وجل حديثه على طريق الإلهام فأوصله إليه فله الحديث»(١).

فهم يقدمون الإلهام على الكتاب والسنة، ولا يحتاج للعمل بالإلهام الركون إلى آية أو حديث(٢).

وهذا انحراف في مصدر التلقي، وقد صرح كثير منهم بحفظ الولي، وعدم إمكان الخطأ فيما يرد عليه من الكشف والإلهام وهذا في حقيقته هو معنى العصمة التي لا تكون إلا للأنبياء(٣).

وكما أن قولهم هذا قول باطل، فهو كذلك مناقض للمعلوم من الدين بالضرورة(٤).

يقول شيخ الإسلام: «فعلى قدر المتابعة للرسول: يكون قدر الولاية لله، والأولياء وإن كان فيهم محدثون كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: (إنه قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر)(٥) فهذا الحديث يدل على أن أول المحدثين من هذه الأمة عمر؛ وأبو بكر أفضل منه إذ هو الصديق فالمحدث وإن كان يلهم ويحدث من جهة الله تعالى؛ فعليه أن يعرض ذلك على الكتاب والسنة فإنه ليس بمعصوم.

إلى أن قال: فإذا كان هذا إمام المحدثين؛فكل ذي قلب يحدثه قلبه عن ربه إلى يوم القيامة هو دون عمر فليس فيهم معصوم بل الخطأ يجوز عليهم كلهم»(٦).

يبطل مُحَمَّد الأمين الشنقيطي في تفسيره ذلك الزعم بقوله: «إن المقرر في الأصول أن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء، لعدم العصمة، وعدم الدليل على الاستدلال به، بل لوجود الدليل على عدم جواز الاستدلال به وغير المعصوم لا ثقة بخواطره؛ لأنه لا يأمن دسيسة الشيطان، أما ما يلهمه الأنبياء مما يلقيه الله في قلوبهم فليس كإلهام غيرهم، لأنهم معصومون بخلاف غيرهم»(٧).

---

(١) الغنية (٢/٢٧٥).

(٢) ينظر: مصادر التلقي عند الصوفية، هارون صديقي (ص ٨٣).

(٣) ينظر: المصدر السابق (ص: ٧٣) و المعرفة في الإسلام (ص ٧٤).

(٤) ينظر: المعرفة في الإسلام (ص ٧٧).

(٥) سبق تخريجه (ص ٢٠٣).

(٦) مجموع الفتاوى (٢/٢٢٥-٢٢٦).

(٧) أضواء البيان (٣/٣٢٣-٣٢٤).

ويجدر هنا أن نذكر، أن من الصوفية المعاصرين من أنكر ادعاء العصمة لما جاء عن طريق الكشف والإلهام، ففي ذلك يقول عمر كامل[١]:

«من النقاط الأساسية التي خَطَّأ فيها المحققون من علماء السنة الطائفة التي غلت في إثبات الإلهام وحجيته: إضفاؤهم على ما جاءهم عن طريق الإلهام والكشف لونًا من القداسة والعصمة، بدعوى أنه من الله تعالى، وما كان من عند الله فهو حق لا يدخله باطل»[٢].

و أمر حجية الإلهام – ليس على إطلاقه – كما يقول شيخ الإسلام: «والَّذين أَنكروا كون الإلهام طريقًا على الإطلاق أخطؤوا كما أَخطأَ الَّذين جعلوه طريقًا شرعيًّا على الإِطلاق»[٣].

سادسًا: تأويل المعاصي الواقعة للأولياء.

ألزم المتصوفة – فيمن قال بالعصمة منهم، عندما تظهر من الشيخ أمور تخالف العقل فضلًا عن الشرع مريديهم بأن يتلقوا أحوال المشايخ بالإيمان، وحمل ما يظهر على الوجه الجميل والحسن لأن فهم الأولياء ليس كفهم آحاد الناس. وهناك أمور قد تخفى على المريد – بزعمهم – ولذلك رتبوا على ذلك عدم الاعتراض، فيكون المريد عند الشيخ كالميت بين يدي مغسله كما صرحوا بذلك.

من ذلك ما صرح به القشيري بقوله: «فمن صحب شيخًا فوقه في الرتبة؛ فأدبه ترك الاعتراض وحمل ما يبدو منه على وجه جميل وتلقى أحواله بالإيمان به»[٤].

وحتى لو كان ظاهر عمل الشيخ حرامًا. وفي ذلك يقول الكردي محذرًا المريد بأن: «لا يعترض عليه فيما فعله ولو كان ظاهرة حرامًا، ولا يقول لم فعلت كذا؟ لأن من قال لشيخه لم؟ لا يفلح أبدًا فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن، كما وقع للخضر مع موسى عليهما السلام»[٥].

---

(١) صوفي معاصر، مات حديثًا.

(٢) التصوف بين الإفراط والتفريط (ص ١٤٢-١٤٣).

(٣) العبودية ضمن مجموع الفتاوى (٤٧٣/١٠) و ينظر: مجموع الفتاوى (٤٢/٢٠) وهو معتبر بشروط وقيود عرض لها بالتفصيل القرني في كتابه المعرفة في الإسلام (ص ٧٩) وما بعدها فلينظر.

(٤) الرسالة القشيرية (٤٥٧/٢).

(٥) تنوير القلوب (ص ٥٨٠).

ونُقل عن الدباغ كما في الإبريز قوله: «علامة المحبة الصافية؛ سقوط الميزان من المريد على الشيخ حتى تكون أفعال الشيخ وأقواله وجميع أحواله كلها موفقة مسددة في نظر المريد، فما فهم له وجهًا فذاك، وما لم يفهم له سرًا وكله إلى الله تعالى، مع جزمه بأن الشيخ على صواب، ومتى جوَّز أن الشيخ على غير صواب فيما ظهر له خلاف الصواب فيه فقد سقط على أم رأسه ودخل في زمرة الكاذبين»[١] وعند هذا التحذير والتخويف في أن يدخل المريد في زمرة الكاذبين كيف يتبادر إلى ذهن المريد أمر مخالفة الشيخ، وظنه بالشيخ في أنه يفعل المعصية.

يقول الدباغ: «الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاص، وإنما روحه حجبت ذاته فظهرت في صورتها. فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية»[٢].

يصف الشيخ الميلي[٣] حال الولاية الصوفية اليوم، وتسليمهم لولاية الشيخ حتى لو وقع منه الجهل والوقوع بالمحرمات بقوله:

«أما الولي عند الناس اليوم؛ فهو إما من انتصب للإذن بالأوراد الطرقية، ولو كان في جهله بدينه مساويًا لحماره، وإما من اشتهر بالكهانة، وسموه حسب اصطلاحهم (مرابطًا)، ولو تجاهر بترك الصلاة وأعلن شرب المسكرات، وإما من انتمى إلى مشهور بالولاية، ولو كان إباحيًّا لا يحرم حرامًا، وحق هؤلاء الأولياء على الناس الجزم بولايتهم، وعدم التوقف في دخولهم الجنة، ثم الطاعة العمياء، ولو في معصية الله، وبذل المال لهم، ولو أخل بحق زوجته وصبيته والثقة بهم»[٤].

سابعًا: التخويف من مخالفة الأولياء والاعتراض عليهم.

لقد ترتب على القول العصمة للولي التخويف من مخالفته أو الاعتراض عليه، حتى لايترتب على ذلك أمر خسرانه، وعدم فلاحه في الدنيا والآخرة.

---

(١) الإبريز (ص ٣١٤).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٣٢).

(٣) هو: مبارك الميلي، عالم جزائري، ولد بميلة من أعمال قسنطينة بالجزائر، ولي أمانة سر جمعية علماء الجزائر، من آثاره: كتاب الجزائر، والشرك ومظاهره، توفي حوالى ١٣٥٧هـ-، ينظر: معجم المؤلفين (١٧٥/٨).

(٤) رسالة الشرك ومظاهره (ص ١٧٩).

ولذلك دأب مشايخ الصوفية على تخويف مريديهم من مخالفتهم حتى يربحوا الدنيا والآخرة – زعموا–، وأن ذلك علامة ودلالة على المحبة في الله.

من ذلك القصة المنسوبة للدباغ أنه جاءه «بعض الصادقين إلى من يعتقد فيه الخير، فقال له إني أحبك في الله – عز وجل – فقال له الشيخ وكان ذلك عند صلاة الصبح، فإن أردت أن تربح فلا ترجع إلى دارك أبدًا، واذهب إلى بلاد المشرق قال: فامتثل ولم يخالف فربح دنيا وأخرى»[(١)].

وعند كلام الشعراني عن آداب المريد في الأنوار القدسية نجده يربط المحبة الصادقة بعدم المخالفة؛ حتى ينجوا المريد من الهلاك حيث يقول: «من شأن المريد أن يصدق في محبة الشيخ؛ لأنه دليله في السلوك به في الغيب كدليل الحجاج في الليالي المظلمة، ومن لازم المحبة الطاعة، ومن لازم عدم المحبة المخالفة، ومن خالف دليله تاه وانقطع سيره وهلك»[(٢)].

ومن قبائح الإنكار على الأولياء كما يزعم الفوتي: «أن المنكرين مقتفون آثار اليهود والمشركين والمنافقين، فلا شك أن الله يعاقبهم بمثل ما عوقب به اليهود، والمشركين، والمنافقين، لا تصافهم بصفات المذكورين»[(٣)].

وقد نُقل عن السبكي تاج الدين قولٌ له فيه تحذير بسوء خاتمة لمن أنكر على الأولياء، حيث يقول: «مارأينا أحدًا مُبتلَى بالإنكار، إلا وكانت خاتمه سوء»[(٤)].

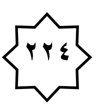
---

(١) الإبريز (ص ٣٢١).

(٢) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية (٥٢/١).

(٣) رماح حزب الرحيم (٥٤/١).

(٤) الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية (ص ٧٤).



الخاتمة

الحمد لله كما ينبغي لوجه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فبعد الانتهاء من هذا البحث، أضع هنا أبرز النتائج التي تم التوصل إليها، فأقول مستعينًا بالله:

١- تبين أن العصمة في كلام العرب تدور حول معان ثلاثة هي: المنع والوقاية و الإمساك والالتجاء والحفظ.

٢- اتضح أن التعريف الاصطلاحي للعصمة فيه تنوع واختلف، تبعًا لاختلاف مشارب ومذاهب القائلين بها إلا أنَّ التعريف المختار أنها: «حفظ الله الرسل مما يُنفر عن القبول قبل النبوة، وحفظهم من الكذب والكتمان في التبليغ بعد النبوة وكذا من الكبائر، وتوفيقهم للتوبة والاستغفار من الصغائر، وعدم إقرارهم عليها» ويُزاد على هذا التعريف حفظهم من صغائر الخِسة كذلك، فهم منها معصومون.

٣- اتضح من خلال البحث أن المعنى اللغوي للوَلي والوَلاية - بفتح الواو - أنه يدور حول معانٍ عدة أولها: القرب وهو الأصل الذي تعددت منه معانٍ أخرى منها: المحب والصديق والنصير والصاحب والحليف والناصر والجار.

٤- تبين أن المعنى الشرعي للوَلي والوَلاية لا يبعد عن المعنى اللغوي، بل هو تقييد له وأن الاختلاف في التعريف ناشئ عن الاختلاف في فهم معنى الكلمة ودلالتها، ثم تعدى هذا اللفظ إلى معانٍ شرعية كالولاية العظمى الإمامة وولاية النكاح وولاية العتق وولاية اليتيم، وما شابه ذلك وذلك لأن المعنى اللغوي يتحقق في كل هذه الألفاظ.

٥- اتضح أن الناس وأرباب الفرق والمذاهب والطوائف قد سلكوا في بيان المعنى المراد للولي، والولاية مذاهب شتى نتيجة لفهمهم للمقصود من تلك الكلمة، ومن هؤلاء المتصوفة الذي اتضح ارتباط الولي والولاية كقاعدة وأساس لطريقتهم.

٦- خَلص البحث إلى أن المفهوم الشرعي الصحيح للولي والولاية يدور: حول الإيمان والتقوى، فمن جمع بين الإيمان والتقوى فهو الولي حقًا.

٧- تبين أن هناك آراء كثيرة لأصل كلمة الصوفية الاشتقاقي، قاربت تلك الآراء؛العشرة – فيما وقفت عليه-، يأتي على أشهرها أن كلمة الصوفية نسبة إلى لبس الصوف، وهو الرأي الأشهر، والأقوى والمختار. وقد اختار ذلك الرأي جمع كبير من المتصوفة – أنفسهم – ومن غيرهم، والصوفية كثيرًا ما ينسبون أنفسهم إلى الصوف، وقد أُضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال ولمناسبته للاشتقاق.

٨- حَفْلت كلمة الصوفية بمعناها الاصطلاحي بتعاريف كثيرة ومتنوعة، لم تقف على الصوفية أنفسهم؛ بل امتدت إلى مخالفيهم وقد اختلفت هذه التعاريف وتنوعت وكثرت في حدها لهذا المفهوم تبعًا لمنطلق قائلها. ولأجل تنوعها فإنه لم ينته الرأي فيها إلى نتيجة حاسمة بعد.

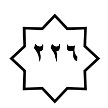
ويمكن أن يعرف التصوف كما قال ابن الجوزي بأنه: طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب.

٩- تبين أن هناك قسمًا من أهل الحديث انتسبوا للتصوف – يقال لهم صوفية أهل الحديث-، لم يقولوا بالعصمة للأولياء من حيث الجملة وخالفوا بذلك ما عليه المتصوفة – كالجنيد، وسهل التستري، وأبي سليمان الداراني وغيره حيث كانوا يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة وأن هذا الأمر متواتر عنهم.

لكن مع ما تقدم من حال صوفية أهل الحديث – في الجملة – مع العصمة إلا أنه قد يقع من أفرادهم مخالفة. فيما يتعلق بالقول بالعصمة تصريحًا كان أو غير، لكن ذلك يحمل على المحمل الحسن، نظرًا لما أُثر عنهم ونُقل من تعظيمهم للسنة والأثر، وفي رفضهم للعصمة، والخوف من الوقوع في الذنب وطلب التوبة، أو على التأكيد على حق الشيخ وصحبته والأخذ منه.

١٠- أن الصوفية عمومًا يكثر فيهم الكذب، فتجدهم ينسبون كلامًا للصوفية الأوائل كالجنيد وسهل التستري يخالف ما عليه أهل السنة والجماعة، تأييدًا لباطلهم.

١١- تبين في البحث أن موقف المتصوفة المنتسبين لعلم الكلام في أمر العصمة –فيما وقفت عليه-، هو القول في العصمة سواء كان ذلك تصريحًا أو غير تصريح، حيث زعموا في الأولياء العصمة مخالفين في ذلك ما دلت عليه الأدلة الشرعية والعقلية، ويأتي على رأس



هؤلاء الحارث المحاسبي، وذا النون المصري، والقشيري –الذي كان أمره مضطربًا– وغيرهم من صوفية أهل الكلام.

وتبعهم في ذلك الصوفية المتفلسفة، والذين منهم ابن عربي صاحب الفتوحات –الذي يأتي على رأسهم–، وابن سبعين و ابن الرومي، فقد تظافرت النصوص المنسوبة لهم في ذلك عنهم تصريحًا أو غير تصريح.

١٢– اتضح أن المتصوفة تأثروا في قولهم بالعصمة بعوامل وأسباب خارجية من ذلك – والذي يأتي على رأسها–؛ السبب البوذي وذلك من خلال عادة اتخاذ الشيخ، فإن أول ما يجب على مريد الطريق الصوفي؛ هو أن يتخذ شيخًا معينًا له ليدله على الطريق، ومن حيث إقرار المريد البوذي بذنبه ومخالفته بين يدي شيخه وجماعة الرهبان ثم يستسلم لما يحكم به عليه شيخه وهنا يكون التأثر والمشابهة.

ومن تلك الأسباب الخارجية: السبب النصراني، وقد أشار إلى تلك المشابهة شيخ الإسلام بقوله: بأن كثيرًا من المخطئين الَّذين اتَّبعوا أَشْياخًا في الزُّهْد والعبادة وقعوا في بعض ما وقع فيه النَّصارى، فيجعلون متبوعيهم شارعين لهم دينًا، ما جعل النَّصارى قسِّيسيهم ورهبانهم شارعين لهم دينًا.

ويأتي من الأسباب الخارجية والتي أدت بالقول بالعصمة؛ السبب الشيعي، وهذا سبب بارز فيمن تتبع كلام المتصوفة ويبرز – هذا السبب – عند من تكلم عن أوجه الصلة والشبه بين التشيع والتصوف.

فنجد من قال بالعصمة من الغلاة في المشايخ يعتقد أحدهم في شيخه العصمة، ويأمرون باتباع الشيخ في كل ما يفعل، لا يخالف في شيء أصلًا. ويرى بعض الباحثين أن تعبير المتصوفة بالحفظ دون التصريح العصمة؛ سببه إخفاء التوافق بينهم وبين الشيعة سترًا لعلاقتهم بهم، وترويجًا لمذاهبهم في أوساط أهل السنة والجماعة.

١٣– أن من أسباب القول بالعصمة المصطلحات التي أحدثها الصوفية؛ كمصطلح الولاية، الكرامة، والفناء والبقاء، ومصطلح الإنسان الكامل، التي وظفوها فيما يخدم القول بالعصمة.

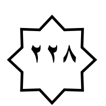
١٤- اتضح من خلال البحث أنَّ هناك سبب داخلي آخر أدى بهم للقول بالعصمة، ألا وهو فهمهم الخاطىء للنصوص الشرعية الواردة في شأن الولي والولاية، فهموهما على عكس فهمها الصحيح، وجعلوها تنصر مذهبهم بالقول بالعصمة.

١٥- لقد كان للمتصوفة في تقريرهم للعصمة مسالك متعددة، يأتي على أبرزها مسلكهم بالتصريح بها، وهو مسلك قديم يأتي في مقدمة من قال به وأقدمهم ذو النون المصري عندما صرح بها، والقول بقدم القول بالتصريح بها هو ما تبين في البحث عكس ماقرره بعض الباحثين؛ من أنَّ المتصوفة عمدوا إلى إخفاء التصريح والتعبير بلفظ الحفظ عند الكلام عن العصمة.

١٦- أمَّا المسلك الآخر الذي نهجه المتصوفة في قولهم للعصمة هو مسلك الحفظ، وهو مسلك مشتهر عندهم، عمدوا بذلك إلى إخفاء التصريح بالقول بالعصمة، نظرًا لخطورة هذا المعتقد، وإخفاء للتوافق الواضح بينهم وبين التشيع، كما نظر إليه من كتب عن التشابه بين المذهبين، وبالنظر للتعريف اللغوي للعصمة وجدنا أنه لافرق بين المصطلحين - العصمة والحفظ - فكلاهما يدل على معنى واحد ونتيجة واحدة وهو أنَّ الشيخ والولي لا يخطئ ولا يذنب.

١٧- أمَّا المسلك الأخير الذي كان من المسالك التي سلكها المتصوفة في قولهم بالعصمة هو مسلك الإشارة وقد قام هذا المسلك على ركائز وأسس أربع وهي: ما أسبغه المتصوفة على أوليائهم من وجوب طاعة الأولياء، وترك الاعتراض عليهم وتأويل المعاصي الواقعة لهم، والتخويف من مخالفتهم الأولياء أو الاعتراض عليهم، ووصفهم أولياءهم بالكمال الذي ضده النقص.

١٨- اتضح بما لا يدع مجالًا للشك بأن القول بالعصمة للولي قول باطل مخالف عقلًا وطبعًا، فمهما حرص الإنسان على طلب الصواب والالتزام بالشرع فلا بد أن يخطئ في ذلك الأمر أو في أمور أخرى، خلاف الأنبياء حيث إن عصمتهم في تبليغ الرسالة أمر مجمع عليه عند أئمة الطوائف وجميع سلف المسلمين، وأن غير الأنبياء لا يوصفون لا بالعصمة ولا بالحفظ وأن عليهم التوبة والاستغفار، وعرض أفعالهم وأحوالهم على الشريعة المحمدية، فما وافقها قبل وما خالفها رد.



وليس من شرط ولي الله أن يكون معصومًا لا يغلط ولا يخطئ؛ بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به ومما نهى الله عنه.

وعمل المتصوفة باعتقادهم العصمة لأوليائهم ومشايخهم؛ قد وقعوا في مشابهة النصارى في اتخاذهم الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله تعالى-، فيدخلون في الذم والتوبيخ.

١٩- مما يُرد به على المتصوفة القائلين بالعصمة، ويظهر به تهافت وبطلان زعمهم؛ أن نجد من الصوفية أنفسهم من ينفي ذلك القول الباطل وهذا الاعتقاد الفاسد، أو تجدهم يُخطىء بعضهم البعض، ويخالف بعضهم الآخر، أو نجد قولهم مضطربًا غير واضح وثابت في القول بالعصمة ما بين نفي وإثبات.

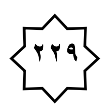
٢٠- ظهر في البحث أن للقول بعصمة الأولياء آثارًا سيئة ترتبت على القول بها وهذه الآثار قد كثرت وتنوعت يصل بعضها إلى مجانبة الإسلام منها: وجوب التوسل والاستغاثة بالولي، فاشتهرت عنهم عبارات فيها توسل بغير الله تعالى كقولهم: مدد ياجيلاني ونحوها.

فهم -بزعمهم- المطلوبون في كل شدة، ولكل محتم بهم عدة، وهم حماة للأشخاص وللقرى والمدن، كبيرها وصغيرها، حاضرها وباديها.

ومن تلك الآثار الخطيرة: تفضيلهم الولي على النبي الذي مؤداه إلى الكفر. ونقضهم لختم النبوة، وهذا من أثر ولازم قولهم بالعصمة، فالصوفية نقضوا ختم النبوة عندما أثبتوا لشيوخهم العصمة، فشيوخ الصوفية هم أنبياء بعد النبي الخاتم، سواء سميناهم عارفين، أو أولياء، أو شيوخًا، فالعبرة بالمضمون لا بالاسم.

ومنها أيضًا: عدم الاعتراض على الشيخ ووجوب الطاعة والتسليم له، فقد أسبغ المتصوفة على أوليائهم من وجوب طاعة الأولياء وترك الاعتراض على كلامهم، حتى لو خالف الفطرة أو العقل فضلًا عن صحيح الكتاب والسنة، وأمر الطاعة وعدم الاعتراض هو أمر واجب عند كل الطوائف الصوفية.

ومنها: جعلهم الإلهام حجة - رغم تناقضهم في ذلك - جعلوه مصدرًا من مصادر التلقي عندهم، فالشيخ للمريدين أمين الإلهام، كما أن جبريل أمين الوحي، وهم يقدمون الإلهام على الكتاب والسنة، ولا يحتاج للعمل بالإلهام الركون إلى آية أو حديث. والمقرر في الأصول أن

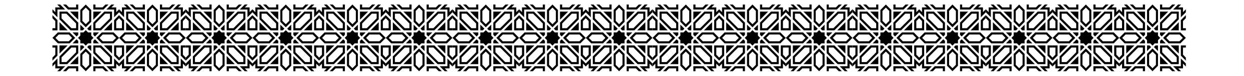


الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء، لعدم العصمة، وغير المعصوم لا ثقة بخواطره، لأنه لا يأمن دسيسة الشيطان.

ومن ذلك إلزام المتصوفة مريديهم عندما تظهر من الشيخ أمور تخالف العقل فضلًا عن الشرع مريديهم بأن يتلقوا أحوال المشايخ بالإيمان، وحمل ما يظهر على الوجه الجميل والحسن.

ومن تلكم الآثار تخويف المريد من مخالفة شيخه أو الاعتراض عليه، حتى لايترتب على ذلك أمر خسرانه وعدم فلاحه في الدنيا والآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.



الفهارس



- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الفرق والطوائف.
- فهرس الأشعار.
- فهرس الألفاظ والمصطلحات.
- فهرس المراجع والمصادر.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

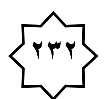
الآية	رقمها	الصفحة
بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ	١١٧	٢٦
قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ	١٣٦	١٨٢، ٢١٢
لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ	١٧٧	٢٥، ١٨٢، ٢١٢
ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ	٢٥٧	١٨، ١٢٤
وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ	٢٨٤	١٨٣
ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ	٢٨٥-٢٨٦	١٧٨، ١٨٢، ١٨٣، ٢١٢

سورة آل عمران

الآية	رقمها	الصفحة
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ	**١٠٢**	**٣**

سورة النساء

الآية	رقمها	الصفحة
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا	١	٣
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ	٥٩	١٨٠، ١٩٩



وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ	٦٤-٦٥	٢١٠
فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ	٦٥	١٢٥، ١٥٠
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم	٦٩	١٨١

سورة المائدة

الآية	رقمها	الصفحة
وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ	٢	١٧٧
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ	٣٥	١٦٦
إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ	٥٥	١٩
يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ	٦٧	١١، ١٧٠

سورة الأعراف

الآية	رقمها	الصفحة
فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ	٦	١٨١
إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ	١٩٦	٨٥، ١٢٦، ١٤٣

سورة التوبة

الآية	رقمها	الصفحة
ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ	٣١	١٠١، ١٠٢، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٦

سورة يونس

الآية	رقمها	الصفحة
أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ	٦٢-٦٣	٢٠، ٢٤، ٢٥،١٢٣، ١٧٥، ٢١٤
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ	٦٣	٢٤

سورة هود

الآية	رقمها	الصفحة
قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ	٤٣	١١

سورة يوسف

الآية	رقمها	الصفحة
وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ	٥٣	٧٢
إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ	٥٤	١٣٢

سورة الحجر

الآية	رقمها	الصفحة
رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ	٢	١٦١
ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ	٣	٧٤

سورة النحل

الآية	رقمها	الصفحة
ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ	١٢٣	٦٤

سورة الكهف

الآية	رقمها	الصفحة
هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ	٤٤	١٨
هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا	٦٦	١٤٢
قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا	٦٦-٧٠	١٢٦
هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ	٧٨	١٢٧
وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ	٨٢	١٢٨، ١٥٤، ١٥٨

سورة الحج

الآية	رقمها	الصفحة
وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ	٥٢-٥٣	١٧١

سورة النّور

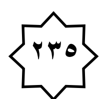
الآية	رقمها	الصفحة
وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ	٥٤	٥٩، ٦٤

سورة الشعراء

الآية	رقمها	الصفحة
وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ	١٩٢-١٩٤	١٩٦
هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ	٢٢١-٢٢٢	١٧٩

سورة لقمان

الآية	رقمها	الصفحة
أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ	١٤	٩



سورة الأحزاب

الآية	رقمها	الصفحة
وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ	٥	١٨٤
قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ	١٧	١١
وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا	٣٨	٦٧، ١٩٥، ١٩٩
مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا	٤٠	٢١٦
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ	٧٠-٧١	٣
إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا	٧٢	١٦٧

سورة الزمر

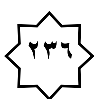
الآية	رقمها	الصفحة
وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ	٣	٢٠٩

سورة غافر

الآية	رقمها	الصفحة
ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ	٦٠	٦٣

سورة الزخرف

الآية	رقمها	الصفحة
وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ	٣٦	١٧٩



سورة الأحقاف

الآية	رقمها	الصفحة
مَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ	٩	٩٢

سورة الطور

الآية	رقمها	الصفحة
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ	٢١	١٧٤

سورة الحشر

الآية	رقمها	الصفحة
رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ	١٠	٧٧، ١٦٤، ٢٠٢

سورة الممتحنة

الآية	رقمها	الصفحة
لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ	١	٢٥
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا	١٢	١٨٢

سورة التحريم

الآية	رقمها	الصفحة
لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ	٦	١٧٣

سورة الحاقة

الآية	رقمها	الصفحة
وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ	٤٤-٤٦	١٧٠

سورة الجن

الآية	رقمها	الصفحة
وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا	٢٣	١٨١

سورة القيامة

الآية	رقمها	الصفحة
لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ	١٦-١٧	١٧٠

سورة الأعلى

الآية	رقمها	الصفحة
سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ	٦-٧	١٧٠

سورة الشمس

الآية	رقمها	الصفحة
قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا	٩	٧٧

فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث	الصفحة
إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر	١٨٤
أليس يحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرِّمونه، ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه؟	١٠١
إِنَّه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم مُحَدَّثُون	١٨٩
قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت	١٩٠
قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا	١٨٣
كل ابن آدم خطَّاء وخير الخطَّائين التَّوَّابون	١٨٨
لا طاعة لأحد في معصية الله	١٨٦
يقول الله: من عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة	٢٤

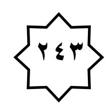
فهرس الأعلام

العَلم	الصفحة
إبراهيم بن أدهم	٤٥
إبراهيم بن المولد	٤٩
إبراهيم بن موسى الشاطبي	٦٢
ابن الأثير	١٨
ابن الجوزي	٢٨
ابن الدباغ	١٢١
ابن الزيات	١٢٧
ابن القيم	١٧٦
ابن تومرت	١٠٧
ابن تيمية	١٨
ابن حمويه	٢١١
ابن خلدون	٢٨
ابن زورق	٣٣
ابن سبعين	٩٣
ابن عجيبة	٣٣
ابن عربي	٩٠
ابن عطاء الله السكندري	١١٥
ابن كثير	١٨٥
أبو الحسن الشاذلي	١٣٧
أبو الحسين النوري	٣٤
أبو الريحان البيروني	٣٦

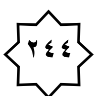
أبو السرَّاج الطوسي ٢٧
أبو القاسم القشيري ٢٨
أبو النجيب ٧٨
أبو بكر الدينَوَرِي ٧٤
أبو بكر الواسطي ١٣٥
أبو حامد الغزالي ٨٦
أبو سعيد الخراز ١٣٠
أبو سليمان الداراني ٣٠
أبو عبد الرحمن السلمي ٦١
أبو عثمان النيسابوري ٥٧
أبو مدين الغوث ١٥٠
أبو نعيم الأصبهاني ٣٢
أبو هاشم الكوفي ٣١
أبو يزيد البَسْطَامي ٨٩
إحسان إلهي ظهير ٤٤
أحمد البدوي ١٥٩
أحمد الدردير ١٥٢
أحمد أمين ١٠٥
أَحمد بن أَبي الحواريِّ ٦٥
أحمد بن مُحَمَّد التجاني ١٣٦
أحمد بن مُحَمَّد الطحاوي ٢١٠
أحمد بن مصطفى الكمشخانوي ١٢٢
الجنيد بن مُحَمَّد بن الجنيد ٣٣
الحارث المحاسبي ٨٢
الحسن البصري ٣٠
الحسن بن علي الجوْزجانيُّ ٦٤

الحسين بن منصور الحلاج ٦٠
الحكيم الترمذي.. ٢١
السري السقطي.. ٦٥
الفضيل بن عياض ٦١
بشر بن الحارث.. ٣٣
تيودور نولدكه ٣٨
جابر بن حيان.. ٣١
جلال الدين الرومي ٩٥
حُذيفة المرعشي.. ٦١
حمد بن مُحَمَّد الروذباري ٤٦
خير بن عبدالله النساج... ٦٨
دلف بن جعفر الشبلي ١٤٥
ذو النون المصري.. ٥٩
رونلدسن.. ١٠٠
رويم بن أحمد ٥٠
زكي مبارك ٣٧
سبنسر ترمنجهام... ٤٤
سعيد حوى ١٠٣
سفيان الثوري.. ٣٠
سمنون بن حمزة الخواص ٥١
سهل التستري ٣٤
شاه الكرماني ٦٧
عباس محمود العقَّاد... ٣٥
عبد الواحد بن زيد... ٣٢
عبد الوهاب الشعراني.. ٨٧
عبد الوهاب بن علي السبكي ٨٧

عبدالحليم محمود ٣٧
عبدالرحمن بن ناصر السعدي.. ١٨٠
عبدالرحمن بن نظام الجامي ٨٨
عبدالقادر الجيلاني ٧٦
عبدالكريم بن إبراهيم الجيلي ١٢٠
عبدالله بن عمر البيضاوي.. ١٤
عبدك الصوفي.. ٣١
علي الخوَّاص ١٤٠
علي بن عثمان الهجويري ٢٧
علي بن هند الفارسي ٧٠
عمر بن سعيد الفوتي.. ١٦٢
عمرو بن عثمان المكي.. ٦٢
كامل مصطفى الشيبي.. ٧١
ماسينيون.. ٢٩
مبارك الميلي ٢٢٢
مُحَّد الأمين الشنقيطي.. ٥٧
مُحَّد الخضر الشنقيطي.. ١٤٠
مُحَّد بن إبراهيم الكلاباذي.. ٣٣
مُحَّد بن أحمد المقرئ.. ٥١
مُحَّد بن خفيف.. ٣٤
مُحَّد بن عبدالله السُهْرَوَرْدي ٢٧
مُحَّد بن علي الشوكاني.. ١٩
مُحَّد بن يعقوب الفيروزآبادي.. ٤١
مُحَّد حبيب الله الشنقيطي.. ١٢٩
مُحَّد ناصر الدين الألباني.. ١٨٦
محمود بن عمر الزمخشري.. ٤١



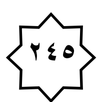
معروف الكرخي ٥٠
نيكلسون.. ٢٢
يحيى بن معاذ ٦٦
يوسف بن أَسباط.. ٦١



فهرس الفرق والطوائف

الفِرقة **الصفحة**

الإسماعيليّة ١٠٥
البوذية ٩٧
الشيعة ١٣
القرامطة.. ٢١٢
الكلابية.. ٨١

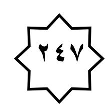


فهرس الأشعار

عجز البيت	القائل	رقم الصفحة
يَرضَـى عَلَيـكَ فَكُـن مِـن تَرْكِهـا حَـذِرًا	أبو مدين الغوث	١٥٠
لا علـم عنـدي وكـن بالجهـل مسـترًا	أبو مدين الغوث	١٥٣
بنـــور شـــهود للبصـــيرة تابـــع	ابن عجيبة	١٥٢
صــفا فصــوفي حــتى سُمــي الصــوفي	أبو الفتح البستي	٣٤
دُوَيــــنَ الــــولي وفـــوقَ الرســـول	ابن عربي	٩١، ٢١٤

فهرس الألفاظ والمصطلحات

اللفظ أو المصطلح	الصفحة
إكسير	٩٤
الأبدال	١٠٦
الاتحاد	٨٢
الأحبار	١٠١
الأوتاد الأربعة	١٠٧
البدع	٢٦
البقاء	٨٨
الجوهر	١٣
الحلول	٦٠
الخْبَاط	٦٣
الدير	٩٩
الرهبان	١٠١
الزهد	٢٩
السالك	٩٩
الشطح	١٤٧
الشنان	١٠٠
العهد الجديد	١٠٠
الفلسفة	٥٩
الفناء	٨٨
الفيض	٢١٨
القطب	١٠٥
المُرَّقعة	٤٧



المكاشفة ٦٦

المواجيد ٨٠

النجباء ١٠٧

النقباء ١٠٦

النُّكْتَة ٥٨

بارزني ٢٤

بقلة ٤٢

جذب ١٢٢

زغْبَاء ٤٢

زِنْدِيق ٢٦

صومعة ٩٨

عَبَاء ٢٦

فَيض إلهي ١٥

قَبَاء ٢٦

قربوس ٤٦

مُوَلَّدَة ٤٣

وحدة الشهود ١٦٦

وحدة الوجود ٩٢

فهرس المراجع والمصادر

١. **الإبريز من كلام سيدي عبدالعزيز الدباغ.**

أحمد بن المبارك السجلماسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ.

٢. **ابن خلدون وآراءه الاعتقادية عرض ونقد.**

عبدالله عبدالرشيد عبدالجليل، مخطوط، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤٢٠هـ.

٣. **أبو البركات سيدي أحمد الدردير.**

عبدالحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ نشر.

٤. **أبو مدين الغوث، حياته ومعراجه إلى الله.**

عبدالحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ نشر.

٥. **الاتجاهات العقدية عند الصوفية.**

عبدالله بن دجين السهلي، دار كنوز أشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.

٦. **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين.**

مُحَمَّد الحسيني الزبيدي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة، ١٤١٤هـ.

٧. **إتمام الأعلام.**

نزار أباظة ومُحَمَّد رياض المالح، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٨. **آثار البلاد وأخبار العباد.**

زكريا بن مُحَمَّد القزويني، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ نشر.

٩. **إحياء علوم الدين.**

أبو حامد مُحَمَّد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ نشر.

١٠. **آداب المريدين.**

أبو النجيب عبدالقاهر السهروردي، ضبطها وصححها وعلق عليها؛عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

١١. **آداب النفوس.**

الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق؛ عبد القادر أحمد عطا، دار الجيل، بيروت،بدون تاريخ نشر.

١٢. **الآداب للبيهقي.**

أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، اعتنى به وعلق عليه؛ أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٣. **الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها.**

إبراهيم مُحَمَّد إبراهيم، مطبعة الأمانة، شبرا، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٤. **آراء القشيري الكلامية والصوفية عرض ونقد.**

مخطوط، كوياتي محمود موري، رسالة ماجستير، جامعة ام القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، ١٤٣٠هـ.

١٥. **الأربعون في التصوف.**

أبو عبد الرحمن مُحَمَّد السلمي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بيحيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.

١٦. **أساس البلاغة.**

أبو القاسم محمود الزمخشري، تحقيق: مُحَمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ.

١٧. **الإستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته.**

عبد المنعم مُحَمَّد حسنين، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة العاشرة – العدد الثاني – ١٣٩٧هـ.

١٨. **الاستقامة.**

أحمد بن تيمية الحراني شيخ الإسلام، تحقيق: د.مُحَمَّد رشاد سالم،جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ.

١٩. **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام.**

علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ــ القاهرة، بدون تاريخ نشر.

٢٠. **اشتقاق أسماء الله.**

عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: د.عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ.

٢١. **أصل الشيعة وأصولها.**

مُحَمَّد آل كاشف الغطاء، تحقيق: علاء آل جعفر، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ.

٢٢. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.**

مُحَمَّد الأمين المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ.

٢٣. **الاعتصام.**

إبراهيم بن موسى اللخمي الشهير بالشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان ـ الدمام، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ.

٢٤. **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين.**

مُحَمَّد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية ـ بيروت، بدون تاريخ نشر.

٢٥. **إعلام الموقعين عن رب العالمين.**

مُحَمَّد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ.

٢٦. **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى ب(نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر).**

المؤلف: عبد الحي الحسني الطالبي، دار ابن حزم ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ.

٢٧. **الأعلام.**

خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر: ٢٠٠٢م.

٢٨. **الإمام السُهْرَوردي عمر بن مُحَمَّد وآراؤه الاعتقادية.**

عبدالله بن صالح البرّاك، بحث محكم ومنشور في مجلة الدراسات العربية(إصدار خاص)، جامعة المنيا كلية دار العلوم، يناير ٢٠٠٦م.

٢٩. **الأنساب.**

عبد الكريم بن مُحَمَّد السمعاني، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى: ١٣٨٢هـ.

٣٠. **الإنسان الكامل في الفكر الصوفي.**

لطف الله خوجة، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ.

٣١. **الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر.**

عبدالكريم الجيلي، تحقيق: أبو عبدالرحمن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ.

٣٢. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل.**

ناصر الدين عبد الله البيضاوي، تحقيق: مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ.

٣٣. **الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية.**

عبدالوهاب بن أحمد الشعراني، تحقيق: أسامة عبدالعظيم، المكتبة الأزهرية للتراث ـ القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٣٤هـ.

٣٤. **الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية.**

عبدالوهاب الشعراني، تحقيق: طه عبدالباقي سرور ـ السيد مُحَمَّد عيد الشافعي، مكتبة المعارف ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ.

٣٥. **أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني السلفي.**

عبدالرحمن دمشقية، مخطوط، قام بصف الكتاب ونشره: أبوعمر الدوسري، موقع الفرقان، بدون تاريخ نشر.

٣٦. **إيقاظ الهمم في شرح الحكم.**

أحمد بن مُحَمَّد بن عجيبة، المكتبة الثقافية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ.

٣٧. **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار.**

مُحَمَّد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة المصححة: ١٤٠٣هـ.

٣٨. **البحر المحيط في التفسير.**

مُحَمَّد بن يوسف بن حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي مُحَمَّد جميل، دار الفكر ـ بيروت، ١٤٢٠هـ.

٣٩. **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد.**

أبو العباس أحمد بن عجيبة الحسني، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي –

القاهرة، ١٤١٩هـ.

٤٠. **البداية والنهاية.**

إسماعيل بن كثير القرشي، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ.

٤١. **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع.**

مُحَمَّد بن علي الشوكاني، دار المعرفة ـ بيروت، بدون تاريخ نشر.

٤٢. **برنامج المجاري.**

مُحَمَّد بن عبد الواحد المجاري، تحقيق: مُحَمَّد أبو الأجفان، دار الغرب الاسلامي ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ.

٤٣. **البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها.**

عبدالله مصطفى نومسوك، أضواء السلف ـ الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ.

٤٤. **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية.**

أحمد بن تيمية الحراني شيخ الإسلام، تحقيق: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ.

٤٥. **تاج العروس من جواهر القاموس.**

محمّد بن عبد الرزّاق الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون تاريخ نشر.

٤٦. **تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر).**

عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٨هـ.

٤٧. **تاريخ الأدب العربي.**

كارل بروكلمان، ترجمة: عبدالحليم النجار، دار المعارف ـ القاهرة، الطبعة الخامسة، بدون تاريخ نشر.

٤٨. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.**

شمس الدين مُحَمَّد الذهبي، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م.

٤٩. **تاريخ التراث العربي.**

فؤاد سزكين، نقله إلى العربية: محمود فهمي حجازي، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ.

٥٠. **التاريخ الكبير.**

مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد — الدكن، بدون تاريخ نشر.

٥١. **تاريخ بغداد وذيوله،** أحمد الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية – بيروت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٥٢. **تاريخ دمشق.**

علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ.

٥٣. **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري.**

أبو القاسم بن هبة الله المعروف بابن عساكر، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٤هـ.

٥٤. **تتمة الأعلام.**

محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم ـ بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٢هـ.

٥٥. **التجانية دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة.**

علي الدخيل الله السويلم، دار العاصمة للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الثالثة: ١٤٣٢هـ.

٥٦. **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي.**

محمد عبد الرحمن المباركفورى، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٥٧. **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد.**

إبراهيم بن محمد البيجوري، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٤.

٥٨. **التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية.**

فالح بن مهدي آل مهدي، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة: ١٤١٣هـ.

٥٩. **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة.**

أبو الريحان محمد البيروني، عالم الكتب ـ بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ.

٦٠. **التدمرية، تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع.**

أحمد بن تيمية الحراني شيخ الإسلام، المحقق: محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان ـ الرياض، الطبعة السادسة: ١٤٢١هـ.

٦١. **تذكرة الأولياء.**

فريد الدين العطار، ترجمة: محمد الوسطاني، تحقيق: محمد أديب الجادر، مركز تحقيقات كامپيوتر علوم إسلامي ـ قم، بدون تاريخ نشر.

٦٢. **تذكرة الحفاظ.**

شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ.

٦٣. **التراجم.**

محيي الدين بن عربي، ضبطه: محمد شهاب الدين العربي، تقديم: محمود الغراب، دار صادر ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٧م.

٦٤. **تربيتنا الروحية.**

سعيد حوى، دار السلام ـ القاهرة، الطبعة: الثانية عشرة، ١٤٣٦هـ.

٦٥. **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي.**

يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات، تحقيق: أحمد التوفيق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ المغرب ـ الرباط، الطبعة الرابعة: ٢٠١٤م.

٦٦. **التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق.**

زكي مبارك، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ـ القاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠١٢م.

٦٧. **التصوف الإسلامي مدارسه، رموزه، أدبه.**

شعبان عبد الحكيم محمد، الوراق للنشر والتوزيع عمان ـ الأردن، الطبعة الأولى: ٢٠١٦م.

٦٨. **التصوف الثورة الروحية في الإسلام.**

أبو العلا عفيفي، دار الشعب للطباعة والنشر ـ بيروت، بدون تاريخ نشر.

٦٩. **التصوف المنشأ والمصادر.**

إحسان إلهي ظهير، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، إدارة ترجمان السنة ـ لاهور ـ باكستان.

٧٠. **التصوف بين الإفراط والتفريط.**

عمر عبدالله كامل، دار نهضة مصر ـ القاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠١١م.

٧١. **التصوف بين الحق والخلق.**

مُحَمَّد فهر شقفة، الدار السلفية ـ حولي، الكويت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٣هـ.

٧٢. **التصوف في الإسلام وأهم الاعتراضات الواردة عليه.**

عبداللطيف بن مُحَمَّد العبد، دار النصر للتوزيع والنشر ـ القاهرة، الطبعة الثانية: ١٤١٩م.

٧٣. **التصوف في الإسلام.**

عمر فروخ، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ.

٧٤. **التصوف في القرنين الثاني والثالث الهجريين وموقف الفقهاء الأربعة منه.**

أبو الخير تراسون، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم العقيدة، جامعة أم القرى ـ كلية الدعوة وأصول الدين، مكة المكرمة، ١٤٣٣هـ.

٧٥. **التصوف منشؤه ومصطلحاته.**

أسعد السحمراني، دار النفائس ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ.

٧٦. **التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام.**

عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي ـ القاهرة، الطبعة الأولى: ١٩٨٠م.

٧٧. **التصوف.**

ماسينيون، ومصطفى عبدالرازق، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٨٤م.

٧٨. **التضليل والتحريف في كتاب إحياء علوم الدين.**

خالد علال، دار المحتسب ـ الجزائر، الطبعة الأولى،بدون تاريخ نشر.

٧٩. **التعرف لمذهب أهل التصوف.**

أبو بكر مُحَمَّد الكلاباذي، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون تاريخ نشر.

٨٠. **التعريفات.**

علي بن مُحَمَّد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ.

٨١. **تفسير ابن الجوزي (زاد المسير في علم التفسير).**

أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٢هـ.

٨٢. **التفسير البسيط.**

علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود، عمادة البحث العلمي ـ جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ.

٨٣. **تفسير التستري.**

سهل بن عبد الله التُستري، جمعها: أبو بكر مُحَّد البلدي، تحقيق: مُحَّد باسل عيون السود، منشورات مُحَّد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى ـ ١٤٢٣هـ.

٨٤. **تفسير الجلالين.**

جلال الدين المحلي ـ جلال الدين السيوطي، دار الحديث ـ القاهرة، الطبعة الأولى.

٨٥. **تفسير السلمي (حقائق التفسير).**

أبو عبد الرحمن مُحَّد السلمي، تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلمية،بيروت ١٤٢١هـ.

٨٦. **تفسير الشوكاني (فتح القدير).**

مُحَّد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير ـ دار الكلم الطيب ـ دمشق، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ.

٨٧. **تفسير القرآن العظيم (ابن كثير).**

إسماعيل بن كثير القرشي، تحقيق: مُحَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات مُحَّد علي بيضون – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ.

٨٨. **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن).**

مُحَّد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني ـ إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ـ القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

٨٩. **تفسير القشيري (لطائف الإشارات).**

عبد الكريم بن هوازن القشيرى، تحقيق: إبراهيم بسيونى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ نشر.

٩٠. **التفسير الكبير (مفاتيح الغيب).**

مُحَّد بن عمر بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة:١٤٢٠هـ.

٩١. **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل).**

عبد الله بن أحمد النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ.

٩٢. **تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي عرض وتحليل على ضوء الكتاب والسنة.**

مُحَّد أحمد لوح، دار ابن القيم ـ الدمام، دار ابن عفان ـ القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٩٣. **تقريب التهذيب.**

أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: مُحَّد عوامة، دار الرشيد ـ سوريا، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ.

٩٤. **تَكملَة مُعجم المُؤلفين.**

مُحَمَّد خير بن رمضان يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ.

٩٥. **تلبيس إبليس.**

أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: أحمد بن عثمان المزيد، إشراف: الشيخ عبدالرحمن البراك، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ.

٩٦. **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع.**

مُحَمَّد بن أحمد المَلَطي، تحقيق: مُحَمَّد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث ـ مصر.

٩٧. **تنزل الأملاك في حركات الأفلاك، المعروف ب (لطائف الأسرار).**

محيي الدين ابن عربي، تحقيق: نواف الجراح، دار صادر ــ بيروت، بدون تاريخ نشر.

٩٨. **تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب.**

مُحَمَّد أمين الكردي الإربلي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ.

٩٩. **تهذيب التهذيب.**

أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية ـ الهند، الطبعة الأولى: ١٣٢٦هـ.

١٠٠. **تهذيب اللغة.**

مُحَمَّد بن أحمد بن الأزهري، تحقيق: مُحَمَّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م.

١٠١. **تيسير التحرير.**

مُحَمَّد أمين المعروف بأمير بادشاه الحسيني، دار الباز ـ مكة المكرمة، بدون تاريخ نشر.

١٠٢. **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد.**

سليمان بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ.

١٠٣. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.**

عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ.

١٠٤. **جامع الأصول في الأولياء.**

أحمد الكمشخاوي النقشبندي، المكتبة الأزهرية للتراث ـ القاهرة، ١٤٣٦هـ.

١٠٥. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري).**

مُحَمَّد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

١٠٦. **جامع الرسائل.**

أحمد بن تيمية الحراني شيخ الإسلام، تحقيق: مُحَمَّد رشاد سالم، دار العطاء – الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

١٠٧. **جامع المسائل (المجموعة الرابعة).**

أحمد بن تيمية الحراني شيخ الإسلام، تحقيق: مُحَمَّد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – مكة، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

١٠٨. **الجرح والتعديل.**

عبد الرحمن الرازي بن أبي حاتم، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ بحيدر آباد الدكن ـ الهند، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٢٧١ هـ.

١٠٩. **جلاء العينين في محاكمة الأحمدين.**

نعمان بن محمود خير الدين الآلوسي، مطبعة المدني، ١٤٠١هـ.

١١٠. **جمهرة اللغة.**

مُحَمَّد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

١١١. **جُنة المُريد دون المَريد.**

محد بن المختار الكنتي، دراسة وتحقيق: مُحَمَّد المهداوي، مركز الإمام الجنيد للدراسات والبحوث الصوفية المتخصصة، وجدة ـ المغرب، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ.

١١٢. **الجنيد بن مُحَمَّد وآراءه العقدية والصوفية.**

رسالة جامعية مخطوط، نوال بنت عبدالسلام فلاته، رسالة ماجستير، مكة ـ جامعة أم القرى ـ كلية الدعوة وأصول الدين ـ قسم العقيدة، ١٤٢٩هـ.

١١٣. **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.**

أحمد بن تيمية الحراني شيخ الإسلام، تحقيق: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن مُحَمَّد، دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية: ١٤١٩هـ.

١١٤. **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني.**

علي حرازم المغربي الفاسي، ضبطه وصححه: عبداللطيف عبدالرحمن، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ.

١١٥. **الجواهر والدرر.**

عبد الوهاب الشعراني، على هامش كتاب الإبريز لعبد العزيز الدباغ، بدون تاريخ ونشر.

١١٦. **الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية.**

مُحَمَّد الحافظ التجاني، الزاوية التجانية ـ مصر، ١٣٨٣هـ.

١١٧. **حق اليقين في معرفة أصول الدين.**

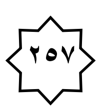
السيد عبدالله شبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ.

١١٨. **حكم بن عطاء الله.**

شرح: أحمد بن زورق، تحقيق: عبدالحليم محمود،، مؤسسة دار الشعب ـ القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ

١١٩. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.**

أبو نعيم أحمد الأصبهاني، السعادة – مصر، ١٣٩٤هـ.



١٢٠. **الحمد لله هذه حياتي.**

عبدالحليم محمود، دار المعارف ـ القاهرة، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ نشر.

١٢١. **الحوادث والبدع.**

أبو بكر مُحَمَّد الطرطوشي، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة: ١٤١٩هـ.

١٢٢. **ختم الأولياء.**

مُحَمَّد بن علي الحكيم الترمذي، تحقيق: عثمان إسماعيل يحيى، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت، بدون تاريخ نشر.

١٢٣. **خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه.**

مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٢٤. **درء تعارض العقل والنقل.**

أحمد بن تيمية الحراني شيخ الإسلام، تحقيق: الدكتور مُحَمَّد رشاد سالم، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية: ١٤١١هـ.

١٢٥. **دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية.**

الدكتور صالح الرقب ـ الدكتور محمود الشوبكي، قسم العقيدة ـ كلية أصول الدين ـ الجامعة الإسلامية ـ غزة، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ.

١٢٦. **درر الغواص على فتاوى سيدي علي الخوَّاص.**

عبد الوهاب الشعراني، على هامش كتاب الإبريز لعبد العزيز الدباغ، بدون تاريخ نشر.

١٢٧. **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة.**

أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: مُحَمَّد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ صيدر آباد ـ الهند، الطبعة الثانية: ١٣٩٢هـ.

١٢٨. **ذيل الأعلام.**

أحمد العلاونة، دار المنارة ـ جدة، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ، والجزء الرابع، دار المنارة ـ جدة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.

١٢٩. **ذيل طبقات الحنابلة.**

عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان ـ الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ.

١٣٠. **الرد الوافر.**

مُحَمَّد بن عبد الله القيسي الشهير بابن ناصر الدين، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٣٩٣هـ.

١٣١. **الرد على المنطقيين.**

أحمد بن تيمية الحراني شيخ الإسلام، دار المعرفة ـ بيروت، بدون تاريخ نشر.

١٣٢. **رسالة الشرك ومظاهره.**

مبارك بن مُحَمَّد الميلي الجزائري، تحقيق وتعليق: أبي عبد الرحمن محمود، دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

١٣٣. **الرسالة القشيرية.**

عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: عبد الحليم محمود ـ محمود بن الشريف، دار المعارف ـ القاهرة، بدون تاريخ نشر.

١٣٤. **رسائل ابن سبعين.**

عبدالحق بن سبعين المرسي الأندلسي، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون تاريخ نشر.

١٣٥. **الرسل والرسالات.**

عمر الأشقر، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت ـ دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الرابعة: ١٤١٠هـ.

١٣٦. **الرعاية لحقوق الله.**

الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ نشر.

١٣٧. **رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم.**

عمر بن سعيد القوتي، على هامش كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني لعلي حرازم، المطبعة المحمودية ــ القاهرة، الطبعة الأولى: ١٣١٨هـ.

١٣٨. **الروض المعطار في خبر الأقطار.**

مُحَمَّد بن عبد الله الحِميرى، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت، الطبعة الثانية: ١٩٨٠م.

١٣٩. **روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين.**

مُحَمَّد بن عثمان القاضي،الناشر: المؤلف، الطبعة الثالثة: ١٤١٠هـ.

١٤٠. **زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم.**

مُحَمَّد حبيب الله الشنقيطي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ مصر، بدون تاريخ نشر.

١٤١. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها.**

مُحَمَّد ناصر الدين الألباني،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عام النشر:، جـ ١ – ٤: ١٤١٥هـ، جـ ٦: ١٤١٦هـ، جـ ٧: ١٤٢٢هـ.

١٤٢. **السنة.**

أبو بكر أحمد بن مُحَمَّد الخَلَّال، تحقيق: د.عطية الزهراني، دار الراية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.

١٤٣. **سنن ابن ماجه.**

ابن ماجة أبو عبد الله مُحَمَّد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ.

١٤٤. **سنن أبي داود.**

أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، تحقيق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت،بدون تاريخ نشر.

١٤٥. **سنن الترمذي (الجامع الكبير).**

مُحَمَّد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م.

١٤٦. **سنن الدارمي (مسند الدارمي).**

عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ.

١٤٧. **السنن الكبرى.**

أحمد بن شعيب النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ.

١٤٨. **السنن الكبرى.**

أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ.

١٤٩. **سياحة في التصوف الحضرمي.**

أكرم بن مبارك عصبان، دار الصفوة للنشر والتوزيع ـ القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ.

١٥٠. **سير أعلام النبلاء.**

شمس الدين مُحَمَّد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ.

١٥١. **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية.**

مُحَمَّد بن مُحَمَّد مخلوف، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ.

١٥٢. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب.**

ابن العماد الحنبلي، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ.

١٥٣. **شرح السنة.**

الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ مُحَمَّد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ـ دمشق، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ.

١٥٤. **شرح العقيدة الطحاوية.**

مُحَمَّد بن عليّ بن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة العاشرة: ١٤١٧هـ.

١٥٥. **شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية.**

مُحَمَّد بن خليل هرّاس، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع ـ الخبر، الطبعة الثالثة: ١٤١٥هـ.

١٥٦. **شرح الكوكب المنير المسمى مختص التحرير.**

مُحَمَّد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار، تحقيق: د.مُحَمَّد الزحيلي ـ نزيه حماد،، مكتبة العبيكان ـ الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١٥٧. **شرح المقاصد.**

سعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، عالم الكتب، الطبعة الثانية: ١٤١٩هـ.

١٥٨. **شرح حديث النزول.**

أحمد بن تيمية الحراني شيخ الإسلام، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة: ١٣٩٧هـ.

١٥٩. **شعر التصوف في المغرب خلال القرن الثالث عشر للهجرة.**

عبدالوهاب الفيلالي، مركز الإمام الجنيد للدراسات والأبحاث الصوفية المتخصصة، وجده ـ المغرب، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ.

١٦٠. **شفاء السائل لتهذيب المسائل.**

عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن خلدون، تحقيق: مُحَمَّد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر ــ بيروت، دار الفكر ـ دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

١٦١. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية.**

إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ـ بيروت، الطبعة الرابعة: ١٤٠٧هـ.

١٦٢. **صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه).**

مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

١٦٣. **صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ).**

مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق، مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٦٤. **صفة الصفوة.**

أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث ـ القاهرة، ١٤٢١هـ.

١٦٥. **الصفدية.**

أحمد بن تيمية الحراني شيخ الإسلام، تحقيق: مُحَمَّد رشاد سالم، مكتية ابن تيمية ـ مصر، الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ.

١٦٦. **الصفوية والصوفية خصائص وأهداف مشتركة.**

علي الكاش، موقع البرهان، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ.

١٦٧. **الصلة بين التصوف والتشيع.**

كامل مصطفى الشيبي، دار الأندلس ـ بيروت، الطبعة الثالثة: ١٩٨٢م.

١٦٨. **الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة.**

أحمد بن حجر الهيتمي، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي – كامل مُحَمَّد الخراط،: مؤسسة الرسالة ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ.

١٦٩. **الصوفية في الإسلام.**

ر.ا.نيكلسون، ترجمه وعلق عليه: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، الطبعة الثانية: ١٤٢٢هـ.

١٧٠. **ضحى الإسلام.**

أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة، الطبعة السابعة، بدون تاريخ نشر.

١٧١. **طبقات الأولياء.**

سراج الدين عمر بن الملقن، تحقيق: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي ـ بالقاهرة، الطبعة الثانية: ١٤١٥هـ.

١٧٢. **طبقات الحفاظ.**

جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ.

١٧٣. **طبقات الشاذلية الكبرى (جامع الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية).**

الحسن بن مُحَمَّد الفاسي المغربي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ.

١٧٤. **طبقات الشافعية الكبرى.**

تاج الدين السبكي، المحقق: د.محمود مُحَمَّد الطناحي، د.عبد الفتاح مُحَمَّد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

١٧٥. **طبقات الصوفية.**

أبو عبد الرحمن مُحَمَّد السلمي، تحقيق: نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، الطبعة الثالثة: ١٤١٨هـ.

١٧٦. **الطبقات الكبرى (لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية).**

عبدالوهاب الشعراني، تحقيق: أحمد السايح و توفيق وهبة، مكتبة الثقافة الدينية ــ القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

١٧٧. **الطبقات الكبرى.**

أبو عبد الله مُحَمَّد بابن سعد، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ.

١٧٨. **طبقات النحويين واللغويين.**

مُحَمَّد بن الحسن الزبيدي الإشبيلي، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، بدون تاريخ نشر.

١٧٩. **الطحاوية.**

أبو جعفر أحمد الطحاوي، شرح وتعليق: مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ.

١٨٠. **الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر.**

يوسف زيدان، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

١٨١. **طريق الهجرتين وباب السعادتين.**

مُحَمَّد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية: ١٣٩٤هـ.

١٨٢. **طوالع الأنوار من مطالع الأنوار.**

ناصر الدين البيضاوي، تحقيق وتعليق: عباس سليمان، دار الجيل ــ بيروت، المكتبة الأزهرية للتراث ـ القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ.

١٨٣. **ظهر الإسلام.**

أحمد أمين،، نوابغ الفكر ـ القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ.

١٨٤. **عبدالقادر الجيلاني باز الله الأشهب.**

يوسف زيدان، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ.

١٨٥. **عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم.**

مُحَمَّد أبو النور الحديدي، مطبعة الأمانة ـ القاهرة ١٣٩٩هـ.

١٨٦. **العصمة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة.**

منصور بن راشد التميمي، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ.

١٨٧. **عقائد الإمامية.**

مُحَمَّد رضا المظفر، الطبعة الثانية: ١٣٨٠هـ.

١٨٨. **عقائد الثلاث والسبعين فرقة.**

لأبي مُحَمَّد اليمني، تحقيق ودراسة: مُحَمَّد بن عبد الله الغامدي، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، الطبعة الثانية: ١٤٢٢هـ.

١٨٩. **العقل الأخلاقي العربي.**

مُحَمَّد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ـ ٢٠٠١م.

١٩٠. **العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية.**

مُحَمَّد بن عبد الهادي الحنبلي، تحقيق: مُحَمَّد حامد الفقي، دار الكاتب العربي ـ بيروت.

١٩١. **عقيدة الشيعة.**

دوايتم.رونلدسن، تعريب ع.م، مؤسسة المفيد ـ بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٠هـ.

١٩٢. **العلاقة بين التصوف والتشيع.**

رسالة جامعية، فلاح بن إسماعيل أحمد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – كلية الدعوة وأصول الدين ـ شعبة العقيدة، مخطوط، ١٤١١هـ.

١٩٣. **العلاقة بين الصوفية و الإمامية.**

زياد بن عبد الله الحمام، مجلة البيان ـ مركز للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ.

١٩٤. **علماء نجد خلال ثمانية قرون.**

عبد الله بن عبد الرحمن البسام، الطبعة الثانية: ١٤١٩هـ، دار العاصمة ـ الرياض.

١٩٥. **علماء ومفكرون عرفتهم.**

مُحَمَّد المجذوب، دار الشواف للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الرابعة: ١٩٩٢م.

١٩٦. **عنوان التوفيق في آداب الطريق.**

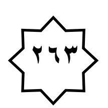
ابن عطاء الله السكندري، طبع على نفقة عبد الله مُحَمَّد الأسنوي، بدون تاريخ نشر.

١٩٧. **عوارف المعارف.**

شهاب الدين أبي حفص السهروردي، المكتبة العلامية، القاهرة، ١٣٥٨هـ.

١٩٨. **عيون الأنباء في طبقات الأطباء.**

موفق الدين بن أبي أصيبعة، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة– بيروت، بدون تاريخ نشر.



١٩٩. **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ـ المجموعة الأولى.**

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ـ الإدارة العامة للطبع ـ الرياض، الطبعة الثالثة: ١٤١٩هـ.

٢٠٠. **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ـ المجموعة الثانية.**

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ـ الإدارة العامة للطبع ـ الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ.

٢٠١. **فتح الباري شرح صحيح البخاري.**

أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٢٠٢. **الفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية.**

محيي الدين بن عربي الطائي، دار إحياء التراث العربي ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ.

٢٠٣. **الفتوى الحموية الكبرى.**

أحمد ابن تيمية الحراني شيخ الإسلام، المحقق: حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي ـ الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٢٥هـ.

٢٠٤. **الفرق الصوفية في الإسلام.**

سبنسر ترمنجهام، ترجمة ودراسة وتعليق: عبد القادر البحراوي، دار النهضة العربية ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٧م.

٢٠٥. **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية.**

عبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الثانية: ١٩٧٧م.

٢٠٦. **الفرقان بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان.**

أحمد بن تيمية الحراني شيخ الإسلام، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان ـ دمشق، ١٤٠٥هـ.

٢٠٧. **فصوص الحكم.**

محيي الدين بن عربي الطائي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، بدون تاريخ نشر.

٢٠٨. **فصول في أديان الهند الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية وعلاقة التصوف بها.**

محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار البخاري للنشر والتوزيع ـ المدينة المنورة ـ بريدة، بدون تاريخ نشر.

٢٠٩. **فضائح الباطنية.**

أبو حامد محمد الغزالي، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية ـ الكويت، بدون تاريخ نشر.

٢١٠. **فضائح الصوفية.**

عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، مكتبة ابن تيمية ــ الكويت، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ.

٢١١. **الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري.**

كامل مصطفى الشيبي، مكتبة النهضة ــ بغداد، الطبعة الأولى: ١٣٨٦هـ.

٢١٢. **الفلسفة القرآنية.**

عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٣٦٦هـ.

٢١٣. **الفهرسة.**

أحمد بن محمَّد بن عجيبة، دار الغد العربي ـ القاهرة، الطبعة الأولى: ١٩٩٠م.

٢١٤. **الفهرست.**

أبو الفرج مُحَمَّد بن إسحاق المعروف بابن النديم، المحقق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤١٧هـ.

٢١٥. **فوات الوفيات.**

مُحَمَّد بن شاكر بن أحمد الملقب بصلاح الدين، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، الجزء: ١ – ١٩٧٣، الجزء: ٢، ٣، ٤– ١٩٧٤م.

٢١٦. **القاموس المحيط.**

مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: مُحَمَّد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ.

٢١٧. **قضية التصوف المنقذ من الضلال.**

عبدالحليم محمود، دار المعارف ـ القاهرة، الطبعة الخامسة، بدون تاريخ نشر.

٢١٨. **قطر الولي على حديث الولي.**

مُحَمَّد بن علي الشوكاني، تحقيق: إبراهيم إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة ـ القاهرة، بدون تاريخ نشر.

٢١٩. **قواعد التصوف.**

أحمد بن زورق الفاسي، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ.

٢٢٠. **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد.**

مُحَمَّد بن علي بن عطية الشهير بأبي طالب المكي، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ.

٢٢١. **الكامل في التاريخ.**

علي بن أبي الكرم الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٢٢. **كتاب العين.**

الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي ـ إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،بدون تاريخ نشر.

٢٢٣. **كشف الحجاب والران عن أسئلة الجان.**

عبد الوهاب الشعراني، نشر وتصحيح: مُحَمَّد عبد الله عبد الرازق ـ القاهرة، الطبعة الأولى،بدون تاريخ نشر.

٢٢٤. **كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان.**

عبد الوهاب الشعراني، نشر تصحيح ومراجعة: مُحَمَّد عبد الله عبد الرزاق، مطبعة حجازي ـ القاهرة، الطبعة

الأولى ـ بدون تاريخ نشر.

٢٢٥. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.**

حاجي خليفة، مكتبة المثنى ـ بغداد، ١٩٤١م.

٢٢٦. **كشف المحجوب.**

أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري، دراسة وترجمة وتعليق: إسعاد عبد الهادي قنديل، المجلس الأعلى للثقافة ـ القاهرة، ٢٠٠٧م.

٢٢٧. **كشف المشكل من حديث الصحيحين.**

أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن ـ الرياض، بدون تاريخ نشر.

٢٢٨. **اللباب في تهذيب الأنساب.**

مُحَمَّد بن مُحَمَّد الجزري عز الدين بن الأثير، دار صادر ـ بيروت، بدون تاريخ نشر.

٢٢٩. **لسان العرب.**

مُحَمَّد بن منظور الأنصاري، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ.

٢٣٠. **لسان الميزان.**

أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، الطبعةالثانية: ١٣٩٠هـ.

٢٣١. **لطائف المنن والأخلاق المعروف بالمنن الكبرى.**

عبد الوهاب الشعراني، ضبطه وصححه: أحمد عزو عناية، دار التقوى للطباعة والنشر والتوزيع ـ دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ.

٢٣٢. **اللمع.**

أبو النصر السراج الطوسي، تحقيق: عبد الحليم محمود ــ طه عبد الباقي سرور،، دار الكتب الحديثة ـ مصر، مكتبة المثنى ـ بغداد، الطبعة الأولى: ١٣٨٠هـ

٢٣٣. **المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام.**

مُحَمَّد البهي، مطبعة الأزهر، بدون تاريخ نشر.

٢٣٤. **مجلة الأزهر.**

المجلد التاسع والعشرون ـ الجزء الأول ـ عدد غرة محرم ١٣٧٧هـ، مشيخة الأزهر ـ القاهرة.

٢٣٥. **مجلة كلية الآداب، العدد الخامس.**

مجلة كلية الآداب ـ بغداد، ١٩٦٢م.

٢٣٦. **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.**

جمع وترتيب: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم وابنه مُحَمَّد، دار عالم الكتب ـ الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ.

٢٣٧. **مجموعة الرسائل والمسائل.**

أحمد ابن تيمية الحراني شيخ الإسلام، علق عليه: السيد مُحَمَّد رشيد رضا، لجنة التراث العربي، بدون تاريخ نشر.

٢٣٨. **محاسن التأويل.**

مُحَمَّد جمال الدين القاسمي، تحقيق: مُحَمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ.

٢٣٩. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**.

عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤٢٢هـ.

٢٤٠. **مختار الصحاح**.

مُحَمَّد بن أبي بكر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ مُحَمَّد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية ـ بيروت، الطبعة الخامسة: ١٤٢٠هـ.

٢٤١. **مختصر التحفة الاثني عشرية**.

شاه عبد العزيز الدهلوي، نقله من الفارسية إلى العربية: غلام مُحَمَّد الأسلمي، محمود شكري الألوسي، حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ـ القاهرة، ١٣٧٣هـ.

٢٤٢. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**.

مُحَمَّد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: مُحَمَّد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤١٦هـ.

٢٤٣. **المدهش**.

أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: الدكتور مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ.

٢٤٤. **مذكرات في منازل الصديقين والربانيين من خلال النصوص وحكم ابن عطاء الله**.

سعيد حوى، دار السلام ـ القاهرة، الطبعة العاشرة: ١٤٣٥هـ.

٢٤٥. **مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة**.

ناصر بن عبد الله القفاري، دار طيبة، الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ.

٢٤٦. **المسامرة بشرح المسايرة**.

كمال الدين بن أبي شريف، الطبعة الأولى ١٣١٧، المطبعة الكبرى ببولاق ـ مصر.

٢٤٧. **المستشرقون**.

نجيب العقيقي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤ م.

٢٤٨. **المستشرقون والسنة**.

سعد المرصفي، مكتبة المنار الإسلامية ومؤسسة الريَّان، بيروت — لبنان.

٢٤٩. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**.

أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد ـ وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ.

٢٥٠. **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**.

عياض بن موسى اليحصبي، المكتبة العتيقة ودار التراث.

٢٥١. **مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب**.

عبد الرحمن الأنصاري المعروف بابن الدباغ، تحقيق: هـ.ريتر، دار صادر ـ بيروت.

٢٥٢. **مشاهير علماء نجد وغيرهم.**

عبد الرحمن بن عبد اللطيف حسن بن مُحَمَّد بن عبد الوهاب، طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـ الرياض، الطبعة الأولى: ١٣٩٢هـ.

٢٥٣. **مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني.**

مُحَمَّد الخضر الجكني الشنقيطي، دار البشير للنشر والتوزيع ـ عمان ـ الأردن، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ.

٢٥٤. **مصادر التلقي عند الصوفية.**

هارون بشير صديقي، دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٥٥. **المصادر العامة للتلقي عند الصوفية.**

صادق سليم صادق، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ.

٢٥٦. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير.**

أحمد بن مُحَمَّد الحموي، المكتبة العلمية ـ بيروت.

٢٥٧. **مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي.**

برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء ـ الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ.

٢٥٨. **المصنف في الأحاديث والآثار.**

أبو بكر بن أبي شيبة العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ.

٢٥٩. **مطالعات في الكتب والحياة.**

عباس محمود العقاد، دار المعارف ـ القاهرة، الطبعة الرابعة: ١٩٨٧م.

٢٦٠. **مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية.**

إدريس محمود إدريس، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ.

٢٦١. **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي).**

الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ.

٢٦٢. **معتقدات آسيوية (العراق فارس الهند الصين اليابان).**

كامل سعفان، دار الندى ـ مدينة نصر ـ مصر، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ.

٢٦٣. **معجم ألفاظ الصوفية.**

حسن الشرقاوي، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٢٦٤. **معجم اصطلاحات الصوفية.**

عبدالرزاق للكاشاني، تحقيق: عبد العال شاهين، دار المنار ـ القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ.

٢٦٥. **معجم البلدان.**

ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية: ١٩٩٥م.

٢٦٦. **المعجم الصوفي.**

محمود عبد الرازق، دار ماجد عسيري ـ جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٢٦٧. **المعجم الصوفي.**

سعاد الحكيم، دندرة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ.

٢٦٨. **المعجم الفلسفي.**

جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٨٢م.

٢٦٩. **المعجم الكبير.**

سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية، بدون تاريخ نشر، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣ (دار الصميعي – الرياض / الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ–١٩٩٤م).

٢٧٠. **معجم اللغة العربية المعاصرة.**

أحمد مختار عبد الحميد عمر، وبمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ.

٢٧١. **معجم المؤلفين العراقيين في القرن التاسع عشر والعشرين.**

كوركيس عواد، مطبعة الإرشاد ـ بغداد، الطبعة الأولى: ١٩٦٩م.

٢٧٢. **معجم المؤلفين.**

عمر بن رضا كحالة، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، بدون تاريخ نشر.

٢٧٣. **المعجم الوسيط.**

مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات، حامد عبد القادر، مُحَّد النجار، دار الدعوة، بدون تاريخ نشر.

٢٧٤. **معجم لغة الفقهاء.**

مُحَّد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٠٨هـ.

٢٧٥. **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم.**

جلال الدين السيوطي، المحقق: أ.د مُحَّد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب ـ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢٧٦. **معجم مقاييس اللغة.**

أحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبد السلام مُحَّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٢٧٧. **المعرفة في الإسلام، مصادرها ومجالاتها.**

عبدالله القرني، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، الطبعة الثانية: ١٤٢٩هـ.

٢٧٨. **معيد النعم ومبيد النقم.**

تاج الدين عبد الوهاب السبكي، تحقيق: مُحَّد علي النجار وآخرون، مكتبة الخانجي ـ مصر، مكتبة المثنى ـ بغداد، الطبعة الأولى: ١٣٦٧هـ.

٢٧٩. **المفردات في غريب القرآن.**

أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ.

٢٨٠. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين.**

أبو الحسن الأشعري، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن ـ ألمانيا، الطبعة الثالثة: ١٤٠٠هـ.

٢٨١. **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد.**

إبراهيم بن مُحَمَّد بن مفلح، تحقيق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ.

٢٨٢. **الملل والنحل.**

مُحَمَّد بن عبد الكريم الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، بدون تاريخ نشر.

٢٨٣. **من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة.**

عبد الله العقيل، دار البشير، الطبعة السابعة: ١٤٢٩هـ.

٢٨٤. **من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة.**

مُحَمَّد السيد الجليند، دار اللواء للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الثالثة: ١٤١٠هـ.

٢٨٥. **المنار المنيف في الصحيح والضعيف.**

مُحَمَّد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الأولى: ١٣٩٠هـ.

٢٨٦. **مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع وأصولهم وسماتهم.**

ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الوطن، الطبعة الثانية: ١٤١٧هـ.

٢٨٧. **المنقذ من الضلال.**

أبو حامد مُحَمَّد الغزالي، تحقيق: عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة ـ مصر،بدون تاريخ نشر.

٢٨٨. **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية.**

أحمد بن تيمية الحراني شيخ الإسلام، المحقق: مُحَمَّد رشاد سالم، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٢٨٩. **الموافقات.**

إبراهيم بن موسى اللخمي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ.

٢٩٠. **المواقف في علم الكلام.**

عضد الدين الإيجي، عالم الكتب ـ بيروت، بدون تاريخ نشر.

٢٩١. **موسوعة التصوف الميسرة.**

أسعد السحمراني و جماعة من المتخصصين، دار النفائس ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٣٦هـ.

٢٩٢. **موسوعة المستشرقين.**

عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين ـ بيروت، الطبعة الثالثة: ١٩٩٣م.

٢٩٣. **الموفي بمعرفة التصوف والصوفي.**

كمال الدين الأدفوي، تحقيق: مُحَمَّد عيسى صالحية، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ـ الكويت، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ.

٢٩٤. **موقف ابن تيمية من الأشاعرة.**

عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ.

٢٩٥. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال.**

شمس الدين مُحَمَّد الذهبي، تحقيق: علي مُحَمَّد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٣٨٢هـ.

٢٩٦. **ميزان العمل.**

أبو حامد مُحَمَّد الغزالي، حققه وقدم له: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٦٤هـ.

٢٩٧. **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام.**

علي سامي النشار، دار المعارف ـ القاهرة، الطبعة الثامنة ١٣٩٧هـ.

٢٩٨. **نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها.**

عرفان عبد الحميد فتاح، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٢٩٩. **نظرة المستشرقين والرحالة إلى الروضة الحسينية.**

مُحَمَّد صادق الكرباسي، إعداد جليل عطية، بيت العلم للنابهين، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٣٠٠. **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب.**

أحمد المقري التلمساني، المحقق: إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت، ١٩٠٠م.

٣٠١. **نفحات الأنس من حضرات القدس.**

عبدالرحمن الجامي، تحقيق: الشؤون الفنية لمكتب شيخ الأزهر، الأزهر ـ القاهرة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ نشر.

٣٠٢. **نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف.**

خالدكبير علال، دار التوحيد للنشر ـ الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٣٦هـ.

٣٠٣. **النقشبندية عرض وتحليل.**

عبدالرحمن دمشقية، دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الثالثة: ١٤٠٩م.

٣٠٤. **النكت الاعتقادية.**

مُحَمَّد بن النعمان المفيد، تحقيق: رضا المختاري، الطبعة الأولى: ١٤١٣، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.

٣٠٥. **النهاية في غريب الحديث والأثر.**

أبو السعادات الجزري ابن الأثير،، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود مُحَمَّد الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت، ١٣٩٩هـ

٣٠٦. **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين.**

إسماعيل الباباني البغدادي،طبع بعنايةوكالة المعارف الجليلةفي مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١م أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان.

٣٠٧. **الوافي بالوفيات.**

المؤلف: صلاح الدين الصفدي، المحقق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ.

٣٠٨. **وحدة الأديان في تأصيلات التصوف وتقريرات المتصوفة دراسة تحليلية.**

لطف الله خوجة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ، الناشر: المؤلف.

٣٠٩. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.**

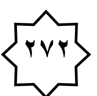
أحمد بن مُحَمَّد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت، بدون تاريخ نشر.

٣١٠. **الولاية عند غلاة الصوفية عرض ونقض.**

عبد الحميد عرادة، رسالة جامعية ـ مخطوط، الجامعة الإسلامية ـ غزة ـ كلية أصول الدين ـ قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، ١٤٣١هـ.

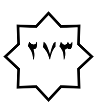
٣١١. **الولاية والأولياء في الإسلام.**

الخضر عبدالرحيم، رسالة ماجستير ـ جامعة أم القرى ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ١٤٠١هـ، مخطوط.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
التمهيد	١٠
أولاً: تعريف العصمة	١١
ثانيًا: تعريف الأولياء	١٧
ثالثًا: تعريف الصوفية	٢٧
الفصل الأول: موقف المنتسبين للتصوف من العصمة	٥٥
المبحث الأول: موقف المنتسبين للتصوف من أهل الحديث من العصمة	٥٦
المبحث الثاني: موقف المنتسبين للتصوف من أهل الكلام والمتفلسفة من العصمة	٨١
الفصل الثاني: أسباب القول بالعصمة عند الصوفية	٩٦
المبحث الأول: أسباب من خارج التصوف	٩٧
المبحث الثاني: أسباب من داخل التصوف	١١١
الفصل الثالث: مسالك الصوفية في تقرير عصمة الأولياء	١٣٤
المبحث الأول: مسلك التصريح بالقول بالعصمة	١٣٥
المبحث الثاني: مسلك القول بالعصمة وتسميتها حفظًا	١٣٨
المبحث الثالث: مسلك الإشارة بالقول بالعصمة	١٤٧
الفصل الرابع: الرد على عقيدة عصمة الأولياء عند الصوفية، وبيان أثرها	١٦٩
المبحث الأول: الرد على الصوفية في قولهم بعصمة الأولياء من خلال أقوال أهل السنة والجماعة	١٧٠
المبحث الثاني: الرد على الصوفية في قولهم بعصمة الأولياء من خلال أقوال أئمتهم	١٩٢
المبحث الثالث: أثر القول بالعصمة	٢٠٨
الفهارس	٢٣٠
فهرس الآيات القرآنية	٢٣١
فهرس الأحاديث والآثار	٢٣٨
فهرس الأعلام	٢٣٩



فهرس الفرق والطوائف ٢٤٤

فهرس الأشعار ٢٤٥

فهرس الألفاظ والمصطلحات ٢٤٦

فهرس المراجع والمصادر ٢٤٨

فهرس الموضوعات ٢٧٢